

١٧ رمضان

رواية نار بخفة غرامية

هي الحلقة الرابعة من سلسلة الروايات التاريخية الإسلامية

* ونحضر مثل الإمام علي وسط *

* حال الخوارج ولته التنة الى استئثار *

* بني امية بالخلافة وخروجهما *

* من اهل البيت *

ـ ٢٠٠٣٠ـ

* تأليف *

جمي زيدان

(منشء الملال)

«تراث طلاقة بالسنة الثانية من افلال»

(طبعت بطبعية الملال بشارع التحالف مصر سنة ١٨٩٩ - ١٩٠٠)



الفصل الأول

﴿الخوارج﴾

الخوارج جماعة من رجال الامام علي نفوا عليه لانه قبل بالحكيم على اثر واقعة صنون (راجع عذراء قريش) وكانوا قبل ذلك في مندمة الذين حرضوه على قبوله . لكنهم لما رأوا الحكيم آل الى الحكم بخروج الخليفة منه الى معاوية بن أبي سفيان نفروا يعنده وبنعوا طاعته وطمعوا في السلطة لانهم فجاءوا واحداً منهم اسمه عبد الله بن وهب حاربوا تحت رايته زماناً

وقد صدر حكم المحكيم بخلع علي وتنبيه معاوية اشد ازد اذراً معاوية وبوضع بالخلافة في الشام . وكان الخوارج لا يزالون في هذه امرهم فأخذوا على^{*} يجهز لحرب معاوية . وفيما هو يجهز جاء الخبر بتأليب الخوارج وقادم فصح لهم وجادلم وبين لهم انه لم يحصل^{*} بتسلیم الحكيم وانه لم يقبله الا اجازة لعلهم فلم يرتدعوا . فرأى ان يستأصل شأفتهم قبل خروجه الى معاوية . فثار بهم في مواقع عديدة اشهرها واقعة الهردان وراء دجلة بالقرب من مكان ينداد اتصر فيها عليهم نصراً مبيناً وشنّت شملهم تشنيناً ولائهم ما زالوا مجتمعون سراً

وفي سنة ٣٨ هـ فتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن أبي بكر عاصلاًها وتولاً^{*} هـ باسم معاوية فاصبح معاوية خليفة في مصر والشام ومقامة دمشق . وتقى علي في العراق والجزيره وأ Jarvis واليمن ومقامة الكوفة

واخذ معاوية يبعث سراياه الى بلاد الامام علي ينفس انتباها للاستقلال بالخلافة . فاندلع جدلاً الى مكة وآخر الى اليمن وآخر الى الجزيره بحار بور وبناؤون ولائهم لم يبلغوا ارضاً . فدخلت سنة اربعين للهجرة وعلى^{*} يتأهب للغزو على معاوية وقد باتمة اربعون الاما من عسكرو على الموت . وفي ما هو في ذلك فاجأه اللدر فات متولاً^{*} كما سترى تفصيل ذلك في ما يلي

الفصل الثاني

الكوفة عاصمة الامام علي

في مدينة اسلامية مصراها سعد بن أبي وقاص احد كبار الصحابة في السنة السابعة عشر للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد ان فتح العراق وقد اشار عليه عمر ان يتم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحر ولا جسر حتى اذا اراد ان يقدم اليه على راحلته قدم^(١) فبني الكوفة في غرب الفرات على شاطئ بحيرة كانت هناك بقرب مكان الحيرة بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلاً

وكان بناؤها في اول امرها بالقصب فاصابها حريق فاستأذنوا الخليفة عمر في بنائها باللين فقال «افعلوا ولا زيدن» احدكم على ثلاثة ايات ولا نطاولوا في البناء والزرووا السنة بلزمكم الدولة» ففعلوا ذلك وجعلوا طرقها نوعين المذاهع والازقة وجعلوا عرض المذهب عشر بن ذراعاً وعرض الزفاق سبعة اذرع . وما بين المذاهع اماكن البناء اربعون ذراعاً . والقطائع ستون ذراعاً . و اول شيء خطوه فيها المسجد . فوقف في وسط المدينة رجل شديد التزع رمى الى كل جهة بهم وامرها ان يبني ما وراء ذلك . واما الساحة حول ذلك الراي الى مرى سهامه فبني للمسجد وبنوا في مقدمة المسجد ظلة او رواقاً اقاموا على اساطير رخام من بناء الاكاسرة نقلوها من اخرية الحيرة . وجعلوا على الصحن خندقاً ثلثاً ينبعها احد بناءان وبنوا لسعد بن أبي وقاص قصراً بجانب المسجد نقلوا سجائرته من آخر بناء الاكاسرة وسموه قصر سعد^(١)

وما زالت الكوفة تمر حتى اخذتها الامام علي مفرضاً لها بعد واقعة الجمل سنة ٣٦ «فازدادت عارتها با تقاطر اليها من الناس بعد ان صارت عاصمة الخلافة وتكاثرت فيها الابنية وعمرت الاسواق وانشئت حولها الحدائق والبساتين ما يلي بمحورها

الفصل الثالث

* غادة الكوفة *

وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ العجيرة حديقة من خيل حوطا سور من جذوع الخيل يحيط بالحديقة إلا من جهة العجيرة . وفي وسط الحديقة يمتّبغي من اللبان يدلُّ شكله على أن سكانه من أهل البسار وقد يخجل لك إذا دخلت الحديقة أنه مسكن بعض الامراء ذوي الخدم والخدم لما ترى بين يديك من آثار المعالف والأوتاد والسلالس والتبيود . وترى جذوع بعض الخيل قد تآكلت من شد الامراس اليها على توالى الايام او من تعهد الافراس نقشيرها باست أنها وهي مشدودة اليها

وكان الوقت ليلاً في اواخر السنة الاربعين للهجرة في زمن الخريف ^(١) وقد نضج الثمر على خلوك وليس من يقظاته فتساقط بعضه على الأرض وليس من يلقطه . وكان القر بدرًا وقد اطلَّ من وراء الأَكام فارسل اظلال الخيل مستطيلة ممتداً على خلوك وليس من يقظاته فتساقط بعضه على الأرض وليس من يلقطه . واجبو هادي والسكوت سائد بعد المكان عن المدينة وضوضائهما فلا تسمع غير تهيج الصنادع على شاطئ العجيرة يقلل صرير الصراصير وقرفة القر . وربما هي النسم فاسمعك حنيف سعف الخيل هنديه ثم اتعلع . ولند تعجب لوحنة ذلك المكان مع ما تراه فيه من آثار الانس ودلائل الإله

ولو دخلت المنزل لرأيتها عبارة عن دار وثلاث غرف مستطرفة بعضها الى بعض مفروشة ارضها بمحصر من سعف الخيل فوقها جلود الماعز الا غرفة في ارضها طنسة جبلية عليها وسائل من الخز . وفي بعض جوانب الغرفة مصباح ضعيف التور . وعلى احدى تلك الوسائل ثناة في متبل العمر اشرف وجهها بهاء الشجاب . وقد حللت شعرها الاسود فارسلته على كتبتها فتحجب بعض جيدها وغطي عذارها فتحجب قرطيها وصالتها ولكن زاد عذارها تحلاً واشرافاً . ترى تينك العينين الدنجاوين البراقين قد غثمهما الدمع واخذت ينحدر على وجنتين محمرتين ينبعها اتف دقيق مستقيم تهنة فم صغير . فإذا زاد انسكاب الدمع استثنى باطراف جدائها او باحد كعبها . وكانت

لابسة جليباً) اسود حداداً على قفيدها . ولم يزد هما ذلك المداد الاً جمالاً وفتنة .
وكان تلك الفادة استأنست بوجهها فاطلقت لنفسها عنان البكم حيث لا
رقيب ولا عدو فأخذت تعلم خديها وتدبر قفيدين عزيز بن قثلا في يوم واحد
ذلك في قطام بنت شعنة بن عدي (١) من قبيلة تميم الرباب . تلك هي فتاة الكوفة
الثانية التي ذاع صيتها في الآفاق وسمع مجدها الفاسدي والداني حتى أصبحت فتنة
الكوفيين وبضرب امثالهم . وقد شخصت إليها الابصار وحامت حولها التلوب فباتت
مجدها يحيى لا تعرف لها ولم تدق غلاماً حتى باتت بتل والدها وإخوها معها
قتل والدها وأخوها في واقعة الهردان (٢) وكانوا من جملة المخوارج الذين نفوا
على اليهول بالغفيم فانضموا إلى من نفوا يعنيه وحاربوا في جملة من حاربه
وكانت قطام ثانية الجماش شديدة الانتقام ذات حيلة ودهاء ما انفك متذليل
والدها وأخوها وهي تدبها وتنس الانتقام لها ولكنها لم تكن تتبع المعاشر بذلك
والكوفة مقرُّ الإمام علي ومجتمع أنصاره وشيعته . فاقامت في مترفةها في ضاحية
الكوفة وحيدة ليس بها سوى عبد كهل ربي في أهلها منذ صباح . فلما باتت يصيدها
غيرها سائر الخدم والأعوان الاً هدا . وكانت ترتاح إلى بئث شكريها له وهو يختلف
عنها ويعدها بليل المرام

وكانت قد اندلعت في اصيل ذلك اليوم يستخدم لها عجوراً من مولدات الكوفة
كانت قد ربيت بين ذراعيها منذ نعومة اظفارها وهي تحن³ اليها حبين الوالد . فطال
غيابه وسدل الامل ثقابه ولم يعد . فانشغل خاطرها وشغلت عن احزانها بالمواعش
لانزراحتها في ذلك المكان . ولكنها كانت اذا سكتت هيبة نذكرت والدها واخاهما
ومن كان يقيم في تلك الدار من الخدم والعييد فتعود الى البكاء والنحيب

الفصل الرابع

العجوز لبابة

وفيما هي في ذلك سمعت وقع اعدام مسرعه عرفت انها خطوات عبدها ريجان

فاجنلت ولكنها استأنست به فوقت وارمعت لاستقباله . وكان ريمان طوبيل
الثانية شديد الميلاد خفيف العضل سريع الحركة جاحظ العين انطش الانف
عظيم الوجهين بارز الاسنان ويزيدها بروزاً تدل على شذوذ السنل واغمار شفتي العلية
وكان يمتلك في خدمة سيدته فايدرها بالسلام . فنالت وما الذي احرك يا ريمان
وانست تعلم اني وحيدة هنا . اين هي لبابة؟

قال انها قادمة سريعاً

قالت وما سبب غيابك حتى الآن

قال كنت في انتظارها وهي تناطبه شاباً وتجادله

قالت واي شاب

قال لا ادرى . . . ها قد أنت وهي ناصٌ عليك الخبر من صلاً

وما امْ كلامه حتى دخلت الجوز توكلاً على عكازها وقد احذوب ظهرها
واحناها الكبر فزادها فضلاً ولكنها ما زالت سريعة الحركة شديدة العصب وكانت
عصاء العينين غائبة الفم خلو فكمها من الاسنان مجموع الخدين غاثتها . فتقدمت
الى قطام وقد غطت شعرها الشائب بثقب اسود يكاد يجر وراءها اطولاً وقصرها .
وحلما دنت منها قليلاً واخذت تخفف عنها وتقول لا بأس عليك يا ابي اعدديني
لابطأني في المضور

فلم تردد النبأ الا بكاء وهي تقول ما الذي يدخلك عني باخالة وانت تعلمين
ان اوس لي معز في احزاني سواك

قالت هو في عليك يا قطام واسترجعي فند جشك بالفرج باذن الله

قالت من اين يأتيك النرج ولا يدرج كربق الا الاتمام . . . الاتمام . فنالت
ذلك وحرقت باسنانها وهي تشاغل بجمع شعرها وراسلوا الى وراء ظهرها . ثم سمعت
عينيها يكذا الطويل ولارسلة الى كتفها فباتت اماورها ودمائهما حول معصمها المحتنى
ونظرت الى الجوز كأنها نسأها الا يوضح

فضحكت الجوز وهي تنظر اليها وكأنها تذكرت امراً آخرتاً فلعلعت ضحكتها بعنة

فاستاءت قطام من ضحكتها وهي تبكي وقالت ما بالك تفحشك العمال عهزائين

بكلاهي : الي والله غير قائلة بغير الاتمام

فأمسكها العجوز يدها واقعدها على الوسادة وجلست الى جانبها ونظرت الى
ريحان نظرق فهم معاها تلمس خروجه لخلوها قطلام . فخرج
فليشت قطام صامتة تتذكر ما نقوله العجوز . فادا هي قد تمحضت كأنها نبياً لحدث
طويل ثم قالت وماذا تربدين الآن يا قطام ؟

قالت اريد الاعدام لوالدي واخي فقد قتلها علياً غالباً ولا بد من الاعدام

قالت العجوز ما قولك اذا دبرت الاك من ينتقم عنك ؟

قالت وَمَن يَتَّقِمْ . قَوْلَى .

قالت طويلاً لا تكوفي لجوجة . . . انعرفين سعيداً

قالت ولی سعید

قالت سعيد الاموي الشاب الجميل الذي يحبك ويهواك

قالت دعينا من المحب والغرام وحدوثي عن الافتلام

قالت يا سجان الله اجيبي على سؤالي . هل تعرفين هذا الشاب فانه مغرم بك
ن بسواند عينيك

قالت نعم اعرفه وما تبدي في معرفته . بالله عليك لاتذكري الغرام الاآن . أني لا

بِعَاطِنَةِ الْحُبِّ وَلَا يَهُنِّي أَحْجَنِي النَّاسُ أَوْ اَعْضُوْنِي

فأباشرت العجوز ببسامة الاستخفاف وقالت يا للعجب ما أكثر حاجتك ...

فَلَمْ يَأْتِكُ تَعْرِفَنَ سَعِيدًا فَهُلْ تَحْبِبُنَّ

فَمَا جَاءَتْ عَلَى النُّورِ لَا لَا لَا احْبَبَ حَوَاهُ .. انْ قَلَى لَا يَشْتَغِلُ الْيَوْمُ

لبعض . اني ابغض بعض الناس ولا احب احداً

قالت ولكن اذا كان لا بد من الالتفاق فيجب ان تحبى سعيداً

قالت كيف أحبه وقلبي لم يبق فيه مكان لغير البغض والحمد لله الذي حافظ ناقته

قالت انا اعلم بذلك ولكن أحبي معيدياً ولو موقتاً وهو ينتقم لك

فبقيت قطام ونظرت الى العجوز وجعلت تدرس في سمعها لتحقق انها شكل الجد

لسمت الجد في لثيبيها قالت وهل تقولين حنّا هل يقدر هذا الرجل على رُكوب

لرکب الخشون ..

قالت اني اجعله يركبة فاذا لم يكن اهلاً له فهو ليس اهلاً لحبك .. ما رأيك؟

فسمحت هنرية ثم قالت . أأήجة . نعم أخيبة ولو الى أجل قريب ... ولكنني لا اظله أهلاً لهذا العمل بل لا أحببة يندم عليه . ولكن فولي لي العلوك شكلتين من عينك نفسك ألم أنت على بينين ما تقولية

فاغندلت تلك الجوز العذالة في مجلسها ونظرت الى قطام نظر الاهتمام وقالت اعلى يا حبيبتي ان سعيداً هنا قد ملقى بك واحدك منذ اعوام ولكنه لم يكن يمس على مخاطبته المرحوم والدك بشأنك لان والدك كان يومئذ في جملة النائمين بصرة علي . وسعيد كما تعلمين اموي اي انه من تسبوا على علي وقاموا لل معالبة بدم عذان . فكان يعلم انه اذا طلبك من والدك يومئذ لا يطال غير النشل . اما بعد ان خرج والدك رحمة الله من طاعة علي في جملة من خرج بعد الحكيم حدثه نفسه ان يطلبك مخاطبني في شأنك مراراً . ولكن والدك كان مشغولاً بمغاربة علي وشيعبته فلم انك من التوسط له . فلما علم بمنتهي ومثل اخيك في أنسنة عليها (ونهدت وفي ظاهره بمع دموعها) عاد الى مخاطبتي في ذلك . وقد كنت ادفعه لاعلى بمحرك الشديد وهو مع ذلك ما زال يتعدد علي ويسئلني ويبدل كل مرّ شخص وغالب في سهل الفتح هذا الوجه الجميل . فجاءني اليوم واعاد الكرة وبالغ في التذلل والاستعطاف فلنجعل له انه اذا اصر على بذلك لا بد له من الاهتمام لوالدك . فـ « آمنت » منه ارتياحاً فاطلت الكلام معه وربحان في انتظاري خارجاً وهذا هو سبب نهي عنك فـ « فولك ؟

فلا سمعت قطام كلامها امشيرت بيدي مرارها فـ « قالـت » وهـ « هل نظـين اـنه يـعدـنـي وـعـدـاـ شـافـيـاـ بالـانتـام ... هل يـتعـهدـ لي بـتـلـ عليـ بنـ اـبيـ طـالـبـ . اـنيـ لاـ اـقـبـلـ باـقـلـ منـ ذـلـكـ »

قالـتـ « اـظـلهـ يـقـيلـ وـعـدـ ذلكـ فـانـيـ اـسـتـدـمـهـ اليـكـ وـنـظـارـاـ لـماـ اـعـهـدـ منـ مـهـارـتكـ فيـ اـسـالـيـبـ السـيـاسـةـ لـاـشـكـ فيـ اـنـهـ يـعـهـدـ لكـ بـكـلـ ماـ تـرـيدـنـهـ وـخـصـوصـاـ اـذاـ اـظـهـرـتـ لهـ مـيـلاـ وـقـلـتـ لـهـ اـنـكـ تـحـبـيـةـ وـقـنـتـ فيـ طـرـقـ الدـلـالـ وـالـتـعـمـ وـاشـتـرـطـتـ عـلـيـ اـنـكـ لـاـ تـزـوـجـيـنـ اـلـاـ بـعـدـ قـتـلـ عـلـيـ » . فـ « اـهـاـدـكـ صـبـرـتـ حـقـ يـقـتـلـهـ فـاـذـاـ لـمـ يـقـتـلـ وـاصـابـ حـلـلـهـ كـانـ دـمـهـ عـلـيـ رـأـسـ وـالـمـلـامـ ... اـهـاـهـ ؟ـ »

فـ « اـشـرقـ وـجـهـ قـطـامـ وـاحـسـتـ بـارـتـياـحـ لـهـ اـلـرـأـيـ وـقـالـتـ » لـاـ رـيبـ عـنـديـ

أني أحملة على التعميد . . . فاستقدميه لترى ما يكون . ولكن قوله له أني لم أقبل
بعد وبالغى بقىعي طلياني وأنا أغم الحولة »

فحضرت العجوز ضحكة طوبلا وقالت « ساعدك الله يا قطام ألا تزالين تحسيبي
فتاة مثلك وهل تجهلين أين قضيت هذه الشيبة . . . لا تعلمين أني قضيت عمرى في
مثل هذه الحوادث . فكم ازوجت من الرجال وكم اقنعت من النساء في الزواج بعد
أن كان قبورهن ضرباً من المعال . . . لا تخافي علي » . ولا أنا أخاف عليك » قالت
ذلك ونادت ريحان فاسرع إليها . فقلت لها هل تعرف الماء الذي كان عندي الليلة
قال نعم أعرفه

قالت سراليه انه لا يزال في المنزل حيث رأينا الليلة وقل لها ان خالتك لبابة
تدعوك إليها

قال وإذا أبي الحضور ماذا أقول له
قالت لا أخالة ألاً سابقك في الطريق اذهب وادعه إلى حالاً
قال سمعاً وطاعة وخرج

الفصل الخامس

* سعيد *

وكان سعيد شاباًً أموياًً في حوالي الثلاثين من عمره توفي والده وهو طفل فكفله
جن وقضى صيامه وشياطينه مع جده في منزل الخلدون عثمان وكان شديدي التعليق به .
ف لما قتل عثمان كان سعيد وجده في مقدمة الداقفين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما
كانت واقعة الجمل بجوار البصرة كان هو في جملة رجال أم المؤمنين وظل جده ميتاً
في مكة لشيخوخته . ولا فشل جند أم المؤمنين وعادت هي إلى مكة عاد هو معها وظل
عند جده ولم يخرج أواقيعه صفين

ولكنه كان يتردد إلى الكوفة وكان يسمع بنظامه هناك وسماها وقد رأها مراراً
تحت المغار فوقعها من نفسه موقعاً عظياً ولكن لم يحيسر على خطيبها لأن والدها كان

قبل تحكيم الحكيمين من شيعة الإمام علي فكشف بزوج ابنة لاموبي بطالب بدم عثمان .
فلا خرج الخوارج عن طاعة الإمام علي بعد الحكم استبشر بهيل مراءه على الله لم
يتمكن من السعي في طلبها ألا بعد مقتل والدتها وأخيها . فجاء لباية الجوز كا نقدم
فاستخدمت هذه الجوز كل دهائهما في اغرائه على قتل علي وتركت بقية الجوز لنظام
لعلها انها لا تقل عنها دهاء ومهارة

وكان سعيد حسن الطاوية قليل الاخبار وخصوصاً في ما يتعلق بدهاء اولئك
الجهاز . وكان جدول الصورة معبجاً بجماله وكان الحبُّ قد اعني بصورتنا فلم يعد يرى
غير قطام ولم يحمل الا بالحصوْل عليها وهو لا يصدق أنها ترضي به . فلما جاءَ العجوز
في تلك الليلة وخاطبها بشأْ نها واظهرت ما اظهرته من التمنع ازداد رغبةُ فيها وبذل
كل ما في وسعه من الوعود في سبيل ارضائها وبذل للعبور كل ما يرضيها من المال
والحلي فوعدها ان تنسى في ترغيبها ومضت وتركنا بقلبك على حجر الانتظار
فلما جاءَ العبد يستدعيها خنق قلبها وهرول مسرعاً وهو ينعتر باذياه الفرْ
في اسواق الكوفة وهو لا يرى شيئاً من الاسواق ولا ناسها لانتعال باللوباء سلاقيون
البغنة عدد اجتماعه بقطام من قلبي وغاية مراده . نكان اذا تصور رضاها اشراق وجهه
وكاد يعاير فرحاً . فيه ترضع تصوره ما آتته من التمنع عند مخاطبته العجوز وما يدررهه
من الوعد بالانتقام فتنقض شفاعة ويضطراب هموم ذلك العمل . ولكن هبامة كان
يهون عليه كل عسير وبصورة الحال مكداً . فخيل له ان قطاماً اذا رأت جماله وتحتلت
ما هو فيه من الوجود لا تلبيت ان تقع في هواه وتتفق عن امر الانتقام

في مثل ذلك قضى سعيد طريفة ورجمان يخليه امامه خطيباً ثم الشباعه لعلول
ساقيه ويعاول الابطال في مدينه ليللا يسوق رفقة فلا ينتبه الا وقد تجاوزه فميشي
الموبياء الى موازاته وسعيد لا ينتبه لشيء من ذلك . وخرج من المدينة فانسا سكونا
لا يسمع فيه الا صوت الحصى اذا عثرا ببعض منها لان الكوفة كبيرة الحصى والرمال⁽¹⁾
حتى وصل بباب البستان ودخلها بين الغبول . فنال العبد امهاني يا مولاي ربنا افتند
أهل المنزل ثم اعود اليك

فضل سعيد يحيى بن التغيل شافعى بروبة اذلاطا مع ما يسمى من ترقى الفنادع

على شاطئِ البحيرة وأخذ بي نفسه بقابلة قطام فاصطحب عامةه ويشط شارييه ولحنه
ونقض جبهه وأصلحها ولبيت في انتظار العبد فأبلا عليه فانشغل خاطره وحدثه
نفسه بالاستذان والدخول إلى الدار . وفيها هو هم بذلك سمع حركة وشيأ وبعد
هيبة بان له نور عند الباب وسمع ريحان ينادي به فهروه وقلبة يختنق وركباه
ترتعشان رعدة الحب والبغنة . فعثرت رجلة بجمل من الباب الغيل كان مشدوداً
في جزع بعض الغيل حتى كاد يقع ولكنها تجاهل عن ذلك وتقدم إلى باب الدار
فاستقبلته لبابة مرحة ومشت أمامه وريحان يتقدماها بالصباح . فدخلت بو الفرفة التي
كانت قطام فيها ودعنه للجلوس على وسادة وجلس في على وسادة وترك ريحان
المصباح هناك وخرج

وكان سعيد يتوقع ان يرى قطاماً هناك فلم يرها فانشغل بالله وزاد انشغاله
لسكوت لبابة عن الحديث وجودها . فقال مالي اراك ساكتة يا حالة الم ترسلي
إلي بالجيء *

قالت على

قال وإن قطام

فتهجدت وقالت هي هنا في الفرفة الأخرى وستذهب إليها بعد قليل

قال اراك في قلق . . . ما الذي جرى . . . قولي

قالت لم يجر شيء . . . ونظاهرت كأنها تكتم خبراً

قال وكيف . مالي اراك كثيبة أخبرني لقد نفذ صبرني

قالت لا يشغل خاطرك يا ولدي اذ ليس هناك ما يدعو إلى القلق . غير أنني

مللت من استعطاف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها فلم أر منها إلا البكاء والتعجب ولم

اسمع إلا قوطاً «الانتقام» ومن يخاطبها بغير هذا الموضوع لا يسمع منها جواباً

قال الم تذكرني لما شيتاً من حديثي معك

قالت «كيف لا وهي لوم اذكر لها اسمك مشفوعاً بوعدك بالانتقام لما اجا بهني»

ثم ادنت نفسها من اذنو وقالت «ولكنني آمنت من خلال ذلك الفتح اهباً ترتاح الى

ذكر اسمك واظتها تحبك كثيراً ولكن انشغالها في الانتقام شغافها عن الحب ولذلك

فقد سرت لما اخبرتها بوعدك ولكنها لم تصدق قولي كأنها تخسيبي اقول مزاحاً او لعلها

استبعدت ذلك منك او خافت عدولك عنده لجهلها ما انت منظور عليه من الحبوبة وكرم الاخلاق » قالت الجوز ذلك بفمه تدل على ثقها الثامة بشرف نفس سعيد وصدق وعه . ثم شغلت نفسها بالتحنخة والسعال وصح آماقاها ما يقلب فيها من الدمع المتواصل لضعف الشيجوخة وصررت لترى ما يبدوا منه قبل انتهاء الحديث . اما هو فائز قوله في وهاج مافي فلو فقال لها « لا الوم قطاماً لاتها لا تعرفي بعد فهني معدورة اذا ساءت الطعن في ... ولكن ابن هي ارببي اباها فاؤكدها وعدى فتعلم من هو سعيد ... » قالت هي هنا

الفصل السادس

النقاء

وحملت لبابة المصباح يدها ومشت امام سعيد الى غرفة اخرى ليس في ارضها الا حصير . فوقه بعض جلود الماعز وقطام جالسة الاربعاء وهي تبكي وشعرها مخلول . فلما رأت النور يقترب من غرفتها اسرعت فضمت شعرها وارسلته الى خبرها وغطت رأسها بثوب اسود . ولم تكن تفعل ذلك حتى دخلت الجوز وهي تأول « خفني عنك يا قطام وارفعي بنفسك واشافي على شبابك لند كنانك بكاه وغوبيا . اذهبني فسللي على سعيد الذي قال لك انه يحبك »

فقطعت قطام كلامها قائلة « كم قلت لك لا تذكري الحب والغرام بل اذكرى القتل والانتقام . اي لا احب الا الانتقام ومن ينتقم لي فهو خلوق يانجحوني ولكن ... » فتقدم سعيد وقد اصبح بعد رؤية قطام في تلك الحال لا يرى شيئاً غيرها ولا يبني الا رضاها فشق عليه قوله « ولكن » لما يطلعني عليه من الاستدراك الذي يجعل نفسي عنه . فقال لها « ألا ترضين بقطام ان اكون انا المتنم لك ... » قالت وهي ظاهر بعدهم الاكترات « لا ... لا ارضى ان تعرض نفسك لهذا الامر من اجلني فاني اولى بذلك برکوب هذا المركب الحشين » ثم رفعت يدها وأشارت بسبابها الى صدرها وقالت بصوت تخلله غصة البكاء « انا اقتل قتلة اي واخي بيدي ... انا اقتل عاليآ وان كنت فحاء ، ان حب الانتقام يقويني ويشعري

... ولا حاجة في الى تعریض سوای خطر القتل ... اىك شاب لا يهلك من امر على شيء لا فكيف تتكلف قتلة عبداً ... ذلك لا يكون «

فالخدع سعيد بكلامها وحسب صادرًا عن شهامة وغيره حقيقين فازداد رغبة في الاقدام على ذلك العمل . فقال لها « كيف تقدمين يا ملجمة على هذا الامر وانا بين يديك . الملك لا ترين في الكناة . كيف تقولين انه لا يهلك من امر على شيء لا وانت تعلمين ان بي امية كافة يطالبونه بدم عثمان وانا منهم واذا قتلتة فاني ارضي كل بي امية فضلًا عن ارضاء قطام ... ان يذل النساء في سبيل ارضائهما هن ... واذا اذنت لي ان ادعوك حبيبتي فكل شيء لا يهون علي ... »

فما تختفت قطام وقوعة في الشراك بي عالمها ان تتمكن من وعد بصلك . تستكبة اية فامسكت تقابها يدها وتظاهرت باصلاحها فانكشف معهمها فرأى الاساور والدعايم وانت عيناها وقد ذبحتها من البكاء فازدادنا جلاً ورثت الي شذرًا وتأملته كأنها ترن مندرة على ما وعد به . اما هو فلا تسل عن حاله بعد ذلك النظر فثارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يحرضها على التوسط في الامر . فتظاهرت لباقة بانها تسامعت في غرفة وقالت لها « ألم يكنك ما قاله هذا الشهير ألم افل لك ان وعد صادق وفضلًا عن ارضاءك بقتل علي فهو برضي عشرتها وامله ايضاً . واعلي يا قطام انه لا بد من رجل يقتل هذا الخليفة ومن يسوق الى قتلها فانه صاحب النصيب الاولى والاجر الاعظيم »

فقطعت قطام كلام العجوز قائلة « انا اعلم انه مقتول لا عالة واما لم يبق من الرجال من ينجل ذلك فعلته انا يدي . انظاري الى هذه الخل في معصي واذفي التي لم اترعها ليس لاني لم احزن على والدي وأخي ... آه رحمة الله ... بل لاني وانفة من الانتقام لها وكأنني احبب ثأري حاصلاً في قبضة يدي ومني أخذت بالثار فقد احبيت القتيلين فكيف احزن اما ما قاله سعيد فهو فضل منه ولكن الانسان باخالة عرضة للتrepid فلعل سعيد اذا خرج من عندنا برى رأيا آخر او يهبيه من هذا الامر فيعدل عن الوعد . فانا لا اريد ان اقيمه في عهده اوري في نفقة كلامه ما يدل على خوفه منه ... لا اقول انه يخاف وقتل هذا الخليفة من اهون الامور . ولكنني لا ارى ان اكله وعداً اذا خلا بنفسه ربياً ندم عليه ... »

الفصل السابع

* الصك *

فهم سعيد بالكلم ليؤكد لها صدق وعده فاوقتها العجوز عن الكلام وتظاهرت بالدفاع عنه وقالت «أسمحي لي يا قطام بكلمة أقولها لك . أنت لا تعرفين سعيداً بعد ولكنني أعرفه وأعرف صدقه وانا أقول لك يا بياية عنه هل تربدين ان يكتب لك صكاً على نسوانه ينعمل كل ما قاله لك»

فلا يبع سعيد ذكر الصك تهيب وعظم الامر عليه وكأنه صاحاً من سكري لحظة تبين فيها خطارة ذلك الامر ثم عاد الى سكرة الفرام وزاده ثباتاً في ذلك ما سمعه من كلام العجوز الدال على ثقانها بو وبوعرو

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تبدو من سعيد فلم يتها ما جال في خاطرها ساعتين من الندم وهو يحاول النظاهر بخلاف ذلك . فلكي تحمله على كتابة الصك من ثلاثة نسخة قالت للجوز «اراكم اقمت نفسك ناثنة عنه في أمر لا نصح بياية فيه وهو غير راض بو وفي سكتونه أكبر دليل على ذلك . فدعينا من هنا الموضوع ولا نعرضي سعيداً لهذا الخطأ وانت تعلمين ما قلته لك عنه وما له من المزلة في قلبي وان اكن قلما رأيتها فافضل ان اعرض نسي للخطأ ولا اعرضه» فعظام ذلك التول على سعيد وثارت الحمية في راسه فنهض بعثة وقال لها الحسينين سكتون يا قطام عن تردد او خوف ... لا وحبك ما انا من يضلون بالنس في سبيل الحب وكيف تقولين انك تعلمين ذلك عني .. وربما ترددت في بادي الرأي . واما بعد ان علمت بما عندك فهو فاني اكتب الصك ولا ارضي الا بكتابه .. هاتوا رقًّا ومداداً» فنهضت العجوز حالاً لاستحضار الرق والمداد والقلم وكانت قد اعدت كل شيء قبل مجيئه

فاغنم سعيد غياها وازاح منعه واصلحه بحيث يواجه قطاماً . اما هي فنظرت الى وانهمت وقالت بصوت تخلله فجوة الدلال «لانعرض نفسك للقتل يا حبيبي وما لنا وللاصكوك الا يكفيينا القول»

فما صدق سعيد ان آنس منها هنا التقرب وبيع قوطا « حبشي » فجعل يبالغ في حب وغرامه واستهلاكه في سهامها وطابت له تلك المخلوة الفنية فتبادلا فيها من عواطف الحب ما لا تعي يشرحون المجلدات وسعيد يحمس نسأة اسعد انسان على وجه الارض لحصوله على حب قطام . وهي اثنا هما من كل ما جرى اغراوه على قتل علي وقد اضمرت في باطن سرها انه اذا اتفق لها تزوجته وان تكون غير مغفرة بو . وادا فشل في مهنته فلا اتفق عليه وقتل . فاذا كتب الصك لا يجسر على الرجوع عن وعده وادركت العجوز ان في ابطاعها وسيلة لتبادل الاشارات والخطوات وزيادة الفكير من الاغراء فابطأه لغير داع ثم عادت ويدها رق من جلد الماعز وقلم من القصب وقرن ايل فيه مداد اسود . فلما رأها سعيد وتحلق كتابة الصك عاوده الخوف وحدثته نفسه بالرجوع عن الوعد ولكن الحب والعزم يخفيه . ولم يخف تردد عن قطام خلاف ذلك بايتسامة ونظرة وهو يرنو اليها ويقول في نفسة « ما أسعده هذا اللقاء وما اجمل هذا الحبيب لولا ما اشتربطة من العقبات » ولم يترك له قطام فرصة ينفك فيها فقالت للجوز « لمن اتيت بهذه الادوات يا خالدة »

قالت أتيت بها الى سعيد

قالت « اخرجين منه ان يكتب الصك لا لا اظنه يكتبه (واتسمت وهي ترنو اليه شدراً) وكافي به ندم على ما فرط منه لا عن جين او خوف لا يصح الله ولتكن رأى قطاماً لا تتحقق هذه العناية واراه يتول في باطن سن (امن اجل امراة مثل هذه اقحم مثل هذا الخطر المايل) » . قالت ذلك ونظرت اليه نظر الحب العائب . فلما سمع سعيد كلامها ورأى فيها ذلك الدلال نسي كل خطر واستوى عليه المخجل ولم ير له مخرجآ من بخله الا بالمبادرة الى الرق فتناوله من يد لبابة وامسك القلم وقد اخذ منه الميام ما أخذها عظيمآ حتى توردت وجنتاه واحررت عيناه . فوققت العجوز الى جانب والمصباح في يدها فكتب وين ترتعش وهو يقبله لثلاً يدو ذلك لقطام فضلة خائفاً والبك نص كتابة :

« انا سعيد بن ... الابوي اعاد قطام بيت شحنة على قتل علي بن ابي طالب
مهراً لزواجه بها وادا لم افعل ذلك كت لا استحقها وعلى عهد الله وبماذا
كتبة سعيد الاموي

الفصل الثامن

﴿ قَاتِلُ الْحِيَّلَةِ ﴾

فَلَمَا فَرَغَ سَعِيدُ مِنْ كِتَابَةِ الصُّكْ دَفَعَهُ إِلَى قَطَامٍ وَقَدْ ظَاهَرَ عَلَيْهِ مَلَامِ الْأَخْتَارِ
بَانَهُ لَمْ يَكُنْ جِيَانًا كَمَا ظَاهِرَةُ - وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْفَعُهُ إِلَيْهَا حَتَّى أَحْسَنَ بِالْخَطَرِ الَّذِي عَرَّضَ
نَفْسَهُ لَهُ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْعَلِ ذَلِكَ الْخَطَرَ جِدًا لِمَا حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقْلَهُ مِنْ
غِيَاثَ الْوَجْدِ وَالْيَمَامِ

إِمَامَ قَطَامٍ فَتَنَاهُوا لِلرُّقْ وَقَرَآنٌ بِلَا أَكْتَرَاثٍ ثُمَّ نَظَرَتِ الْمَسْعِيدُ بِاسْتِغْرَابٍ
وَقَالَتْ « يَا قَاتِلُ الْحِيَّلَةِ كَتَبْتِ الصُّكْ حَتِيقَةً . إِلَيْسَ عَارِضًا عَلَى قَطَامٍ أَنْ تَأْخُذَ مِنْكَ
صَكًا عَلَى عَهْدِ عَاهِدِهِمَا عَلَيْهِ فِي مَثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ كَأَنَّكَ اخْتَدَلْتَ كَلَامِي مَأْخُوذِ الْجَدِيدِ
وَقَدْ قَلَتْ لَكَ الْآتَى لَا إِيمَانِي مِنْ يَقْتَلُ عَلَيَّ فَإِذَا لَمْ يَقْتَلْهُ أَحَدٌ قَتَلَهُ أَنَا . إِمَامٌ وَقَدْ
كَبِيَّهُ بِخَطِيئَتِكَ فَإِنِّي أَحْفَظُهُ عَنِّي تَذَكَّرًا هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَعْدَّهَا مِنْ لِيَالِي الْعَرَبِ . . .
وَارْجُو أَنْ يَجْمِعَ قَرِيبًا وَقَدْ نَلَّا الْمَرَامِ » قَالَتْ ذَلِكَ وَفِي صُورَهَا غَنَمةُ الدَّلَالِ

فَصَدَقَ سَعِيدُ كَلَامَهَا وَاطَّافَ بَانَهُ مِنْ قَبْلِ الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَى نَفْسِهِ الْمَصْكُ
الَّذِي كَتَبَهُ بَيْنَهُ وَلَكِنَّهُ عَلِمَ بَانَهُ لَا يَنْالُ قَطَامًا إِلَّا بَعْدِ قَتْلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ . فَعَادَ الْإِمَامُ إِلَى
خَطَارِتِهِ فَانْتَبَضَتْ نَفْسُهُ وَاحْبَابُ الْأَخْلَاءِ فَالْتَّسُّخُ الْمُخْرُوجُ . فَنَالَتْ لَهُ قَطَامٌ « أَمَكَتْ
عَدْنَا . . . أَوْ أَذْهَبَ لَعْلَكَ تَهْتَدِي إِلَى سَبِيلٍ يُفَرِّجُ زَمْنَ اجْتَمَاعِ الْأَذَمِ » قَالَتْ
ذَلِكَ وَإِنْتَمْتَ وَرَنْتَ إِلَيْهِ كَمَا يَرْنُونَ الْحَيْبَ إِذَا التَّسَ منْ مُحِبِّي أَمْرًا يَخْتَيِّي أَنْ يَكُونَ
بعِيدَ الْمَنَالِ . فَوَدَعَهَا سَعِيدٌ وَخَرَجَ فَشِيعَنَهُ لِبَابَةُ فَرَأَيَا رَجُلًا لَا يَرَالُ سَاهِرًا فِي
الْمَدِينَةِ يَطَّافُ حَوْلَ الْمَتَزَلِ خَوْفًا مِنْ الرَّقِباءِ وَالْعَيْونِ

وَلَا خَرَجَتْ لِبَابَةُ سَعِيدٍ قَالَتْ لَهُ وَهِيَ تَفْحَكُ « أَنِي اهْتَكَ بِرِضاَهُ هَذِهِ الْفَادِهُ
فَنَدَنَتْ اللَّيْلَهُ مَا طَلَّمَا تَخْسِرُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكَوْفَهُ بِلَ سَائِرِ أَهْلِ الْعَرَقِ . وَمِنْ الْغَرِيبِ
إِنَّهَا كَانَتْ مَعَ فَرْطِ حَزْنِهَا لَا نَسْطَعُ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ إِلَّا وَهِيَ تَبَسِّمُ . . . فَإِنَّ أَجْلَ الْمُحْبِبِ
إِذَا كَانَ مُتَبَدِّلًا . وَإِمَامَةُ الصُّكْ فَيَا هِيَ مِنْ الْأَهْلِيَّهُ فِي شَيْءٍ . وَهُنَّكَ
رَأَيْتَ فِي طَرِيقِكَ خَطَرًا فَهَلْ تَرْضِي قَطَامَ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ لَهُ » . فَوَدَعَهَا وَمَشَى

وحنٌ وهو يعبر بأذياله . وكأنه قادر قليلاً عند قطام فخلا بعقله وعادت إليه هواجسه
فتصور خطاره الامر الذي عرض نفسه له . ولما ميق له حيلة في الرجوع عن عهده
بعد كتابة الفك جعل ينفل لنفسه اعتذاراً تخفف قلنه وتحسن له ارتکاب ذلك
المكر . فخيل له اذا قتل علياً انه يتقم لسائربني أمية وبناخرم جميعاً بما لم يستطعه
احد منهم . فبنال حظيرة في عيني معاوية فضلاً عن غنمه بقطام . ولما نصور قرية
منها اخلط قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فشي وهو في مثل هذه الحالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومرّ بجماعها القائم في
وسط الساحة الكبرى . وكان الجمود هادئاً والقرميراً فرأى ما يصدق هنزل الإمام علي
من الآية والخيام بين فيها من كباربني هاشم وغيرهم من شيعته . وهو يعرف منهم
جماعه صناديد لا يهابون الموت . فما لبثت ان نصور ذلك حتى خارت قواه وكسر
عليه الامر ولكنه ظل مائياً يتنفس منزلة وهو يذكر في حيلة بنال بها بغية

الفصل التاسع

* طارق مفاجيء *

وكان منزلة في بعض اسواق الكوفة فوصله وهو يظن نفسه لا يزال بعيداً عنه
وانما نبهه الى ذلك جماعة جل رأي في قيادته فقلنته في يادي الرأي جملة وهو يهد
انه ارسله الى مأواه قبل خروجه . فدخل النساء فرأى هناك جمالاً وناساً كأنهم
قادمون من سفر فيفت . فتقدم إليه واحد منهم ولم يكدر يلقي عليه السلام حتى عرف
انه من رجال الله اي رحاب فاندهش ولم يرد التقبة ولكنه قال له ما وراءك
يا عبد الله ما الذي جاءكم

قال اننا قادمون من عند جدك مولانا اي رحاب

قال وما الذي حملكم على المجيء

قال جتناك في مهمة مستعجلة

قال وما هي

قال ان ابا رحاب بما تعرفه من ثيوفونتو وضعنا قد بعثنا نستفسرك
اليو سريعاً

فذهب وصاح قائلاً وما الذي اصابه العلة بريض

قال هو مرض الشيفوخة ولكن مثناق لروبك وقد امرنا ان نستفسرك حالاً

قال واين هو

قال هو في مكة كما نعلم

قال أذهب الى مكة الان

قال ذلك ما امرنا به فافعل ما بدارك

فلبث من صامتاً يذكر ثم مشى وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله . وسار عبدالله

في اثنين حتى دخل المنزل وها صامتان . ثم الثالث سعيد وهو يتبع عباده وقال لا بد
من امر ذي بال يدعوني جدي اليو قبل تعرفة

قال لا اخالة استدعاك الا ليراك قبل حاول اجلو لانه شائع وغصن وانت

تعلم انه يحبك ولا رجاء له سواك

قال لا حيلة لنا في التعمود فلبيت الليلة ونصح مسافرين . وقضى ليلته يذكر في

قطام وسدن

ولما أصبحوا ركب سعيد ناقته وركب عبد الله ورفاقه جمامهم وهما بالمسير فرأى

سعيد ان يودع قطاماً قبل السفر فاستهل رفقة ربها بعود اليم وسار يلتئم

هزماً وهو في لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر لبلة بالامس ولكن لم يضطر

لانشغال خاطره في جهت وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . ووصل المنزل

فألقى ريحاناً فسأل الله عن قطام . فقال انها خرجت في حاجة وسوف تعود

فقال الى اين ذهبت

قال الى مكان لا ادري ابن هن

فانشغل بال سعيد لغروجها في ذلك العجاج وهو لا يرى ما يدعو غثاء منها

الى الخروج فدببت الغيرة في قلبه فقال وهل مضت وحدها

قال سارت مع ليابة

قال انظها نطلع كثيراً

قال لا ادرى وربما ظلت الى المساء او الفد اذا ينحى في اتها التفت بعض اهلاها في مكان خارج الكوفة

دار ذلك الحديث بينها وسعيد لا يزال راكبا جملة يتردد بين ان يتظر عودتها قبل سفره او ان يسرر . وود لو يعلم ابن في يمضي اليها فيودعها ويذهب شيئا من غير تو عليها . ولو نتحقق معيتها بعد ساعة او بضع ساعات لفضل الاتظار ولكن خاف ان يطأول غيابها اياما . فعوّل على المسير الى مكة فنال لربحان أقرب قطاما السلام بعد رجوعها وقل لها اني شاخص الى مكة لامر دعو الى الاسراع وقد جئت لوداعها فلم اجدتها . على اني سأعود قريبا باذن الله

قال حسنا

فودعه وعاد فانضم الى رفاقه وسار بالقتس مكة وقلبة في الكوفة . ولم يكدر بخرج منها حتى ندم على خروجه ولم يرقطاها . ولكن القتس عذرها لنفسها بما دعاه الى الجلة من امر جد

الفصل العاشر

* ابو رحاب *

وكان ابو رحاب جد سعيد شيئا طاعنا في السن كما تقدم . وفي سعيد في سجين بعد موته والله وكان كلها على دعوةبني امية في المطالبة بدم عنان . ولم يكن غرضها من ذلك الا الانتقام لعنان لانها اقامت زمانا طويلا في منزله . وكان ابو رحاب مع شدة حبه لعنان لم يغفل عما كان فيه من الخطاء الذي دعا الناس الى اضطهاده وكثيرا ما كان بمحنة على الاصلاح ومصالحة المسلمين فلم يচفع له الا قليلا . وعلم ابو رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوي الاغراض كانوا يشنونه عن الاصفاء وبمحنة عدوه على العداء . حتى اذا قتل عنان كان ابو رحاب وسعيد في جملة المطالبين بدمه . ولكن ما لينا ان عادا من واقعة الجبل حتى قعد ابو رحاب عن المطالبة لانه تحقق ان اصحاب تلك الواقعه اثما حاربوا عليا ملعونا في الملك لا غيره على عنان واقام في سكة من لا نسلية له الا سعيد وكان سعيد يتوبي الانفاس الى جد

معاوية في واقعة صفين فجدهاً . وكان ابو رحاب يعلم ان سعيدًا يجب قطامًا حيًّا
شديداً وإنه ساعٍ في التزوج بها . ولذلك فانه كان بأذن لله في الخروج الى الكوفة
لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس ابو رحاب بزيادة الضعف فاراد
استقداماً ليتزوج من رؤيتها قبل موته وبوصية وصيه لها علاقة كبيرة في ثورون جانبه
وربما غيرت مجرى اعماله وحولته عن مذاصله وأماله . فبعث رجلاً من خاصيه اممه
عبدالله في وفدي الى الكوفة هن الغاية . ولم ينتظر رجوعهم وهو ينقلب على فراش
الضعف والهرم كأنه يستهل ملوك الموت ربها يصل حذنه الا يذهب ما في نفسه
ادراج الرياح ونضيع حياة سعيد عيناً

اما سعيد فانه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام
وقلق على ابي رحاب . وكان من شدة فرجه بقطام اثنا بود بناء جده حيًّا ليشرع
برضاعها وقوطا لانه طالما شكي له رغبته فيها . وكان ابو رحاب ينتهاها . وكان
سعيد اذا ذكر في ذلك فرح ثم يتعرض فرحة امرالصلك وقتل الامام فتضطر
فيعمل نفسه بما يناله من الغر اذا قيل علیاً فضلاً عن استرضاء جده لانه يطعن ما
يجوش في نفسه من نار الانتقام لعنان فيفرحة قبل موته

قضى أكثر أيام الطريق في مثل هذه المواجهات لا ياليهن حوله من الرفاق
كانه سائر وحده . ولم يكن يشغله عن ذلك ما يلاقيه في سيلو من الجبال
والاودية والصحاري ولا ما يمر به من الربوع والاسحاق والخيم حتى اشرف على مكة
عن أكمة . فاذا هي في ميسط من الارض تحيط بها الجبال والكعبة قائمة بين ابياتها
قيام الملك بين الاعوان . وكانت الشمس قد مالت نحو الغروب فاسرع في سيره
يلتئس مازل جده وقلبه يخفق خوفاً عليه من بأس بهيبة قبل وصوله

الفصل الحادي عشر

﴿٣﴾ بيت ابي رحاب

ولم يكدر يدخل مكة حتى سدل الليل ثانية فساق نافعه يلتئس المازل قبل
اشتداد الظلام وترك رفقاء يهبون بشؤونهم . وكانت عادة اذا دخل مكة ان

يغافل الكعبة قبل النهاب الى البيت ولكن سار في هذه المرة تجألاً الى المترجل وهو يضطرب خوفاً على حياة جده

فخرج في منعطف يؤدي الى البيت رأى فيو انباساً عرف انهم من الاهل والاصدقاء ثم خماهم وسأله عن حال ابي رحاب . فلما عرفوه طلبوا وسيلة بعدهم ليبشر المريض بقدوم حذنه . فلما اطألن بالسعيد على حياة جده هداً روعة وترجم عن ناقته وسلها الى بعض الخدم وهي وحلاً يزال بالعباءة والكوفية والسيف . فانطلق الى باب كبير متصل دخل من خوخته ولم يتذكر ان ينخره له . فمرّ في فداء لم ير في هذه احداً وسار تجألاً الى الغرفة التي ينتمي فيها جده عادة وفيها مصباح مثير دون سائر الغرف . وقبل وصوله الى باب استقبله رجل خارج من عنده يشي المريض على رؤوس اصابعه مخافة ان يوقف المريض من نومه المبיך . فعرف سعيد انه من بعض اهله فسألته عن حال جده

فقال له «انه مستغرق في الرقاد وقد مضى عليه بضعة ايام لا ينام فلما احس بالتعاس الان أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواه واوصاني ان لا اوفر له الا اذا جئت انت»

قال دعي ادخل واراه وهو نائم قال ذلك وزرع حداه خارجاً ودخل وهو يسترق الحنطي . فوطئ العتبة واطل على الغرفة فاذاك هي مدبة بسراج على مسرجة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة بارزة من الحائط بجانب فراش المريض وكانت قليلة السراح ثمينة يتصاعد من طيبها سناج يتغایر فيترك في صعوده آثاراً سوداء على الحائط بجانب السراج ولو كان لون الحائط نبي البياض لاظهرت آثار السناج أكثر جلاء ولكنها كان مدهوناً بعدين امس

وتحمّل سعيد نحو الفراش وقلبه يتفق لثلاً يكون رقاد جده ابداً كما يتفق لكثيرين من هرمون فيبونتون وهم نائم . فمشى على حمير من سقف الخل يكسو ارض الغرفة عليه غطاء من جلد مصنوع هو ينزله البساط وسار نحو الزراش . وكانوا لما اشتد به الضغف رفعوه عن الارض الى مقعد مستحلب ظهره شبكة من نسج الجلد وهي قدد من جلد يشدومها بين جوانب المقعد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة او يجعلون فوقها الفرش او نحوها . وكان ابو رحاب قد توسد فراشاً رقيقاً والخف

يرد من صوف اسود يغطي الى اعلى الصدر وقد توشد على ظهره ويداه مضمومتان
تحت الحاف وعيناه مغمضتان يطللها شعر حاجيتو فيزيفها غوراً

وحلما اقترب سعيد من جده رمى ببصره الى صدره ليرى نفسه فادا هو يتفس
تنفساً هادئاً فهذا اضطرابه وسكن بالماله ولبس واقفاً يتأمل في ظواهر الارض . وتدكر
ان جده كان من كبار الامة طولاً وعرضًا فرآه قد أصبح هيكلًا من عظام مكسوة
بالجلد اما وجهه فلم يكن ظاهرًا منه الا لائف والجهة وما بيته كان مغلق بالشعر
الا يض الناصع . وازداد ذلك المظاهر رهبة حيث لم يضعف النور حتى خيل لسعيد لما
اشرف على فراش جده ان رأسه كثلة من القطن المدوف يخللها ثبات مظللة في
الانف والوجستان والجهة واما ما خلا ذلك فقد غطته اللوعة والشاربان والمحاجان .
واستحالات لحيته وانسحبت حتى غطت عينيه وصدره ولكنها كانت قبلة الشعر نصفه
عن عنق دقيق مستطويل بانت عضلاته وفي مقدمها القصبة قد برزت بروزًا عظيمًا
اما الرأس فقد كان حليباً او لعله أحلى

وكأن شيخنا الرائد قد دلله قلبها المتين ظ على عجي . حينده فخرك وتقلل ثم
فتح عينيه البراقين واجال نظره في جوانب الغرفة حتى وقع على سعيد فجسم . فطا
رأه سعيد قد استيقظ جنما امام فراشه وهم يحتشل يديه . فرفع ابو رحاب ذراعيه
وضم سعيداً الى صدره وطلق يستنشق رائحة عتيقه وخدشه بلهنه وسعید يعاوه بكل
حركة يريدها . فأطال ابو رحاب عناقه وسعید صابر حتى أحس بهاء ساخن يخدر
على خده علم انها دموع عينيه ولكنها بدر دموع الحزن هي ام دموع الفرح . على
انه خاف على جده فاستأذنه وينهض عن صدره فرآه يحاول الجلوس فاعانه عليه
يدو ونظر اليه وهو جالس فانذهل لدنه ضعنو حتى تخيلة قفصاً من عظام استدل على
ذلك ما انكشف من عنقه الى اعلى الصدر

اما ابو رحاب فأخذ يصلح لحيته وشاربيه ويضع عينيه . ثم تخفج ومه بدء الى
سعید فعل هذا انه يريد يده فدفعها اليه فامسكها ابو رحاب بين يديه . فاحسن
سعید كابها مقبضة باصابع من حديد ليبوسها انامله وجذاف جلدتها وبرودتها ولكنها
شعر بارتعاشه ارتعاشاً متواصلاً هو من دلائل الضعف الشديد

الفصل الثاني عشر

* . انقلابُ غريب *

وما زال سعيد يغول في جده الفعف الشديد حتى سمع صوتها فادا هو كما يعوده جهوري رنان . فاسأله يه واطلاقن بالله لسماعه . وأول كلبة سمعها منه قوله « الحمد لله على محبتك ساماً . لند اطللت الغربة عليْ يا ولدي » قال لند جيتك سريعاً حاماً علمنت برغبتك في ذلك كيف انت الآن وبماذا نشعر يا جد؟

قال كدت احصيبي على شنا الموت ولكنني لما رأيتك واسكت يدك شعرت برجوع قوائي . فانا الان كما تعرفي من عشر سنوات وكان الله شدد عزيفي لأنك من ترويدك بتصحية هي آخر ما اتناظر بي في هذه الحياة . قال « اني اشناق لصالحك في كل حين ولكنني ارجوان يهد الله في اجلك لشهد زواجي بقطام » ثم التفت بيته ويسرة فلا يسمعه احد فرأى المكان خالياً من الناس فقال بصوت مخفي « وترج يا سيدنقدم ذلك من الانتقام الذي طلما تاقت نفسك اليه »

فنظر الشيخ الى بعيدين رأى سعيد يرقبهما من خلال الحاجبين وكانت قوس الشيشوخة واضحان حولها ثم سمع جده يقول « اما زواجه بقطام فقد فهمته وسرّني بولوغك مرارك واما الانتقام فلم افهم علاقته بها » فبسم وقال لا تذكر يا جدنا ما قينا به منذ اعواام وقام يه كل بي امهه من المطالبة بدم الخليفة المقتول ظلماً . وهل تخسر احد على الانتقام بقتل القاتل ليخلو الجبهة لنا

فاقترب الدخيخ اسرته كأنه غضب وقال « من هو القاتل ومن سيقتلة » فأدلى سعيد شفتيه من اذن جده وقال « ان القاتل علي ابن اي طالب وانا سأقتلة ولا يعنني حلوك ما في ذلك من الغدر والنضل فاما ابني بتاتك لم ينم ذلك تحت جناحك ... »

ولم يصر الشیخ علی صاحب بنیة الحديث لعزم اخظرابه وحشتو . وعرف سعید حنة ما رأه من ارتعاش يده واحتلاج شنبیه واعتراض لحیته . ولا نسل عن دهشة سعید لما سمع جده يقاطع عليه الكلام فاثلاص صوت عیف « لا لا لا يا سعید . لا لا تقللي البری » فانذهل وظن جده لم يفهم كلامه « فقال له ثہل يا جداه واي بريه تعنی اني سأتفهم من علي بن ابي طالب فكینت تتول الله بريه وانت اول من دعا الى المطالبة بدم عثمان منه . يظهر انك اخطأ مرادي »

قال « كلاماً اني لم اخطئ مرادي فلا تخجلني انت مرادي . ان علياً بريه الله بريه لا ما اتهماه بيه . الله لم يقتل عثمان ولا مالاً على قتله ولا اراد سوا بال المسلمين ولا ارتكب امراً يستوجب نفيه »

فوقت سعید وهو يحسب نفسه في مسام لعله ان جدته كان من اول الناقرين على علی فكيف انقلب الى الفد من ذلك . فتبادر الى ذهنه ان جد ابا يتكلم عن خرف . وادرک ابو رحاب ما قال في خاطره فقال له « لا يخالجن » ذهلك بذلك في صحة عقلي فاني انا اقول ما اقوله عن رؤیة وطوبيل نظر ولم استقدمك من العراق الا لملئ الغایة . ولا اقول ذلك جرافاً بل اثبته بالبرهان »

وما زال سعید متذلاً مستغرباً لكتة صبر نفسه الى آخر الحديث فقال « وما الذي دعاك الى هذا التغيير العظيم . كيف يمكن ان يكون ذلك وكيف يمكن ان يكون علياً بريه من دم عثمان بل كيف تعرف انت ببراءتي وقد كنت من اول القاتلين بامامه »

فasher الشیخ بيده الى سعید ان يجلس ويهديه روعة ويصرير نفسه الى سرد البراهین ثم قال « اماماً دعاني الى ذلك فهو هانف سمعته يتول ويكرر التبول (ان علياً بريه) وانا يتهمه اهل المطاعم والاغراض) وكانت كفها توجهت اجمع هذا الصوت بينه في اذني حتى افلق راحتي . فجئت عن الامر ببني وتنبرت ما اعمله من تاریخ علي وعثمان وغيرها من القاتلين في هذه اللحظة فوجدت معاویة وسائر بني امية على ضلال بل م اهل اغراض اخذنوا من قبل الخليفة المظلوم ذريعة للஹول عليها » قال ذلك واقطب حاجبيه وقد أبقرت عيناه من خلال قوس الاشیاخ حول حدقيه وبأن الجدة في مجيئه فضل سعید صامتاً لا يهدي حراً كما استولى عليه من الدهشة

الفصل الثالث عشر

* التهمة الباطلة *

فضسط الشیخ لعینه باصاً بعو واصلح شعر حاجیو وشاریو واتفنت الى سعید وقال « يزعم معاویة واصحابه انهم اثنا جردوا السیوف وسكنوا الدماء للمطالبة بدم عذان كأنهم لم يكونوا يستطيعون الذبّ عنه قبل قتلهم . ولقد يتحققکي مطالبة عمر بن العاص بدم عذان وهو اول من اراد قتله وسعي في قتله حتى لقد ينخر انه هو الذي قتله وان يكن في فلسطين . فقد علمتُ انه لما بلغه مقتل عذان وهو في وادي السبع قال (انا قتله وانا في وادي السبع) ^(١) يعني انه سعى في قتله عن بعد . فلا يفترنك بعد ذلك عبئته هو وإبناء ماشين الى دمشق وهم يکونون ويقولون (وإن عذانه تتعي الحياة والدين) انهم اثنا فعلوا ذلك حيلة للانقضاض الى معاویة

« وأما معاویة وسائر بي امية فهل تحسهم اشرعوا الاسنة ويا نظروا لفتنة طلب بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ فإذا كانوا فعلوا ذلك غيره وحنا ما بالهم لم يدعوا عنه وهو محصور يستجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب انهم تأخرت عن مجدوه كرهها كما يزعجون فما بالهم نسوه ونسوا اولاده . وإذا كانوا يعتقدون موتة مظلوماً وانهم اثنا فاما للمطالبة بدمه فلماذا لم يبولوا الخلافة ولدآ من اولاده ؟ . أرأيت كيف الخذلوا اسم هذا الخليفة ودمه ذريعة الى السلطة

« هكذا فعل ايضاً طلحه والزبير فقد قتل عذان وهو في المدينة على قيد اذرع منه فلو ارادوا احياءه لم يعجز الدفاع فسكنوا عن قتله حتى اذا رأوا الخلافة افاقت الى علي نظارها بالدفاع عن عذان وقالوا انه قتل ظلماً »

وكان الشیخ يتکلم وهو يحاول خفت صوته فلا يطأوعه الريح فلا يشعر الا وقد علا صوته لعلمه غصان^{*} وارتجاجات . وأما سعید فكان يسمع كلام جد وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهیباً واحتراماً . فلما وصل ابو رحاب الى هنا الحد سكت برها تشاغل فيها هسج فهو وشاریو ما لجهما من ثبات ريفو اثناء الكلام

(١) ابن الأثير وغيره

لأن المرمي أخلي فكثير من الأسنان . فاخترتم سعيد تلك الفرصة وخطاب جده ، فاتألاً « كيف تمحض عمل هؤلاء طمعاً في الخلافة ولا تمحض عمل عليٍّ أيضاً مثل علهم . وقد كانوا جميعاً في المدينة فكيف إذا قبل الخليفة تكون البيعة لواحد منهم والباقيون يتظرون . ماذا لم تمحض ذلك طمعاً من عليٍّ ؟ »

فحصلت الشیخ خدکة اغتصابية او هي قهقهة ثبة الشخص لعظم ما قام في نعمه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . وقبل أن يتم قهقحتها حول وجهه إلى سعيد وقال « اسألني عن خلافة عليٍّ وقد كان الأولى في أن أسأله نسي ما الذي أعادني عن حقوقه ففهم من أول الأمر صدق النائل أن الغرض يعني ويضم ... ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا الإمام وهو ابن عم الرسول (صلم) وصهره على أبيه فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو أول الناس إسلاماً بعد خديجه (١) وزد على ذلك ان الرسول (صلم) ربي في حجر أبي طالب والد عليٍّ . وقد كتب له ودافع عنه عبد أول الدعوة . وكانت قريش تكره دعوه حتى كثروا ما هم بادينو وأبو طالب يدعم بهما من المازلة الرفيعة عندهم . فلما ولد عليٍّ في حجر الرسول (صلم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذهب عن الإسلام يقلبه ويدعوه ولما زادت ولايسى يوم الهاجرة يوم تأمّرت قريش على أذية الرسول (صلم) في مكة فعوّل على الهاجرة كيف ان علياً أقام مقامة في منزله تشجعه ببرده وبات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . ناهيك عن حرمه في الغزوات والسرایا فقد شهد معظم الواقع وأشهرها وبلغ نسمة في الندب عن الإسلام يوم كان معاوية دوالك وآخرته في مكة من الذراع اعداء الإسلام ولم يسلموه إلا بعد فتح مكة اي بعد قنوطهم من النصر (٢)

الفصل الرابع عشر

عليٌّ والخلافة

وكان أبو رحاب يتكلّم بالعرق يتصبّ عن جيشه كأنه يعلم عملاً شائعاً يجهد نفسه فيه وسعيد صامت مطرق لا يزال في دهنه واستغراها حق كاد ينوب عن صوابه . ولم

يحصر على كلام . وطال سكت جده فهم باستهانة فرآه يخاطر للكلام فسكت واصفى فقال ابو رحاب « اراك دعشت لما سمعته كأنك لم تعلم قبلاً ولا ألمك اذا علمتني وتجاهلته فاني اكبر منك سنًا واعلم منك في هذه الشؤون وقد اعالي الغرض . وكأنني بعد ذاك الماء قد فتحت عيناي وصرت انظر الى الحقيقة كما هي ٠٠

« نعم ان علياً اولى منهم جميعاً بالخلافة والرسول (صلم) فضله عليهم جميعاً وآخاه دون سواء فقال للإعلى مسمى من الصحابة (انت اخي في الدنيا والآخرة) وخطابه مرة وقال (لا يهلك الا مؤمن ولا يغفر لآكافر) ولقد تستغرب ما سأله عليه وتعجب كيف لم يقول " الخلافة قبل الآن كف لا وهو قول الرسول (ان علياً مفيانا من علي وهو ولبي كل مؤمن بعدي) وقوله (صام) (من كتب مولاه فعليه مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاد) ^(١) فمن يعلم ذلك ويجهب خلافه بل كيف لا يعجب لتفاذه عن الخلافة الى الآن »

وكان سعيد لا يزال مطرقاً وقد تغيرت سمعته وتولنه الدهشة حتى ظن نفسه في منام وندم على مجيئه لانه اصبح بعد سماع ذلك الكلام حجرًا بين مطرقيين لا يدرى اي تorum بهم لعلما الذي ملأكم لبّه ام يتعلّم بوصية جده وهو في آخر أيام الدنيا . فظل صامتاً لا يدري حراً كثراً . وادرك جده تلبكه ولكنه تجاهل عما يقول في خاطره وبعد الى اثمام الحديث فقال

« فترى يا ولدي ان علياً اولى بالخلافة من سائر الصحابة بالنظر الى قرابته وصهره ووصيحة الرسول له ولكنك يا ازار عن سائر الناس بفضل تكفي وحدتها لتوليه امور المسلمين لا ارى في معاوية واصحابه شيئاً منها . ان علياً رجل متخفّف زائد في الدنيا رأيته من انزل سيفه للسوق فباعه فسئل لماذا فعل ذلك فقال (لو كان عندي اربعة دراهم ثم آذار لم ابعه) وبكتي قوله في وصف المؤمنين (ومن يعام ان يكونوا خص العطوات من الطوى بيس الشناه من الظا عمش العيون من البكا) ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه لا صفراء ولا يضاً . وقد قضى عمره في عز الاسلام وفتح التوحات ولم يلمس ثوبًا جديداً ولا اقتنى ضياعه ولا ربما ^(٢) ومن كان في مقامه قادر على حشد الاموال وافتتاح العبيد والاما ولفيابع

(١) اند الشابة ج ٤ (٢) المسودي ج ٢

والمأشية كما فعل غيره من الصحابة كطلاحة والزبير وعثمان وصاحبنا وابن
عساوية ٥

الفصل الخامس عشر

* معاوية واصحابه *

ولما بلغ الشيخ الى هذا الحد تهدىً عينها ثم قال وصوته يعلو بالرغم عنه « ان
معاوية خدعا بظهوره في نصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا بالامام علي وقد كا في
ظلمات من الفرض لا نرى الحق واما الان وقد قشعت الغشا عن عي فاني اصبحت
نافقا على معاوية واذا فكرت في اعماله واعمال علي كدت ابكي غرظاً وينظر قلي اسفاً
على ما نال هذا الامام من الاذى الذي لا يستحقه . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم
اصصر علينا في واقعة الجمل كيف انه اشقى على عدو اشقاوة على اولاده فما وصى
اصحابه ان لا يلتفوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء .
وكم اوصى عالى ان يتسلطوا في احكامهم وقد اخبرني رجل سمعه يوصى احد عالي وبنول
(لا تضرن) رجلاً سوطاً في جباه درهم ولا تبعن رزقاً ولا كسره شفاه ولا صيداً
ولا دابة يعذرون عليها ولا تبعن رجلاً فائضاً في طلب درهم ^(١) ولو اردت ان
اسرد من امثلة ذلك لفراق في المقام وخفت انتقامه اجل قبل الفراغ منها وإنما انا
استهل ملاك الموت ربيها ائم وصهي لله ... فاصبح لي باولدي وبأمل عدل
الامام علي وحلو وما ارتكته معاوية وعالى من المهدى على المسلمين . وخوفاً من زيادة
التطويل وقد تعجبت من الكلام اذكر لك حادثة قريبة المهد لا يزال صدامها يربو
في الآذان ... آه ... آه من النساء اهل المطاعم ... اعرف عيد الله
ابن عباس ؟ »

قال « كيف لا اعرفه وهو ابن عم الرسول (صلم) وابن عم علي بن ابي
طالب . نعم اعرفه »

قال اصح ما اقصه عليك واعنبر : لما فرغ معاوية من واقعة صفين وتحكيم الحكيمين
 وظفر بالخلافة بحملة عرو وبن العاص كا انعلم بايده اهل الشام وظل على في العراق . فلم
 يقنع معاوية بما اوفيه من الحكم فبعث سراياه الى المخازن وال伊拉克 للتخليق بدعون الناس
 الى يعلو وتنفس بيعنة علي . وكان رسوله الى المخازن والبيزن بسر بن ارتقاء في جاء المدينة
 وتولماها لان عاملها فر من وجوهه . ثم جاء مكة هذهمنذ شهرين ولا يزال الناس
 يخذلون بقرار صاحبها اي موسى الاشعري من وجوهه بلا حرب . فاكثرة اهلها على
 الريعة فبايعة اهل مكة مكرهين وقد كتبت مريضا ولم ار وجهه ... على ان علة
 هذا لا يستوجب ملامة ولكن سار الى البيزن وعاملها عبد الله بن عباس الذي ذكرته
 لك . شفاف عبد الله فهرب الى الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان فلم يكن من
 بسر بعد دخوله البيزن الا انه أمر عبد الله هذا فقتلته وقتل ابنته صبرا ... وسمع
 بابنيين صغيرين لغريب الله بن عباس قد ودعهما عند رجل من كانه بالبادية فاراد
 قتلها فبعث اليها فجاء الكافاني ونمة الطبلان فلما علم ان بسر ا يريد قتلها ذعر وصاح
 قائلاً « لم تقتل هذين ولا ذنب لها فان كنت قاتلها فاقتلني معها » ولم يكن من
 ذلك الظالم الا انه قتل الطبلان والكافاني ^(١) وبلغني ان الكافاني دافع عنها حتى
 قتل . ولقد اعجبني قول امرأة من كانه رأت ابن ارتقاء مارداً بعد تلك الناجمة فقالت
 له « يا هذا قتلت الرجال فعلام قتل هذين والله ما كانوا يقتلون الاطفال في
 الجاهلية ولا الاسلام . والله يا ابن ارتقاء ان سلطاناً لا ينوم الا يقتل الصبي الصغير
 والشيخ الكبير وترزع الرحمة وغلوق الارحام لسلطان سو » ^(٢)
 هن يا ولدي اعمال معاوية وعالو فاين هي من اعمال الامام علي فكيف تقم عليه
 بعد ذلك وتنقول انه قتل عقاباً والله يستوجب القتل ؟

الفصل السادس عشر

* الخوارج *

ولم يتم الشیخ کلامه حتى خارت فواه وعبر عن الكلام وملّ القعود فاستلقى

على ظهره وهو يلتحم والعرق يتصلب عن جيبيه فخاف سعيد عليه فأمرع الى منديل
مسح بوجهه ونادى ناه بابن كانوا اعدوه للفخر به واستلقى يائس الراحة وسعيد جالس
الى جانبيه وقد وقع في حيرة عقله . فتصور عينه لنظام بالصلك الذي كتبه على قدمه
ولبست صامتاً وجدَهُ الشیخ بالثنتين اليه خلسة برافق عواطفه . فادرك ارتباكة وعلم انه
ينذكر بتعالم وإلهامها فخوّل وجهها نحوه وهو لا يزال مستلقياً وقال « اذنك تذكر في نظام
واعلام الخوارج وقد يخجل لك ان خروجهم من طاعة علي قد يطعن بصدق ما قلته
لك ولكنهم لم يخرجوا الا طمعاً في الدنيا فالخلخلة سبباً لا يسمعة عاقل الا هرآ هم
ولابن بعدهم . خلعوا طاعة علي لانه قبل بالحكم المشهور وما ذنبه وهم الذين
اجبروه على قبوله وهب انه اخطأ فهل يخرجون عليه ويحاربونه . ولكنهم رأوا معاوية
قام في الشام وكاد ينوز بالخلافة فقطعوا به بالحكومة لانهم فاجتمعوا على نفس اليمعة
وبويع ذلك انهم ولما عليهم رئيساً منهم وبائعه ولكنهم فشلوا في حروفهم وعادت
المائدة عليهم

وليس فشل بالدليل على سوء نياتهم ولكنني انلو عليك حكاية سمعتها من رجل ائذ بصدق روى بيده قال ان المخواج عند اول خروجه من ملاعنة علي على اثر رجوعهم من صفين تزلوا عند التهرا وان فرأوا رجلاً يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانه هرثه فأفرغعنه وقالوا له من انت قال انا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (صلعم) . فقالوا له افرزعنك . قال نعم . قالوا لاروع عليك حدثنا عن ابيك حدبيها سمعة من رسول الله صلم . قال انا تكون فتنة يوم فيها قلب الرجل كما يوم فيه بدنه يسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً ويسي مومناً . قالوا لهذا الحديث سأنا لك فما تقول في ابي هكر وغيره . فاثنى عليهما خيره . قالوا ما تناول في عمان في اول خلافته وفي آخرها . قال انا كان هنا في اولها وفي آخرها . قالوا فما تقول في علي قبل الفتح الكبير وبعد قال انا اعلم بالله منكم واشد توقياً على دينه وانهذا بصريه . فقالوا انت شيع الموى وتوالي الرجال على اسماها لا على افعالها والله لنشهدك قتلة ما قتلناها احداً . فاخذني وكتنوه ثم اقابلاي به وبامرأتي وفي حمل مني حتى تزلوا تحت مدخله وواقبر فسلطت منه رطبة فاخذتها احدم فتركتها في فهو فتال آخر اخذتها بغير حلها وبغير ثين قال لها ثم مرّ بهم خنزير لأهل الذمة فضر به احد يديه فتالوا هذا فساد في الارض فلقي صاحب

الخزير فارضاًه فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لمن كتم صادقين فيما أرى فما على منكم من بأس ألم ما حدث في الإسلام جدنا ولقد أنتيوني قلم لاروع عليك . فالأخجمعون قدجزوا فصال دمه في الماء وأقبلوا إلى المرأة فقالت ألم امرأة لا تنتنون الله . ففقرت بطنها . هكذا أعمال أعداء الله وهذا هو على ^{كيف} نعم عليه بل كف عنه ^{نعت} أو نساعد على قتلها بل كيف نسكت عن قاتلها ولا ندافع عنه

الفصل السابع عشر

* خاتمة الوصبة *

فلما رأى سعيد عبادة حديث جده لم يمد يذكرة الصك الذي كتبه على نفسه وتعهد فيه بقتل علي لثلا بزيد خصبة . فظل ساكناً ينكر في جملة يخلص بها من وعده والتي هي أحسن فلم يسعده ذهنه على التأمل وقد أحسن بالشعب الشديد ورأى أبا رحاب قد تعب أيضاً . فقال له لقد أنتي نسلك يا جداه بوصايةي فاشكر عنايتك وإنني أرى في قولك الصواب وإطلب إليك أن يقدرني على العمل وفاسترح الليلة وغداً نصبح إن شاء الله وقد أرتحنا فنبدأ نصف الكلام . قال ذلك وأكب على يده فقبلها فرأها قد زادت ببرودة وجودة . فقال له جده « ثم هدينا يا ولدي ولكنني أخشى أن لا أصبح في الغد فلا بد من كلفة إنوما وهي خاتمة وصيبي لك » قال ذلك ويد يده فدنا سعيد اليه فعانته وبكي ثم قال والداعم ملء عينيه وشأنه ترجمان وذقة ثبات « اذا شئت يا ولدي ان ينارق جدك هذه الدنيا مرتاحاً معاشرًا عايش بانك تمثل بوصيتي اي انك لا تبني سموا لللام على بل اذا رأيت سيلان للدفاع عنه دافع بكل جهودك . هل تعاهدني على ذلك ؟ عاهدني عليه . وأجير قلبي وأذكري اني جدك والدك ووصيك واني ربيتك وكفالتك واني لا اريد بك الا المغير . هل تعاهدني على ذلك . . . قل نعم وأجير قلبي اني قلق عليك

فتأنثر سعيد من كلام جده حتى اغزو رقت عيناه بالدموع وتذكر حنينه وإن العلاوة فلم يسمع ألا الآيات فعاذه على وصيبي

ولكثة لم يكد يملاه حتى تذكر عهود لفطام في الفض من ذلك فعظام عليه الامر على ان البغية أنسنة هول ذلك الفضاد . ورأى في جهة ميلاً الى الرقاد فدعوا الرجل الموكل بخدمته وامره ان يتولى تعدينه في اثناء رقاده وخرج الى غرفة اخرى تزعج فيها ثيابه والنفس الراحة . اما الرقاد فلم يكن له فيه مطعم بعد ما اشابة من المواجه والمشاغل على انه لم يكن بهداً له بال فإذا فكر في حاله ازداد الامر خطارة لدبو وهالة ما رأى به نفسه من عهدين متناقضين . فكان كلما نصور عدوه عن قتل الامام علي شعر بارتباط من الخطأ الذي كان يخافه على نفسه لو باشر القتل . ولكنه لا يلتفت ان ينكر بهذه المكتوب وبقليل المغلول حتى تزداد فرائصه ويرتكب في امور فيهب من فراشه كأنه اصيب بخجل

الفصل الثامن عشر

﴿ طيف قطام ﴾

وما زال في مثل ذلك حتى انتهى نصف الليل وهو لم يفض له جنون ولم يزدد الا اضطراباً وقلقاً . وضاقت الدنيا لدبو فذهب من فراشه وترمل ببرده وعباه ونم وخرج يائس الخلاه . وكانت الظلام غنياً وقد رقد الناس ولم يبق في شوارع مكة احد . ففرح لذلك المدح وسار لا يدرى الى اين وهو غارق في هوا جسده ولم يسر قليلاً حتى شعر بالبرد فالتف بالعباءة وظل "ماشياً تارة يبطئ وطوراً يسرع على غير هدى" فاشعر الا وهو يباب المجد المحرام واحس "ل ساعده بارتباط . فقال في نسو لادخان" المجد اصلي ركعتين لعل الله يوحى اليه طربة تختلف اضطرابي . وكان الباب متوهاً وصحن المجد خالياً فنما بط نعليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصل وجد فاحس ل ساعده براحة فطاف حول الكعبة ثم النس مكاناً وراءها انكاً فيه وعادت اليه هوا جسده . فارسل بصر برقب الجبوم السابحة في النسا . وقد اجذب بصر جمال القبة الزرقاء . وفكاكه تائهة في ما احدث بـ "ماشت البرد علي فادخل رأسه في العباءة جعلها خماراً . وكان النسب والبرد تغلبا عليه فخدر بدنها واستوى عليه التهاس ولكنه

لم يكُن بإختصار جنديو حتى ابدرته الاحلام فرأى قياماً يجلب اسود وقد استقرت عن عيناهما فبدت عيناهما المخوّلتين ورأها تمشي نحو حافية الندودن على بساط من ريش العام الایض . فتحققت قلبية لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرأها اعرضت اعراض العاتب وعيناهما شللاً آن بالدموع فتفطر قلبية لرؤيتها وساها اعراضها فهم بالاقبال عليها فلم تسعنة رجلاء لما نولها من الرعن فنادها يائس قربها فلم تجده وظلت معرضة وقد نحولت عنده ومشت وهي تنظر اليه شرراً ولسان حاملها يتول « لقد خدت عيادي فما انت اهل لي »

وحاول سعيد الخاقي بها الجبرها بفاته على العزم فلم يستطع ولما ابعدت عنه هم ان يناديها فأفاق من رقاده فاذ هو وحده يجانب جدار الكعبة والظلام محدق بو فسح عينيه لينبين حاله أفي بنظرة هوام في مسام ولا تتحقق انه كان في مسام حمد الله وأكمل انه اذا اتي قطاماً لا يرى منها غير الاعراض

فكث صامتاً تناذفة المراجس وهو لا يهندى الى حل متع فنهض يلجم المترجل ليوري ما تم ليجيء بعد ذلك الحديث . وانتقام للالغاف بالفرارش بعد بعض ساعات قضاهما في ذلك الخلاء والبرد قارس . ولم يكُن يتلو سورة الفاتحة وهو عائد حتى سمع لخطأ خافتَا كأن اناساً يتسارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة ^(١) فوقف واصاح يسمعو فمعم خطوات اطيئة لقرب من الكعبة وهما يتكلّر كأن النادمين يشاورون في أمر هام . فاتزوبي وراء المقام في مكان لا يتباهي اليه احد وخصوصاً في ذلك الظلام ولكنكَ كان اذا ارسل بصره وقع على الكعبة وحواليها

الفصل التاسع عشر

﴿ المُؤْمِنَة ﴾

فالبُشَّرَ ان رأى ثلاثة رجال لم يعرف احداً منهم ولكنَّه عرف من قيافتهم انهم غرباء على انه لم يقدر على تبييز القائمين ولا تحتمهم وقد لدوا رؤوسهم بالعامق لذا كالخمار اما انتهاء البرد وما تذكر

فهبة امرهم وخلق قلبة خوفاً من اكتشاف مكانه وربما كانوا في مهنة اذا اطلعوا انه اطلع عليهما سعوا في قتلوا . فبالغ في الازوا . وخلف ان يداه العطاس فلا يستطاع جسمه فيتناقض امن فظل مخيراً . امام فوصوا بباب الكعبة وافتروا من سعيد بمحبت برام جميعاً ولو كان القرطالاً او كان هناك مصباح لبيدين عينهم جيداً ولكن لم يقدر على توزي شيء منهم منهم لا شناد الظلام . على انه تأكّد من محل احوالهم وحركتهم انهم جاؤوا لامر ذي بال احدم طويل النهاية وهو أكثرهم حركة فجلس رفقاء الاربعاء وظلّ هو وأفنا ثم جلس الفرقاء وقال « ولآن ما لنا وطلّاه لهم جبناء تعالوا نبدأ بالامر فيكون لنا الغر »

قال الثاني وكان قصبه القامة مهليًّا الجسم « اني ارى رأيك اذ ما نابنا من هؤلاء الاية الا الفرار . هم ينزاعون على الخلافة فيقتل المسلمون بعضهم بعضًا في نصرتهم فاذا قتلناهم رقدت اللئمة . نعم نقتلهم جميعاً » قال ذلك بصوت خافت وفي نطقه بلجة وكان يائلاً عن وسيلة لثلاً يسمعه أحد فقال الرفيق الثالث وكان لا يزال ساكتاً اني لا اعترفي واقعة التبروان ومن قتل فيها من الابطال والشجعان الا ويتقر قلبي دمًا . ان علياً قتلهم لانهم لم يرضوا معه بالحكم »

فابتدأ الاول الطوبل وكان أكثرهم جرأة على الكلام وكان رفيقاً اذا نكلما خنقا صوتهم اما هو فكان لا يهاب شيئاً فيتكلم هل « فيو قال « لا يكفيها التدمير والتجبر وحن سكوت نرى ابناءنا واخوتنا يقتلون في نصرة اولائك الاية ولا نبدي حرائنا . هم بنا نقتلهم ونريح المسلمين من شرم »

فلما سمع سعيد حدتهم علم انهم جاءوا للوقاية على قتل جماعة من الاية الامام على واحد منهم ولكنّه لم يعلم من هم اليائون . فجعل يردد لاثر زاد خوفه على نفسه اذا كشف مكانه . وكان في باديء الرأي قد ندم على مقائه هناك فلما توسم خطارة مام فيو سر لبقائه على انه ما زال خائفاً من النفيحة . فلبث مازوياً وهو يجس انفاسه خوفاً من السعال او العطاس فانه لو تخضع او عطس لا جنائم جميعاً درم على بضعة اذرع منه . ولو قاتم احدم ومشي خطواتين نحو مقام ابراهيم لرأى سعيداً امامه . اما سعيد فكان يذكر في حملة يقتذ بها نفسه لو كشف مكانه . وكان مع ذلك الظلام يجبل له

انه في رابعة الهاجر لحوفه وقد ساعده على ذلك صحو الجب ونلأوا الكواكب لأن السماء كانت نفحة لا يحيط بعيمها الأحباب رقيقة مترفة كانت تجتمع أحياناً وتشهد فتزيد الظلام كثافة وقد كان سعيد في انزلاه وراء الكعبة قبل مجيء هؤلاء إنما يشغل نفسه برافية حركات تلك الحب . وكان اذا تلبدت او تكاثرت انتقضت نسبة امام الان فاصبح لا يرى غير الخطير امامه وود تكاثف القروم لانها تردد في احتجابه وقد نسي قطاماً وجده واصبح قلناً لاستطلاع سر ذلك الاجماع

الفصل الشعر ون

﴿ ١٧ رمضان ﴾

وكان السكت قد استولى على تلك الجائدة لحظة على اثر كلام ذلك الطويل الجريء فلارأى هذا سكت رفيقها ابدرها فانالاً « فإذا فعلنا ذلك ما الذي تخافه غير الموت ؟ حينما الموت في سبيل افذاذ المسلمين من فتنه يقتلون فيها . وأصل الشدة كما تعلون ثلاثة من كبارنا يتنازعون على الخلافة او هي السلطة الدينية ومم علي بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص هل بنا نقتلهم وترفع الناس منهم »^(١) فقال الثاني « لقد وافقتك على رأيك من اول الامر ولكن ما السبيل الى قتلهم وانت تعلم انهم عصاة بالجند والاعوان فلتذكر في طريقة تضمن لنا التوز ونأمنا من الخطأ »

فاسرع الاول فانالاً « اراك تردد في النول كان الامر هالك خطأ » وكأنه يك خاف كبير او تلك الايام وتخشى ان يكون من حظك قتله . تعالوا نقسم العمل فيما بيننا . تعالوا نتعاهد على ان يقتل كل منا واحداً من اولئك الثلاثة ولنبعن يوماً نباشر العمل فيه معاً فيكون احدنا في الكوفة لقتل علي والآخر في مصر لقتل عمرو والثالث في الشام لقتل معاوية في يوم واحد ويقتل كل منا صاحبه في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجحوا من اسباب النزوة فيختارون خليفة بولونه امورهم وترجع الخلافة الى بساطها »

ولما سمع سعيد ذلك هبب اعظم هذا المشروع ولم يصدق انهم ينتظرون على القيام به . ولاح له لاول وهلة ان علياً اذا قيل رضيتك فقط بوان لم يكن فتلها على به ولكنه تذكر كلام جن ووصيجه بيان بداع عن علي ابرأته وما ينسونه اليه فانقضت نفسه . وما لبث ان شغل عن تلك المواجهة بما دار بين اولئك المتأمرین . فان المتكلم الاول لما فرغ من كلامه ولم ير من رفيقته تالية لم يصرح بذلك جميع جوانبها فقال لها « لا ترددوا ولا يهولكم الا مرد وهو اسل ما يكون على ذي مرودة . وكافي بكتاب تذكران في كيفية اقسام العمل وتخافان ان يكون اصيب احدكم اصعب مراضاً من نصيبي الآخر فلا تخافا اني انعد بقتل اكبر هو ثلاثة الثالثة فأشعهم . انا اقتل علياً ابن ابي طالب فاتي الكوفة وان يكن مقامي في النسطاط فاقتله » قال ذلك واقبل حتى دنا من باب الكعبة وامسك بمحانتي وقال لها « ها اني امسكت بحلقة الكعبة واقسم بالله وبهذا البيت الحرام اني اقتل علياً ابن ابي طالب ابذل في سبيل ذلك ما في وسيط وشهد الله على ذلك »

فعلم فعل ذلك نهض رفيقاه وقد اندفعوا الى القسم فامسكت كل منها بحلة الباب واقسم احدهما انه يقتل معاوية بن ابي سفيان والاخر انه يقتل عمر بن العاص ولا تسل عن حال سعيد بعد ان تم التعهد على هذا الفعل الخطاير ودلو يعرف اولئك المتعاقدين ولكن لم يرسلا الى ذلك . على انه علم من خلال حدبه ان المعهد بقتل الامام علي من اهل فساطط مصر

ثم رأى الثلاثة عادوا الى مجالسهم فقال احدهم وهو السجين التنصير لقد تعاهدنا على قتل هؤلاء الائمة ولكننا لم نعن اليوم الذي نعمل فيه ذلك وان لم نعنيه فشلنا جميعاً

فنقال الثالث « وهذا رأيي انا ايضاً لانا ان لم نعن اليوم كان الحال واحداً ونخشى اذا سبق احدنا الآخر ولم يتحقق او قتل او قفص عليه ان يخاف الباقيان ويرجعاً . فلدعون اليوم وال الساعة

فنقال الاول ان الساعة لا يمكن تعويتها ولكننا نعن الليلة فليكن عملنا في ليلة واحدة . في اي الشهرور نحن آن؟ فالا في جمادي

قال فلذين موعدنا رمضان المبارك حتى لا نعيده النظر إلا المسلمين كافة في راحة وإذا قتلا لذينا بنا وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من أيامهم رمضان قال الثاني «أني أختار الليلة السابعة عشرة من ذلك الشهر فما قولكم»^(١) قالوا «أيها خير ليلة» ويهضوا وسعید بخاف أن يروا به فبروه ولكنكم داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها ولبس هو ينتظر عودتهم فلم يعودوا . فلما استطاعوا علم انهم خرجوا من باب آخر او داروا وتحولوا الى الباب الذي دخلوا منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير احداً ولا سمع صوتاً . فنهض وطاف حول الكعبة فتفقق لهم خرجوا . فجلس هندي يذكر في ما مرّ به وهو يحسب نفسه في حلم لغراية مارآه وإنفاق حدوثه في الليلة التي أوصاه جدّه فيها أن لا يبتليه علياً . ونظر إلى الأفق فاستقبلته الرزقة شالاً كأنها تبشره باقبال الغرب . وتذكر جدّه فقال لا عودة إلى المنزل قبل أن يطلع النهار ويخرج الناس . فعاد بنفس البيت

الفصل الحادي والعشرون

* آخر العهد بأبي رحاب *

ولما اقترب من المنزل خنق قلبها مخافة ان يكون جدّه قد اصحاب حملة في غيابه فدخل الدار فرأى السكوت مستولياً عليها فاستبشر والنفس التسجع التي كان جدّه نائماً فيها فرأى المصباح لا يزال مضيئاً فاطل من الباب فرأى عبد الله جالساً يجلس النراش وجده نائم . فنظر إلى عبد الله كأنه يستطلع الحال فنهض لاستقباله ووجهه باش فاطل بالله وقبل أن يلقى الحمبة ابدره عبد الله قائلاً لقد شغلت بالنا بغيريتك فان جدك افلاك من نومه مراراً والنسم ان يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد أربعَ كثيراً في طلبك .

قال وكيف هو الآن

قال هو في خير وقد رأينا في راحة لم يذقاها منذ أيام

ولم ينم عبد الله كلامه حتى رأى ابو رحاب يترک في فراشه فتقدم سعيد نحوه فلما
هو قد فتح عينيه وأشار اليه بيده فدنا منه وجعلنا امامه يلمس منه اشاره
فقال ابو رحاب ابن كثت يا ولدي فقد التساك مراراً فلم تتفق على مكانك
قال خرجت في حاجة الى الكعبه واتفاق لي حادث شغلني عن الجبيه حتى الان
فقد الشیخ بيده حق قبض على بد معبد وضغط عليهما كأنه لا يرى بدان ينارقه
وسعيد صامت لا يدري حرفاً كذا لشدة تأثره من منظر جده الشیخ وقد شعر انه انا
ضغط على بيضه الوداع

فترقرقت الدمع في عينيه والفت الى عيني جده فرأها غارفيين بالدموع وها
شاختان اليه فتنظر قلبه وهم ان يتكلم فابدره جده قائلاً « اراني لا ازال
في قلقي على مستقبل حياتك واخشى ان لا تكون استوعبت نصيحتي فقد تحريك
وانا في آخر ايام الدنيا نصيحة اوصي اليك ان التهابك . وقد تركني الليلة غارقاً في
بحار الاحلام وكانت هاتئنا خوفني من غيابك . هل انت باقي على عهدي يا سعيد »
قال « لقد عاهدتني يا جده عهداً وثيناً اني لا انوي شرعاً للامام علي ما حرم
وانا باقي على عهدي وازدك علماً اني لذلت في الكعبه انا اباً بما مرون على قتل وقتل
صاحبها معاوية وعمرو في يوم عينيه وتعاهدوا علويه فلم يبق ثمت حاجة الى سعيي »
فبلغ الشیخ وحملق بعينيه وصاح قائلاً « ومن عم هؤلاء »
فقصص سعيد خبره مختصرأ وخت كلامه قائلاً « اني لم اعرفهم ولا استطعت اللحاق
بهم خوفاً منهم لاني اعزز »

قال « ألم تعرف الذي تعهد بتسلل الامام علي »
قال « كلاً ولكتني علت من عرض كلامي انه من مصر ويعلم على ظني
انه من الخارج »

قصصت الشیخ برهة كأنه يذكر في امر هام ولاحظ سعيد من شخص عينيه وذبوب
اجنانه وتغير صحته انه نعس . واما ابو رحاب فتجاذب وقال وصونه برمحف وقد أصبح
لا يستطيع التلنّظ بكل مطلع من مناطع الكلام كان لسانه اصبع يناظم قال
« يا ليتني كنت بينهم لاقتهم بالكف عن ذلك ... ولو استطعت اسقفال أحجبي
لسعيت في البحث عنهم فاذاعرفت الساعي في قتل الامام علي ارجعته عن غيره بالبرهان ... »

ولم تخرج هذه الكلمات الاخيرة من فيه حق اخلاق صونه ثم شهق شهقة دوى صوتها
في اطراف المنزل وارتعشت مفاصله فافتنت يد سعيد من يده . ونظر سعيد الى الجين فادا
هو قد أغضب جناته ووقف نفسه ... ثم نجس بيـنـ فادا هي باردة فلس جيبه فادا
هو كالثلج وقد فتح فاه وارسل ناسه الاخير وبطلت حركة الحياة فاصبح عذلاً
من تراب . فاقشعر بدن سعيد ولعلم يداً يديه وصاح « جداه يا جادة .. واو يلاه كلمني
زودني نصيحة أخرى .. » وما من محيب قايفن بوفاته وكان عبد الله قد خرج فعاد
ولما رأى ابا رحاب قد مات اخبر اهل المنزل فاجتمعوا وعلا الحزب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديداً لتو قعدهم ذلك منذ أيام . ولكن سعيداً كان حزنه مصاعداً لأمتزاجه بالمواسين والاضطرابات بما معه من جمعٍ مع ما هو متقدٍ به من العهود في الفد من ذلك

الفصل الثاني والعشرون

﴿ رفيق جديد ﴾

وبعد الاحتفال بالدفن عاد سعيد إلى صنعه وفكّر في حاله فرأى نفسه في مشكلة لا يدرى كيف يخلص منها . وبعد التأمل الطويل رأى المسألة مع اشكالها ليس أسهل من حلها اذا استطاع اقناع قطام ببراءة علي فتنازل عن الافتئام . فلما فتح عليه بذلك نوسم فيه خيراً وأحسن بالنفراج الازمة فاعمل فكرته في الاسلوب الذي يستوفي به على عواطفها وغير اعتقادها بالامام علي حتى تسكّت عن العالب بثار والدها واخيها منه . تحيل لامعن بعد ان اقناعها ممكناً فيها روعة نوعاً

واسرع في تدبير شؤون اهله وكان في جلتهم شاب اسمه عبد الله رباء ابو رحاب كاربي سعيداً وكان يتعذر عليه وبيمه وهو الذي اتفقَ الى الكوفة لاستقام سعيد فلما مات ابو رحاب تقدم عبد الله الى سعيد ان يأخذ له بصاحبته وبالغ في المعاشر واستهلك في سبيل مراقبته . فتجهب سعيد لذلك الرغبة في السفر ولم يكن يعهد عبد الله ببالاً الى ذلك

والسبب في تلك الرغبة ان ابا رحاب كان من الدراة والذراة بحيث لم يختلف عليه ضعف سعيد فارسل انسانه الاخرية وهو يخاف عليه غدر الناس وخداعهم . ولكنه استدرك ذلك قبل موته فاوصي عبد الله هذا ان يكون له عوناً في محنته حينما سار في بجهةٍ ويرشدُ وان يكن هو شاباً مثله ولكنه كان اعرف منه باحوال الدهر وأسوأ ظناً في ما جريات الايام

وبعد ايام ودع سعيد اهله واصطبغ عبد الله وسارا يطويان الصحراء نحو الكوفة وعبد الله لا يعرف شيئاً من علاقة سعيد بقطام ولا ما تأمر عليه الثالثة في

المجده الحرام . ولكنك فهم من وصية أبي رحاب ان سعيداً كان عازماً على قتل الامام فارجعه ابو رحاب عن عزمه . وسمع حدث سعيد عن المواتقة ولكن لم ينوهها جيداً . فلما اوجلا في الصحراء فتح عبد الله حدباء نظرها منه الى مقتل الامام علي واستأنس سعيد بعبد الله وهو مخلص من فطريته ففتح له قلبها وكشف لها عن سره وارتاح لمشورته . ولم يصل الكوفة حتى اصبح عبد الله عارفاً بكل مكونات قليوبشاركة في شعوره من قبيل عهود مع قطام ورجوعه عنه فتبنت على وصية جد وهرؤن عليه اقتناع قطام الى ان قال « فادا لم تقنع ليس اهون من ان تعدل عنها والنساء كثيرات وانا اختار لك فتاة من اجمل الفتيات خلقنا وخلقنا وارفعهن نسبياً لان الناس بها قطام » وكانوا يخادثان وهذا على نافذتها يطويان الصحراء طيأً

قطع سعيد عليه الكلام قائلاً « لا لا تقل ذلك ليس في الناس اجمل من قطام عطبي ولا صبر لي على اغضاها وبظاهر انك لم تعن المحب ولا عرفت سلطانه » قال ذلك وتنهى ... وصبر هديه ثم قال « وذهب مع ذلك اني لا احبها ولا اما عاليها فان في يدها صكاً مكتوباً اخاف اذا أخفيتها ان تشي الى علي او ... ولكنني واثق بصدق مودتها هي لا تزيد في سوءاً بل تبني رضائي »

فقال عبد الله اذا كانت تحبك كما تقول فليس اهون من اقناعها في العدول عن قتل الامام فيهون عليك الجھث عن المتعهد بتخله وتردعه عن غيره فادا لم يرتدع قتله او نقلت خبره الى الامام لوري رأيه فيه فارتاح سعيد لهذا الرأي

الفصل الثالث والعشرون

* الحاجة والسعادة *

وأقبل على الكوفة ذات يوم الشخص قد مالت الى المشرب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار وهو يستريح نافذة لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من المدير الى بيت قطام اذ لا صبر له على فراقها وهي على مقربيها . فلما دنا الغروب وهو لم يدخل

الكوفة أثنيت نسمه وادرك عبد الله أنها ضعف ما آتته فيو من السكت الشام فاراد
أن يصرف ذهنه عن ذلك فقال «له وهل نحن بعيدين عن منزلك»
قال «لأنك أنت تدخل المدينة حتى تذوق لذاته في اطراها»
قال «أني أكاد لا أصدق بوصولي لاسترج من وعاء السفر والخاص من ركوب
المجال فند العيني جربها وخصوصاً في هذا البار»
قال «سعيد التي أراني في الفد من ذلك وخدتني نفسي أن أصل العشا في المسجد
قبل الميت»

فادرك عبد الله أنه أنا يريد زيارة قطاع لطعما على وصبة جده ويرى ما ينزو
منها إذا علتها عوّل عليه فرأى أن يثنية عن زياتها ربنا يناؤنة في الأمر ويهبها
الحيلة في مخاطبها إلا يشلا لعله يسلامة نية سعيد خاف عليه المنوط في ما
يهدأه . فقال له «دعنا نصل العشاء معًا في منزل ونصحح أن شاء الله فنصلي
في المسجد»

فلم يراجعه سعيد حباء وقال المحسناً رأيت . ولكن عوّل في باطن سره على
الذهاب خلسة إلى منزل العبور لباية يقبس الحال
وما لبنا ان دخل الكوفة وقد أمس المساء فلمسا منزل سعيد فترجلوا واعتسلوا
وصلبا ثم تناولا العشاء ونظاهر سعيد بالتعاس فتب كُل إلى فراشه
وتربيص سعيد ربنا ظن رفيقة نام فالتفت بهاء تو وانسل إلى بيت لباية
ونفس طرفة ينكر بعواره بيدأ بها الكلام . فول المنزل فرأى لباية خارجة
منه وقد غادرت ومشت شوكاً على عكازها فبعث لرها وحاجها فردت الخبة وهي
لانتصدق أنها زراء . فلا تخافت أنها سعيد رجعت وهي بالغ في الترحاب به وتضحك
ضحكها المعهودة . فاستأنس بهنها ثم ما لبث أن تذر ما جاءه يوم من الأمر الجديد
حتى انكس قلبها ولكنه تبعها حتى وقنا بباب الغرفة أمّرت عبد الله أن يضيء
المصاح وعادت إلى مخاطبها فسألها عن ساعة وصوله . قال «الي وصلت الساعة ويع
شدة تعلي من السفر العويل لم أصر على مشاهدتك قبل إنعام»

ففهمت قبة دوى لها البيت وخجل له لفقط قلقن عبد الله بسمها . فقال
لها بصوت خافت « وما الذي يتحكمك يا حالة»

قالت «لقد أضحكني شوقي إلى رؤية هذا الوجه النحيف (وأشارت إلى وجهها) وإنما نتفاهم إلى رؤية وجه أحبل منه... أليس كذلك ... »

فقطع كلامها وهو يبالغ في خص صوت وقال « لا والله الذي الآن في شوق إليك أكثر من شوقي إلى قطام لاني وقعت في مشكل لا ااري احداً ينوهني منه... سوالك فاسمعيني برأيك ودهائك... وارجو فهل كل شيء ان تعيدي قدري إليك الآن سرّاً نكتبهينه عن كل انسان لأن معي رفيقاً صحيحاً من مكة فلما وصلنا الكوفة ورأي في ميلاد الى المخروج انعدني إلى الصباح فاستحببت وبقيت فلما استغرق في يومه جئت خليفة... »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالاصحاح فدخلوا الغرفة وسعيد يقول « لند عودتني يا خاله ان تكوني عوناً لي في معهانى وانت التي بهارتكم ودهائكم اقمعت قطاماً بزواجه فالناس منك الآن ان تنتهي بما جئت به إليك »

فجاءت العجوز لاهقة بابه الشديد ولو كان قلبها حباً لحقن واخطرب ولكنها تعودت الا هبال ولاقت الغرائب فلم يعد بعدها امر... فقالت « قل ما بذا لك التي مستودع اسرارك ولا أكون جهداً في خدمتك »

فنهد سعيد وسكت وهي تحدق فيه بعينيها العازتين... وبعد هدوءه قال لها « لند جئت بأمر لا ادرى كيف ابدأ الحديث به »

قالت « قل لا تبالي ولا تخزع فاني عركت الدهر ولقيت الاموال حتى لم اعد استغرب امراً... قل ما بذا لك »

الفصل الرابع والعشرون

﴿ كشف الأمان ﴾

قال سعيد انت تعلمين اني عاهدتُ فطاماً على قبل الامام علي

قالت نعم اعلم بذلك

قال وعل تعلمين لماذا خرجت الى مكة

قالت علمت انك شخصت اليها ولكنني لم اعلم سبب شخصتك

قال شخصتُ اليها اجاية لطالب جدي رحمة الله

قالت جدك ابورحاب؟ ما الذي اصابه؟

قال انه مات بعد وصولي بـ٢٠ يوماً واحداً وكان قد بعث اليه لبراني قبل المات
قالت «مات ابورحاب! رحمة الله عليه...» انه كان رفيقاً لك شنوقاً عليك ولانا
اعلم كيف رأيت في سجن وفدي كان احسن عليه من والدك ولا شك ان موته شق
عليك كثيراً . وكم كنت تود ان يحي حملاً ليخرج بك ويشهد زواجه بعد ان يعلم بما
تعودت به لشقيق بي امية من العار»

فقطعلم كلامها فانهلاً «آه يا خالة لقد كنت اظن ذلك قبل ان قابلته ولكنني ما
لبت ان ندمت على ذهابي اليه لانه سخلي قبل موته حملًا لا ادرى كيف
انصرف به»

قالت وماذا عنى ان يكون ذلك

قال ان ما ظلمته مبيعاً لارباه و قد رأيتها داعياً لغضبه

قالت هل اخبرته بعملك على قيل علي

قال «نعم اخبرته ولكنك انكرت علي قتله واوصاني وهو على فراش الموت ان لا امد
يدك الى هناك لان هانتها جاهة وانتها ببراءة الامام علي ما يهم ومه بـ»
وكان سعيد يتكلم ولباقة شاخصة اليه وقد استطاع تخفية مسعاه ولكنها ادهانها
ومذكرها لم تبد حرائفاً ولا اظهرت استغراباً بل تضليلت باصلاح خسارتها تتغافل
آخر الحديث

واما سعيد فكان يخاطبها وهو يتوقع بفتحها او غشيتها فلما رأها صامتة مصغية
غيراً على احاديث الحديث فقال «ولما سمعت كلام جذبي دافعته فرأيت منه اصراراً على
رأي وقصص على شيئاً كبيراً من الاكذلة والشوادد المويدة ان ولو»

قال سعيد ذلك وسكت وهو يتغافل ما تقوله العجوز فرأها لا تزال صامتة ولم
يبد على وجهها شيء من الاستغراب فعطف بعديها الى المائدة امره التي شاهدها في الكعبة
ظناً منه انها توازن ما تقدم من الحديث الغريب . فلما سمعت قصة المائدة على
قبل الامام علي وعمرو ومعاوية رأت فيها تعزبة ولكنها اظهرت الاستخفاف بها
تآمروا عليه وارادت ان تتحقق ما عوّل هو عليه فقالت «وهل علم ابورحاب
قبل موته بذلك المائدة؟»

قال «نعم اني اطلعته عليها قبل ارسال نسمة الاخير بعض الساعة فلم يزدني الا
نلاً بوصية فاما وهو في آخر ساعات الدنيا ... آه من تلك الوصية»

قالت وما هي

قال «انها اوصلاني ان لا اكتفي بالكتف عن قتل الامام علي بل يجب علي ان ادافع
عنه فلم ارَ بدًا من اجاية حلبي وانت تعلمين مركري في مثل هذه الحال ... ولكنني
لم اعاهد الا بعد ان تتعارق اي لدموه التي كانت تخدر على لحيتي وقد شخصت عيناه
وتعلمت لسانه وتجلج صوته حتى خيل لي ان عظامه انكلم ...»

الفصل الخامس والعشرون

غاية الدهاء

فلا تخفنت لباقة عدوه عن عهده خافت اذا اظهرت له الاشتياق ان يدع بامرها
وامر قطام الى علي وها في الكثافة فيتهم علي منها فارادت ان تخادعه فتأخذ منه
ولا تعطيه فقالت «ولماذا لم تعاهد؟ فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجاً
من افواه الملائكة»

فلا سمع سؤالاً اشرح صدره فابسم وقال بكل بساطة «كيف لم اعاهد
وهل استطيع غير ذلك . ولكنني اعرف لك اني عاهدتني وخارطني بتشغيل قطام
وعيدها لعلي ان ذلك العهد يحرمني منها ...» ثم عطف فقال «ولكنني لما تذكرت
حربك لي وغيرتك علي هان الامر لدي وذلت ان ما يسر على مثلي یهون علي خالي
لباقة ... بالله ... ألا ساعدتني على اخراج قطام بالمدول عن عزمها على قتل الامام علي
انه ... والله بريء ما اتهموه به ... بالله ساعدبني واشتفى علي فقد وقعت في حيرة ... بل
هي مصيبة لا ينفعني منها سواك ...» قال ذلك وجنا امامها وهم يدهما وقبلاها وقد
كادت العبرات تختنق

فتضاهرت تلك العجوز المخاللة بالمحنة وتبسمت وهي تطلب يدها من بين يديه
لتحمه من تلبيها واجلسه في مكانه وقالت «طلب فنما يا بني اني فاعلة ما تزيد
وارجون يساعدني الله على افنياعها ...»

فَلِمَا سَمِعَ سَعِيدًا فَوْطَلَمْ بِقَالَكَ عَنِ الْأَبْسَامِ وَالدِّيمَعِ مَلَّ عَيْنُهُ اغْبَابًا بِحِينَهَا وَفَرَحاً
بِهِنْيَلْ بِغَدَوِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا وَلَا بِالْمَنَامِ وَفَرَحَ تَجْهِيزَهُ فِي تَلْكَ الْبَلْلَةِ وَمَقَابِلَةِ لِبَابَةِ قَبْلَهُ
مَقَابِلَةِ قَطَاطَامِ

إِنَّمَا لِبَابَةَ فَنَظَرَتِ الْيَوْمِ وَهِيَ تَحْكُمُ مَا وَرَاهُ إِذْهَبَهَا كَانَهَا تَنْكِرُ فِي مَا
تَخْلَلَهُ مِنْ الْأَسَابِبِ لِاقْتِنَاعِ قَطَاطَامِ وَهِيَ بِالْحَقِيقَةِ تَدْبِرُ حَبَلَةَ لِخَدَاعِ سَعِيدٍ ثُمَّ قَالَتْ « طَبْ
نَفْسًا وَلَا تَبَالْ فَإِنِّي أَوْكِدُ أَنَّكَ الْفَوْزَ إِذَا أَطْعَنَتِي » فَأَبْقَدَرَهَا قَائِلًا « أَنِّي طَوْعٌ
أَرَادْتُكَ فِي كُلِّ مَا قَاتَرَيْنِ وَهَذَا مَالِي وَكُلِّ مَا أَمْلَكَهُ يَوْمَ يَدْبِكَ بِاللَّهِ أَشْتَقِي عَلَيْهِ »
وَكَانَ سَعِيدٌ يَتَكَلَّمُ وَلِبَابَةَ مَطْرَفَةً . فَسَكَتْ هُوَ وَظَلَّتْ فِي مَطْرَفَةٍ ثُمَّ اسْتَأْشَتْ
الْحَدِيثَ بِغَصَّةٍ فَقَالَتْ « سَجَانُ اللَّهِ . . . لَنْدَ مَرْ عَلَيْهِ » أَيَّامٌ وَإِنَّا مُسْتَغْرِبَةٌ مَا يَدْوِلِي مِنْ
قَطَاطَامِ عَلَى غَيْرِ الْمُعْتَادِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي فَاهُ بِهِ جَوْدَكَ فِي مَكَّةَ اَثْرَ فِي قَطَاطَامِ
هَذَا أَوْ لَا أَدْرِي مَا هُوَ هَذَا التَّاثِيرُ »

فَأَنْدَهَشَ سَعِيدٌ بِهَا سَعْدَهُ وَقَالَ مَاذَا نَعْيُنَ

قَالَتْ « أَعْنِي أَنِّي آتَيْتُ فِي قَطَاطَامِ تَغْرِيرًا غَرِيبًا بَعْدَ ذَهَابِكَ فَإِنَّهَا لَمْ تَعْدْ تَذَكَّرُ
الْاِتِّقَامَ قَطْ وَقَضَتْ أَيَّامًا عَدِيدَةَ كَانَتْهَا فِي حَبَّةٍ أَوْ كَأنَّ أَمْرًا طَرَأَ عَلَيْهَا الْأَنْتَكِلَمُ الْأَلْأَ
قَلِيلًا فَعُسِيَ أَنْ يَكُونَ مَا يَغْيِرُكَ فَدَغْدَرَهَا . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ كُنَّ فِي رَاحَةٍ وَسَكِينَةٍ وَإِنَّا أَدْبَرْ
الْأَمْرَ فَلَا تَذَكَّرْ أَنْكَ جَتَتِيْهِ وَلَا أَنْكَ رَأَيْتِيْهَا قَبْلَ رَؤْيَهَا »

قَالَ « بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ . وَإِنَّهُ أَنْ قَضَيْتَ لِيْهُ دُنْ الْمَهْةِ لَا أَدْرِي كَيْفَ أَكَافِلُكَ
وَلِكَنِّي أَنْقَدْمُ إِلَيْكَ أَنْ لَا تَذَكَّرِي زِيَارَتِي هَذِهِ أَمَامًا أَحَدٌ وَخَصْوَصًا رَفِيقِي عَبْدَالْهُ »
قَالَتْ « سَمِعًا وَطَاعَةً فَعَلَيْكَ إِذَا أَنْ تَأْتِيَ غَدَارًا لِزِيَارَتِهَا فِي مَنْزَلَهَا أَكُونُ أَنْاهَنَكَ
وَلَا تَزَدُ عَلَى السَّلَامِ وَالْكَلَامِ . وَاحْذَرْ أَنْ تَذَكَّرْ شَيْئًا يَنْعَلِقُ بِهِذَا الْأَمْرِ إِلَّا إِذَا هِيَ خَاطِبِكَ
بِهِ وَسَنِرِي مَاذَا يَمْ . . . وَهُلْ تَنْوِي اسْطِهَابَ رَفِيقِكَ غَدَارًا »

قَالَ « أَنَّهُ سَيَكُونُ مَعِيْهِ وَلَا يَسْأَسُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْمَوْضِعِ لِيْهُ يَدْبُولَانَهُ بِمَنْزَلَةِ أَخِيِّهِ »

قَالَتْ « حَسَنًا فَلَيَكِنْ كَمَا تَرِيدُ وَقَنَّا اللَّهُ لَمَا فَيْوَهُ خَوْرَكَ وَرَاحَتَكَ »

فَازْدَادَ سَعِيدٌ اغْبَابًا بِغَدَرِهِمْ وَحِينَهُمْ فَنَالَ هَذَا « أَسْبَيَ لِيْهُ أَنْ افْتَلَ يَدَكَ فَانِي لَمَا
فَلَدَتْ جَدِّيُّ الَّذِي كَانَ بِمَنْزَلَةِ وَالَّذِي حَسِبْتَ لَنْسِي صَرَتْ بِهِمَا وَلِكَنِّي تَحْفَقْتُ إِلَّا
مِنْ حَوْكَ أَنِّي مَا زَلْتُ مَرْمُوقًا بِعِنْدِ الْعَنَابَةِ . هَا أَنِّي قَدْ أَنْتَيْتَ الْحَسْلَ مَلِيْعَانَكَ

فديري الامر كا يلوح لك» . قال ذلك وقبل يدها مراراً وهض وبهضت لوداعه وهي تقول له «نم مرتحاً وموعدنا اللقاء غداً في بيت قطام» خرج سعيد من عندها وقلبة يافع سروراً ليجاوه من شرّ عظيم . وما دري ما نوبة تلك التبرمانة من اساليب المخداع . فلما توارى عنها عادت الى غرفتها وعملت فكرها الخبيثة في حيلة تعطلي عليو بجحث يصدق عدول قطام عن عزمها . ولو لا خوفها من ان يشي هو بها بقطام الى اذا انكربت عليو وصية جده لجاءت هناؤمتو ولكنها رأت من القطبنة والدها . ان تجارية على رأيو وتحمل قطاماً على مشاركتها في ذلك ثم تخالان في بيتهما المأمورون عهدم فيقتل علي . وما درت لباية ان قطاماً اشد دماء منها واعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسبلة اخرى للشك بسعيد على اهون سهل ولم تعد لباية تستطيع رقاداً قبل مكاشنة قطام بالامر لتدبر الحيلة قبل مجيء سعيد فهضت ل ساعتها وسارت الى قطام

الفصل السادس والعشرون

﴿لقاء قطام﴾

اما سعيد فانه خرج والفرح ملؤه حتى اتى منزلة فرأى رفيقة لا يزال نائماً لمرط تعبو فسرّ لذلك سروراً عظيماً ومضى الى فراشه ولكنها لم يستطع رقاداً لشدة تأشّن فاضي ساعات يقلب على الفراش وقد طال ليله وهو يذكر في ساعة اللقاء غداً ولا يصدق ان يلقى قطاماً على مثل رأيو . فلما تصور عدوها عن قتل علي كاد يطير من الفرح بما سيناله من الاقتران بها ثم بعترضة كلام جده وما كلنه بـ من السعي في الدفاع عن علي وردع السامي في قتله ففتح لقلبه في صدره ملول ذلك الامر . ولكنها لم يكن شيئاً لديه بالنظر الى ما يتوقعه من المساعدة بالحصول على قطام ولم تغمس اجنائه الى الصباح ولم يكد ينام حتى افاق مدحوراً وقد رأى شعاع الشمس يسعل على جدار غرفته فاسف لا يطاوئ في الفراش والوقت ثمين فهض ل ساعتها وخرج بالشمس عباذه اذا هو قد ابعن ثيابه ووقف يصلي فصلٍ معاه وهو لا يفقه ما يتول

فَلَمَّا فَرَغَ مِن الصَّلَاةِ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَئِنْ أَبْطَأْتِ فِي رِقَادِكَ يَا أَخَا أُمِّيَّةِ
قَالَ إِنَّمَا أَبْطَأْتِ لِمَوْلَ مَا الْبَنَاءُ مِن التَّعْبِ فِي الطَّرِيقِ
فَصَدَقَةُ عَبْدُ اللَّهِ وَجَلَّا عَلَى الطَّعَامِ وَسَعِيدٌ غَارِقٌ فِي سَهَارِ الْمَوَاجِسِ وَقَدْ أَدْرَكَ
عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَ فِيهِ وَلَكِنَّهُ حَسْبَهُ مِن قَبْلِ الشَّوْقِ إِلَى قَطَالِهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّمَا تَنْوِي الْذَّهَابِ
إِلَى قَطَالِهِ
قَالَ بَلِّي أَرَى أَن نَسِيرَ إِلَيْهَا لَعْلَهُ يَأْخُذُ بِيَدِنَا وَنَرِى مِنْهَا اِنْصِبَاعًا لِلْحَقِّ فَتَعَدَّلُ
عَنْ عَهْدِهَا
فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَن يُخْتَرِرْ شَيْأَهُ فَقَالَ «وَهُبْ إِنَّهَا لَمْ تَنْبِلْ بِذَلِكَ فَإِذَا قَنَعَ . هَلْ
تَبْقِي عَلَى عَزْمِكَ أَمْ تَرْجِعُ عَنْ وَصِيَّةِ جَدِّكَ»
قَالَ سَعِيدٌ «إِنَّا نَبْذَلُ جَهْدَنَا فِي اِنْتِبَاعِهَا فَإِذَا لَمْ تَنْتَعِنْ خَلَلَنَا عَلَى عَرْمَنَا فَانْ
وَصِيَّةُ جَدِّي مَنْذَدَةٌ»

فَسَرَّ عَبْدُ اللَّهِ لِثَيَاهُ وَهُولَا يَعْلَمُ أَنْ سَعِيدًا لَمْ يَنْلِ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَمْلَأَهُ بِلَبَابَهُ
مِنْ اِنْتِبَاعِ قَطَالِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَرَدَدَ فِي الْجَوَابِ كَثِيرًا وَرَبِّا فَضْلَ الْبَنَاءِ عَلَى عَوْدِ قَطَالِهِ
عَلَى احْتِرَامِ وَصِيَّةِ جَدِّهِ لَأَنْ غَرَامَةَ بِذَلِكَ الْبَنَاءِ الْقَنَاءَ غَلَبَ عَلَى كُلِّ جَوَارِحِهِ
فَلَمَّا آتَى عَبْدُ اللَّهِ ذَلِكَ الْبَيَاتِ فِيهِ اِسْتِجْهَالُ فِي الْذَّهَابِ إِلَى قَطَالِهِ مَخَافَةً أَنْ يَطْرَأَ
عَلَيْهِ مَا يَضْعُفُ عَزِيزَتِهِ . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ قَدْ عَوَّلَ فِي بَاطِنِهِ إِذَا آتَى فِيهِ تَرْدَدًا
أَنْ يَظْلِمَهُ عَنِ الْذَّهَابِ إِلَيْهَا . فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ بَهْضَا وَمَشِيا يَلْقَمَانِ بَيْتَ قَطَالِهِ
وَلَا حَاجَةَ بَيْنَهُ إِلَى يَيْمَانِ مَا جَالَ فِي خَاطِرِ سَعِيدٍ حَمَاسِيَّهُ سَاعَةُ الْلَّفَاءِ مِنْ
الاضطِرَابِ وَلَكِنَّهُ سَارَ مُطْبِئِنَ الْخَاطِرِ لِمَا الْقَنَاءُ الْبَرِّ لِبَابَهُ مِنَ الْمَوَاعِيدِ

وَوَصْلَا الْمَنْزِلَ فَاطْلَالًا عَلَى الْمَدِينَةِ فَاخْتَلَجَ قَلْبُ سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ لِتَذَكُّرِ الْبَلَةِ
الَّتِي لَيْ بَهَا قَطَالًا هَنَاكَ وَمَا وَقَعَ لَهُ مِنْهَا مِنْ تِبَادُلِ عِيَارَاتِ الْغَرَامِ . فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ
وَفِيهَا يَسِيرَانِ بَيْنَ الْخَيْلِ رَأَيَا لَبَابَهُ وَاقْنَةَ بَالْبَابِ وَهِيَ تَبَسِّمٌ . فَلَمَّا رَأَاهَا سَعِيدٌ أَسْتَبَرَ
وَتَشَدَّدَ فِيَهُ وَرَفِيقُهُ يَسِيرٌ فِي اِئْمَانِ حَقِّ دُنْوَاهَا مِنْهَا غَيْرَاهَا سَعِيدٌ كَانَهُ لَمْ يَرَهَا بَعْدَ
رَجْوَعِهِ . فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْهُ فَعَرَفَهَا بِوَفْرِيَّتِهِ فَعَرَفَهَا بِوَفْرِيَّتِهِ فَعَرَفَهَا بِوَفْرِيَّتِهِ
قَطَالِهِ فَإِذَا هِيَ وَاقْنَةُ الْمَدِينَةِ تَعَلَّلُ عَلَى الْهَبَرِ وَقَدْ لَبِسَتْ جَلَابِيَّاً أَسْوَدَ فَوْقَهُ خَمَارٌ
أَسْوَدٌ فَلَمَّا افْبَلَ ارْخَتْ خَمَارَهَا وَنَحْوَلَتْ غَوْهَا غَيْرَاهَا سَعِيدٌ وَذَكَرَ اِسْمَ رَفِيقِهِ هَمْ وَهُوَ

يقول «لقد أتيت ومهي صديقي وأخي عبدالله فإنه أنيسي ومساعدي» فرحب بهما ودعهما للجلوس فجلسا وجلست هي وكلام سكوت وبعد السكتة ارحة تكلمت العجوز قائلة «لقد أوجحتنا يا سعيد بعثابك طول هذه المدة وقد أخبرنا ريجان إنك أتيت يوم سترك إلى هذا المنزل فلم تزقطاماً فشغلت بالنا لسرعة ذهابك فensi ان يكون خيراً

فنهد سعيد وقال كلا إنه لم يكن خيراً يا خالة لاني ذهبت الى جدي ابي رحاب في مكة اجابةً لدعوي على يد أخي عبد الله

فاظهرت لبابة البغنة وقالت وماذا عنى ان يكون سبب استدعاءك قال انه دعاني لاراه قبل موته بعد ان هرم وغلب عليه الضعف والمرض ولا تحقق دنو اجله اراد ان يراني قبل الممات فصرت ولم ألبث معه الا ليلة ثم قضى نحبه رحمة الله

فظاهرت قطام باستغراق الخبر كابها لم تسمعه قبلها وقالت «هل مات جدك؟ .. رحمة الله عليه وعزاك الله وإياك» . ثم تهدت كابها تذكرت فقيدها وقالت ان موت الاوعل شديد الوطأة يا سعيد وخصوصاً اذا كان الميت لم يتم مثل ابي رحاب وكان عبدالله برافق حركات قطام وكانت قد سمع بجهالها فلم يلم سعيداً على افتقادها لها ولكنها خاف ان تبقى على عورتها فخرج من نصيب سعيد فود الاستطرار الى الموضوع ليرى ما يبدوا منها ثم تذكر ان وجوده هناك لاول مرة قد يكون باعثها على تحبس البحث في ذلك الموضوع فظاهر بفرض بمحاج اليه خارجاً وبهض وخرج وخرجت لبابة في اثنين اثنتين لحلتها

الفصل السابع والعشرون

﴿ متنهي الدهاء ﴾

فلما خلت قطام بسعيد قالت له « ومن هو هذا الشاب هل أنت واثق به؟ » قال بفتحة الحب المفتون « انه رفيق صباغي وموضع اسراري ولا اخشى باساً من

اطلاعه على كل شيء

قالت وهل اطلعته على عهدهنا

قال نعم يا حبيبي وهل ترين ما يمنع ذلك

قالت كلاماً لا ارى مانعاً ولكنني اود انك لم تطلعه عليه لخاطر خطر لي بعد
ذهابك الى مكانة

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال «لا ارى يائياً في ذلك لاني اعرف ضميره
ولي فيه ثقة تامة . وما الذي خطر لك؟»

قالت «سافرنا عليك وارجو ان نتعاون على ما يسبق بيننا من المعهود»

قال قولي ما ترددت . وما ترددت ابداً هو المهد الذي نتعاهد عليه . فاني
رهين اشارتك

قالت اذكر انك جئت اليانا يوم سفرك ولم تجديني في الباب

قال كيف لا اذكر ذلك وقد كان له تأثير شديد على

قالت اندري اين كنت يومئذ

قال كلاماً

قالت خرجت الى اهل زيارة . ولم يكن غرضي مجرد الزيارة ولكنني بعد انت
عادتك على قتل امير المؤمنين شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رقاداً تلك الليلة .
ف لما أصبحت قلت في نفسي لعل سبب هذا القلق ذنب ارتكبته بما سمعت فيه على الامام
وهو لا يخفى . فلما رأي ان اغتصب الى اهل زيارة وابحث عن حقيقة الواقع فرأيت بعد
البحث ان الذنب في قتل والدي واخي لم يكن ذنبي هو وختفت انة بريء وإنما نصح لها
مراراً قبل الواقعه ان يرجعها فايها ولما احتمم النزال وعلم اهبا تحت خطر القتل
اوصلني الى يديها احد بسو . ولكن بعض الاغرار قتلها بغير علم ولما علم هو بذلك
غضبه على الفائل وانتقم منه . فشعرت في تلك الساعة بارتکابي امراً عظيماً بما نورته
وعولت على حوريالك عا تعاقدنا عليه . فتضمنت مدة غيابك وانا في حيرة لا ادرى
كيف ابدأ بالتفاعل . وحنكت ذلك في سري حتى عن خالي لباية

ولم يبالك سعيد عند سأعوه ذلك عن الوقوف بفتحة بغير ارادته وقبل ان يجيئها

على خطابها نادى عبدالله ولباية فجاءها فالتقت سعيد الى عبدالله وقال له تعال اسمع

يا أخي ما دبر الله لنا من أسباب السعادة . فانما لم تتكلف في افباع قطام الى مشنة .
هل هي تردد افناها بالعدول عن المهد الذي اخربتك عنه
فاظهرت قطام الاستغراق وقالت وكيف ذلك يا سعيد وما الذي جئتنا به
عماه خيراً

فعرضت لباب الكلام فقالت يظهر انك جئنا بليل ما جاءتك هي به
قال «نعم يا خالة وأحمد الله على ذلك فاني جئت من مكة وقد اذنت ببراءة
الامام علي ونفيت بمهد عاشرت بوجدي ان لا اقتل علياً وكنت خائفاً ان لا
تؤلفني قطام عليه وهي اذا لم تفعل ذلك كنت من اشق الناس . فالمحمد لله على ما
جرى » وجلس يقص عليهم حديث جده ووصيته فظهرت اربعون البشر من السرور على
الجبيح . ثم استطرد الى حديث المؤمنة فلما ذكر ان احد المؤمنين تعمد بقتل الامام
علي نظاهرت قطام بالغضب وقالت لم تعرف من هو الرجل
قال لم اعرفه ولكنني علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر
قالت اما وقد علمت بعم هذا الرجل فاصبح السكوت عنه مشاركة له في
القتل فلا بد من ردعه او قتيلو

فابسم سعيد بذلك الاتفاق الغريب وقال « وقد فاتني ان اخبرك بان من جملة
وصبة جدي ان اسأ في ذلك جهدي »

فقالت « وهذا ما اراهانا ايضاً لان السكوت عنه اصبح جريمة ولكنني ارى ان
يبي امر هن المؤمنة مكتوماً بينما فلا نطلع عليه احداً لثلاً يسبينا احد الى اكساب
الغدر في رده او ان المؤمنة اذا علم باشهار امره ونحن لم نعرفه بعد بجعل بالقتل
فيذهب سمعينا عيناً . الا ترى ذلك يا عبد الله ؟ »

فاندهش عبد الله من ذلك الاتفاق الغريب ولو علم بزيارة سعيد لباب
لانكشف له سر الحيلة ولكنه اخذ الامر على ظواهره فقال « لند رأيت الرأي الصواب
وها اني مستعد للسعى في ردمع ذلك الرجل مع أخي سعيد »

قالت وما الذي توبان فعله
قال سعيد ارى ان تذهب الى الفساطط ونبعث عن الرجل لعلم من هو اولاً
فاذاع فرناه هان علينا ردعة »

فقالت قطام وما الثانية من ذهاكا وانا لا اعرف ان الرجل ولا نعلم شيئاً من امر وكيف يتأني لكما معرفة امرو هل ذهبا الى السعاط قبل الان وهل تعرفان احداً هناك ؟

قال عبدالله اني اعرف النعطاط ولكنني لم اقم فيها طويلاً ولا اعرف احداً من اهلها ولكننا نبعث جهودنا

الفصل الثامن والعشرون

الاجماعات السرية في عين شمس

فقدمنت لبابة وهي نظير الاهمام وكانت قد فتح عليها برأي سيد ف وقالت «اجلسوا لاهديكم الى طريق هؤون عليكم كل صعب» فجلسوا جموعاً وكانوا لا يزالون واقفين

فقالت لا تخروا برائي لأنني عجوز فاني اعرف من الاسرار ما لا يعلمه الا الله - اعلمونا ان في مصر من مرادي الامام علي احراباً جهة اذعنوا لعرو و بن العاص بالرغم عليهم وهم صابرون على ما اصاهم من مقتل ابن ابي بكر وهم جماعة كبيرة لا يزالون ينورون الاخفاض اذا سجت الترسدة - هل تعلمون ذلك ؟

قال عبدالله أهذا ما تناخربينا به عزفوا ولا يجهله احد من المسلمين فاني عالم به وبأكابر منه

قالت وما الذي تعلمته فوق ذلك

فابتسم عبدالله ابسام الاستخفاف وقال «اني اعلم اموراً كثيرة تلنتها من جداً ابي رحاب رحمة الله وقد اوصاني ان لا اطلع عليها احداً غير اخي سعيد لاها تفعة في جهاده بالدفاع عن امير المؤمنين »

فتوهمت لبابة من وراء ذلك سراً لانها لم تقل ما قاله الا وهي ترجو الاطلاع عليه فهزت كتفها وتناثرت الى قطام الثانية ففهمت قطام مرادها فابتدرت عبدالله قائمة بتفصيل الدلال « اذا كتلت ثلثة ذلك سراً فاحفظه ولا تبعه ولا احضر من

الخارج نظيرنا

فخجل عبد الله من توبيخها العلني ونظر إلى سعيد فرأه شاحصاً إليه كأنه يتغنى تصريحه بذلك السرّ بين يدي قطاع للا شيء « الفتن بها فحال عبد الله وفي كلامه أبجية الاعذار » حادثاً يا مولاني . التي لا أعني كفان السرّ عذر بعد أن رأينا منه المبالغة على الدفاع عن أمير المؤمنين بل بعد أن كتب أنت الداعية إلى الدفاع عنه . ولكنني قلت ما قلته ببساطة ولكنني ثائبة كدي صدق نبغي أذن لي أن أبسط ذلك السرّ بين يديك ويدني خالي لبابتي « قال ذلك والثالث بيته ويسرة كأنه يمحا ذراً إن يسمعه رقيب أو عدو فما صفت الجميع لساع كلامي فقال « علمت من جدي رحمة الله أن في النساطة كما قالت خالي جهوراً كبيراً لا يزالون على دعوة الإمام عليّ ومخدعون قليلاً وقالياً في القيام بصربيه ولم اجتماعات سرية يجتمعون فيها للتفاوضة في الوسائل المؤدية إلى ذلك » وما يبلغ إلى هذا الحد تعلم لسانه كأن شيئاً أوقفته عن اتمام الحديث وارتباك في كلامه فشك

وظهرت البغة عليه وقد ندم على ما فرط منه وعوّل على الاقتصار على ما قاله فادركت لبابة الحالـة سبب توقيعه فابدرته قائلة وهي تحكم « ألم يهـو من سـرـ عـيـقـ لمـ يـطـلـعـ عـلـيـ أـحـدـ آـنـيـ لـاـ إـرـاكـ زـدـتـ عـلـىـ قـوـلـيـ حـرـقـاـ وـاحـدـاـ . فـنـدـ قـتـ آـنـ دـعـةـ عـلـيـ يـاـقـونـ عـلـىـ دـعـوـتـ فـلـمـ تـرـدـ عـلـىـ ذـلـكـ آـنـهـ يـجـمـعـونـ شـرـاـ . وـهـنـاـ أـمـرـ مـهـمـومـ بالـقـرـيـنةـ فـكـأـنـكـ نـدـمـتـ عـلـىـ ثـنـكـ فـيـنـاـ فـوـرـأـتـ بـالـحـدـيـثـ ثـمـ قـطـعـتـهـ وـلـاـ آـلـوـمـكـ عـلـىـ ذـلـكـ فـانـكـ لـاـ تـعـرـفـنـاـ قـبـلـ هـنـ الـسـاعـةـ »

فقطعت قطاع حديثها قائلة « نقولين أنك لا تلوينه وإراك عاتبة عليه دعوه لثلاً يظننا راغبين في استطلاع سر لغرض لها ونحن أنها تزيد بعض ما يبرهن عبد الله فلا حاجة لنا في سر ولكننا نوصيه أن يقوم وزيرة سعيد في ما أوصاه يوم جمعه وهذا يكفيها » ثم وجهت كلامها إلى سعيد قائلة « لقد سررتني من رفقتك عما فضحته على السرّ حتى عن هذه المحتقرة التي بعد أن كانت أول الناقمين على علي اصجت من أكبر المدافعين عنه وهب أن شاء أراد افشاء ذلك السرّ فما نحن مأمورون ما ينقول أذ ربما وسوس لنا الشيطان فجئنا به إلى الاعذار

فوقع قطاع في قلب سعيد موقع السهام وغلب عليه الحباء والثالث إلى عبد

الله وقال « لاطاقة لي باحتفال هذا التأنيب يا عبد الله قل ما تعلمته سمعة قطام
ام لم تسمعا وما انا خارج من هذا المكان قبل ان اسمع بنيه الحديث »
فندم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا بدري كيف يغتصب من حماه وارتاكو
ولما رأى الحاج سعيد هان عليه النصرع بما لديه وهو لا يرى في ذلك لوماً عليه فقال
« اراك نهونني بذلك أنا يراها مني فاني لم اتوقف عن اتمام الحديث ضناً بي على قطام
بعد ان تختفت اخلاصها في الدفاع عن علي ولكنني صبرت ربنا استجمع كلام جدي
بعرفه فاذا اذنت قطام تلوثه عليكم حالاً »

قال عبد الله تربد فإذا سدت اذنيها عن سماعه فانا سمعتها

قال عبد الله « اخبرني ابو رحاب رحمة الله ان دعاء الامام علي يجتمعون
سرًا في معبد قدم خارج النسطاط في مكان يعرف بعين شمس يتغافلون فيه سرًا
في يوم الجمعة من كل أسبوع »

فسرت قطام ولباية بالاطلاع على ذلك السر ولكن لباية لدهنها ومكرها
ظهورت بالاستخفاف والإنكار وقالت « أهذا هو سر العظيم انه باطل
لایقبله العقل »

فاغناط عبد الله لانكارها وقال وما الدليل على بطلانه يا حالة
قالت « تقول ان دعاء علي يجتمعون هناك كل جمعة ونحن نعلم انهم يعدون
بالآلاف فكيف يسعهم ذلك المعبد . وهب ان وسعهم فكيف يجتمع الآلاف منهم
كل أسبوع ولا يدرى بهم عمرو بن العاص وعمدة عبيدة في اطراف النسطاط
أليس ذلك باطلاً »

فسر عبد الله لاستخفافها بكلامه اذا لا يكون لافتاته ثابره ورد الوقوف عند
هذا المخد فلم يرض سعيد بذلك بل أخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحسب انه اتي امراً
جديداً فقال « ان عبد الله لا يعني بالجفاعة دعاء علي انهم يجتمعون جميعاً كباراً
وصغاراً ولكن يريد ان رؤساء العشائر وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط » فضحك
لباية وظهرت بالردد عليه فقطعت قطام كلماها قائلة « يظهر يا حالة انك انت
تريدن المزاح فند كلانتي عبد الله الافتاء بالسر ثم جعلتني تخاذلته ونحن كما قلنا
لا يهمنا من الامر الا الوصول الى القاعدة المقصودة وهذا يكفي »

الفصل التاسع والعشرون

﴿ عهد جديد ﴾

ثم وجهت قطام كلامها الى سعيد فائلة دع لبابة وخبرتها واسع في ما انت ساع فيرو . فسر الى دعاء علي حيث هم مجتمعون وهم يعنونك على البحث والتفصيـ . ولا اوصيك الاـ وصبة واحدة ذكرها لك في هذه الحديث وهي ان تبني هذا الامر مكتوبـاً يبتنا عن كل انسان حتى نعرف من هو ذلك المخائن الذي يريد قتل الامام علي فادا عرفناه اما ان نرده عن غير او ان نرى رأينا فيرو على ما تفضيه الحال . اما اذا اشتنا خبرـ الآخر فانه يبالغ في الستر وربما امرغ في انداد سهوـ فيقتل امير المؤمنين غيلةـ ويدهب سعينـ عبيـ . اما الآخر فعنـ على يقينـ انه لا ينوم على ذلك الا في ١٧ رمضان وتخـ لازـالـ بعيدـ عنـ عنهـ . وزدـ علىـ ذلكـ انـكـ اذاـ حـنـتـ هـذـاـ الـاـمـرـ مـكـتـوبـاـ وـقـرـدـتـ فـيـ الـجـهـتـ عـنـهـ كـانـ الجـزـاءـ لـكـ وـجـدـكـ وـلـاـ اـشـكـ اـنـكـ اـنـكـ يـكـونـ عـظـيـماـ . وـلـاـ اـرـىـ فـائـلـةـ مـنـ اـطـالـةـ الـجـهـتـ . وـلـكـ تـحـقـقـ شـتـةـ رـثـيـقـ فـيـ الـاسـرـاعـ اـبـدـ عـهـدـيـ اـبـدـ اـلـاـ يـسـرـكـ فـعـوـضاـ مـنـ اـنـ يـكـونـ اـفـتـارـاـنـاـ . وـقـوـقاـ عـلـيـ قـتـلـ الـامـامـ عـلـيـ فـيـ قـدـ جـعـلـةـ وـقـفـاـ عـلـيـ اـنـقـادـوـ مـنـ النـيـلـ فـاـذـاـ كـتـ تـخـبـيـ (وهذا ما لا اـشـكـ فيـ) بـادرـ الىـ الـعـلـ وهـذـانـ عـبـدـ اللهـ وـلـبـابـ شـاهـدـانـ عـلـيـ مـاـ اـقـولـ

وـكانـ سـعـيدـ بـعـدـ اـنـ تـبـرـ وـجهـ المـسـأـلـةـ يـرجـوـ اـنـ يـتـبـرـنـ بـقـطـامـ قـبـلـ ذـهـابـهـ فيـ هـذـهـ الـمـهـيـةـ . فـلـمـ سـعـ كـلـامـهاـ بـخـلـ منـ مـرـاجـعـهاـ لـلـلـاـ يـقـالـ اـنـهاـ اـشـدـ رـغـبةـ مـنـهـ فـيـ الدـفـاعـ عـنـ عـلـيـ فـاـنـعـلـتـ الـجـيلـةـ عـلـيـ وـلـمـ يـسـعـ اـلـاـ اـجـاـبـهاـ فـقـالـ « وـهـذـاـ مـاـ عـوـلتـ عـلـيـ اـنـ اـيـضاـ اـلـكـيـ يـمـ عـقـدـ الـنـكـاحـ عـلـيـ يـدـ الـامـامـ فـنـسوـ بـحـولـ اللهـ »

وـكانـ عـبـدـ اللهـ فـيـ اـشـاءـ ذـلـكـ صـامـتاـ بـسـعـ المـحـدـيـتـ وـقـدـ خـامـرهـ شـكـ فـيـ كـلـامـ قـطـامـ وـنـدـمـ لـتـسـرـعـوـ فـيـ فـتـاهـ السـرـ فـظـالـ صـامـتاـ لـلـاـ يـقـعـ فـيـ مـاـ يـرـدـ نـدـمـ وـشـعـرـ اـسـاعـدـهـ يـاـ اوـتـيـةـ تـلـكـ الـنـيـةـ مـنـ الدـهـاـ . وـلـمـ يـرـ خـيرـاـ مـنـ اـظـهـارـ ثـنـيـهـ بـهـاـ وـيـصـدـقـ لـجـهـهاـ فـاـخـذـ يـطـريـ بـغـيرـهـاـ وـيـنـيـ عـلـيـ صـدـقـ مـوـدـهـاـ فـقـالـ هـاـ « اـنـيـ اـعـدـ اـخـيـ سـعـيدـاـ مـنـ اـسـعـ خـانـ اللهـ لـوـفـقـوـ اـلـىـ هـذـاـ الصـيـبـ فـاـطـلـبـ الـيـوـ تـعـالـىـ اـنـ يـوـفـقـنـاـ اـلـىـ مـاـ نـخـنـ سـاغـونـ فيـ »

ثم قال «وقد أصبت بوجوب كفاح ذلك عن كل انسان يبارك الله فيك» والثالث الى لبابه فقال «وانت يا خالة نرجوان تواصلينا بادعياك الصالحة وأراك الصائبة» فنالت لبابه واما الرأي عدي فالاسراع في الامر فعليك بالسفر حالاً الى مصر واطلب الى الله ان يوفقك ويسهل طريقك اذا أتيت النساطط اطلبها عن شمس في يوم الجمعة ولا تدع من انصار امير المؤمنين من يرشدك الى المباغي وقضوا برهة في احاديث أخرى ثم انصرف عبد الله وسعيد وفي نفس عبد الله شكوك لم يجر على مكاشته سعيد بها لما آتته من اخلاصه لنظام وارتباطه الى من اعدوها ولكنه عول على اغتنام فرصة يستطيع بها النساطط على افكاره

سلاطين مصر

الفصل الثلاثون

﴿القدر الفظيع﴾

اما نظام فحلاما خرج سعيد وعبد الله من منزلها خلت ببابه فنالت طالبة «لقد ثبتت لنا المعدات وإن الاتهام على غير بد هذا الجبان، إن علياً سيدل لاعماله ولقد أحست بطلائمه ومساريه، واحسن ما رأيته من دعائك نصيحة على الكجان لانه لو اطلع علياً على خبر المواجهة فشل المعاً مرون ونجا عليٌ من الموت» فقطعت فطام كلامها قائلة «ولكن ذلك وجد لا يفهم لها التوز يا خالة وانا لم الفس منه الكجان لهذا الغرض فقط ولكنني اردت ان يبني خبر المواجهة مكتوباً عن كل انسان حتى عن هذين الامور»

قالت وكيف ذلك اني لم افهم مرادك

قالت «انتكونين لبابه العجوز التهرمانة وينهي مغزى كلامي عليك .. ما الثالثة اذاً من الجب عن مجتمع انصار علي ..»

قالت اني لا ازال اجهل ما تريدين قوله ما مرادك

قالت «مرادي ان ابعث الى عزوبين العاص بخبر تلك الجمعة ويوم اجتماعها وهو لا ريب يغتها وينهض على رجالها وسيكون سعيد وعبد الله بينهم فاما ان ينتما

او سجينها فاذا قتلها ظلّ امر المؤمنة بكتوراً عن كل انسان و اذا سجينها ظللاً في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الاقل فيكون قد نفذ السهم و انقضت لنتيجه ولا يهمني بعد ذلك امر»

فلا سمعت لبابه كلام قطام همت بها وقبلتها وهي تقول «بورك فيك يا بنية والله انك ابعد مني نظراً واشد دعاء و اذا احجاك الله الى سفي لم يعد ايليس يقوى على مكرك ...» قالت ذلك وضجعت . وظلت قطام عابسة ولم تعجاً بضمها ولكنها نادت ريحان خادمها لحضر و كان جالساً في مكان بحيث يسمع ويرى ولا يراه احد فلما وقف بين يديها قالت له «ألم يقول سوداك ظللاً»

قال كيف لا واني مطالب بدمها

قالت اندرني لما دعوتك

قال على انك دعوتني لتعيشي في الى النسطاط اخبر عمرًا ابن العاص بخبر هذين او بغير هذين عادات العلوبيين . أليس لذلك دعوتي ؟

قالت على اني دعوتك لليل ذلك بورك بسواك هنا وقت الحاجة اليك ولكنني اطلب اليك ان تبلغ عمرًا ذلك بدون ان تذكر اسمي واني واثقة بطلحك فلا تخيب امي . اذهب الى مصر وابلغ الرسالة وجدني بقتل هذين او سجينها وانت حر لوجه الله

فانقلب ريحان حاجبها ونظرت بالعناب وقال «ألا تعلمون يا مولاتي انك تهينيني بهذا الكلام من حيث تريدين سروري . انظرين اني افضل الحرية على الاستعباد لك . فقد قلت قولاً واصحي في ان اقول مثله . اني ذاهب لاغناد مراماًك فاذا انا فرت فيه رجوت ان تعيديني بان لا تذكرى الحرية فقط»

ضجعت قطام واظهرت الاعجاب بشهامة ريحان وقالت سر يا امير انك والله خير من الف ايض



الفصل الحادي والثلاثون

السطاط

في مدينة عمرو بن العاص بناها سنة ٢٠ للهجرة بعد فتوح الإسكندرية . وسبب تسميتها بالسطاط (المجده) ان عمر لما فتح حصن بابل حيث هو دير مارجرجس الآن او دير الصارى بقرب بصرى القدية واستقر الصالح بينه وبين المفوس بهض لنفتح الإسكندرية وكانت خيامه منقوشة خارج ذلك الدير بين الدول وجمل المقطم فأمر ببنو يضها والرجل شهادة مني لان في سلطاط الامير يوماً معاشاً تحده صفار لا تستطيع الطيران فقال عمرو «لند تخرمت بجوارنا اقرروا السلطاط حتى يجاور فراخها »^(١) فتركوا سلطاط منعوا حتى عادوا بعد فتح الإسكندرية فابنهما الدور حوله . ولما نتت المدينة اطلق عليها اسم سلطاط وهي اول مدينة بناها المسلمون في مصر وفيها عاصمة ملوكهم حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فقتلت الحكومة بها (راجع كتابها تاريخ مصر الحديث)

وكانت سلطاط في العام الأربعين للهجرة وهو العام الذي جاءها فيه سعيد ورفقته عبد الله قد عمرت وافتتحت بها القبائل والآثماذ في خبطاط وخارات بنيت لهم . وكانت سلطاط سلططة الشكل على ضفة النيل الشرقي طولها ميلان في ما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأمام مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ عرى الديل المبارك . وكان اذا جرى رست سنته بباب دير الصارى حيث كيسة المعلنة اليوم فكل ما بين الدير والنيل من الدهس وما أقيم عليه من البناء اما حدث بعد الاسلام وكان جامع عمرو اليافة آثاره هناك الى هذا اليوم مرکز تلك المدينة وحوله انشئت الخبطاط والازقة والمارات . وكانت اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو اوها داران الدار الكبير والدار الصغير . وكان المسلمون اولاً يتزلبون في المحيام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس في بناء المنازل . ولم يكن قبل سلطاط هناك الا بعض الديور للقبط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخبطاط او الشوارع على اسماه

(١) ابن دثنا ج ٢

القبائل التي تألفت منها حملة ابن العاص في ذلك الحين وَمَنْ نَزَحَ بَعْدَهُ وَأَوْجَاهُهُ^{١١} جِيَّعاً أَهْلَ الراية من قريش والأنصار وخزيمة وغيرهم فبنوا لم خطة سموها خطة أهل الراية ثم خطة مهرة وخططت لهم واللنيف والمصفد من كثنة وخولان فضلاً عن خطط غير العرب مثل خططة التارسيين وهم من حضر النفع من أهل فارس وأصلهم من بناءاً جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام اسلوا في الشام^{١٢} ناهيك عن خطط أخرى لا تحصى فضلاً عن الشوارع والازقة والمحارات

فترى ما تقدم أن النسطاط لم يكن يقيم فيها في أول أمرها غير المسلمين وأما المسيحيون واليهود من كانوا هناك قبل النفع فمن آخر القاء تحت رعاية المسلمين أقام في الأديرة خارج النسطاط وأكبرها دير الصاري (او دير مار جرجس) وهو المحسن الذي حاصر فيه المتوقس ورجاله لما جاءهم المسلمون وكان يحيى حصن بابل او قصر الشمع وربما أقام بعض القبط او اليهود في النسطاط لتجارة او صناعة او كتابة لأن عمرًا عهد إلى التبط في بادئ الرأي كثيراً من أعمال حكمه وابني الشواوبن تكتب بالقبطية وما زالت كذلك الى امارة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فابدلت بالعربية .

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شاهد النسطاط خربة لم يبق من ابنيها الشاغفة ومعالمها الرفيعة الا بعض الجدران الفليلة او الاعنة الخفية والمسلاط من بناءاً فيها كل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم فيها احد فإذا احتاج الناس الى سجارة او اعمدة يبنون بها داراً كبيرة او جائعاً حلواها من اقاضها

الفصل الثاني والثلاثون

* سعيد وعبد الله *

اما سعيد وعبد الله فانهما تأثراً بهما للرحيل في ذلك اليوم وأصبحا على راحتيهما وخرجَا من الكوفة يلحسان النسطاط وهذا لا يعلم ما اعدته لهما قطام من المكائد . وسارا بيدان السير بوصلان الليل بالنهار حتى اقيلا في ثغر يوم الجمعة على النسطاط فاطلاً

عليها من سُلْطَن المقطع فإذا هي متندة على فضة البيل على مسافة طوبلة وراءها البيل
يُهُرِي وفيه السنن راسية تحمل الأغلال والآحصال بعضها قادم من الصعيد والبعض
الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو حولة الابدية والدور فوقنا
هديمة يهتان في الخطة التي يجب أن يسيرا عليها في أيام مهمتها

فقال عبد الله ها إنما انتصارات الآن وقد طلع ثغر الجماعة الذي يجتمع فيه
دعاة أمير المؤمنين في عيون شمس على مانعهم . فهل نظر ها حتى نسير نُنَا إلى عن
شمس أم ننزل النصاط ثم تخرج منها إلى عن شمس

فقال . بعد وما الداعي لبقاء هنا وقد يكون في بقائنا مظنة سوء ونحن لا نعرف
أحد إلا إنما من دعاة معاوية . وزدعلى ذلك إنما لا ندرى الساعة التي ينعقد فيها
ذلك الاجتماع تماما وإنما علمنا باجتماعهم في يوم الجمعة فهل هو في الصباح أو المساء
او أي وقت ؟

قال عبد الله لست على يقين من ساعة الاجتماع ولكنني أظنه يجتمعون بعد صلاة
العصر إلى المساء . وعلى كل لا أرى بأساساً من التزول إلى النصاط نصلى الصبح فهو
ويفعل دواينا في ما ورد نتربع فيه . ثم أخرج إنما للبحث عن ساعة الاجتماع ومكانه
وأعود إليك فسبر معـاً

قال سعيد لقد رأيت الرأي الصواب
ونزلنا بناقيبها حتى دخلنا المدينة وهي يومئذ آهلاً بالناس وقد أذن المؤذنون
يدعون الناس إلى صلاة الصبح فأتي المسجد وأمامه ساحة كبيرة تلف فيها الدواب
تشد إلى أوتاد أو غريل . فربطا الرجالين ودخلوا المسجد للصلاة وكانت الشمس قد
أضحت وتقاطر المسلمين أفياجاً دخلوا في جملة الداخلين

الفصل الثالث والثلاثون

* عمرو بن العاص *

ولم يكدر يستقر بها الجلوس حتى رأيا الناس في حركة وجلة وقد فتح باب في بعض
جوانب المسجد دخل منه رجال في أيديهم الصوات يزجرون الناس . فقال سعيد من

هم هؤلاء . فقال عبدالله ائم الشرطة ينثرون الطريق الامير . ولم يك عبدالله بن كلامة حتى دخل رجل ربعة قصیر النامية وافر الاماية ادعج ابلج علیه ثواب موسى كأنه العتبان تأثني على حلة وعامة وجة عرفا انه عرو بن العاص فقصد المدير والناس يتظرون . فحمد الله واثني على وصلى على النبي (صلعم) ووعظ الناس وارهم وبهام وجعل بخضم على الزكاة وصلة الارحام وبا مر بالاقتصاد وبيني عن النضول وكثرة العمال واختناض الحال في ذلك الى ان قال يا معاشر الناس ايامكم وخاللا اربما فانها تدعوا الى الصب بعد الراحة والى الضيق بعد السعة والى الذلة بعد العزة ايامكم وكثرة العيال واختناض الحال وتضييع المال والتليل بعد النوال في غير درك ولا نوال . ثم انه لا بد من فراغ يوشل اليه المرء في توديع جسمه والتدبر لشأنه وتخليصه بين نسوة وبن شهوانها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالتصد والتصيب الاقل ولا يضيع المرء في فراغه فنصيب العلم من نسوة فيجوز من الخير عامللا وعن حلال الله وحرامه غافلا . يا معاشر الناس انه قد تذادت الجوزاء وذلت الشعري واقلت السما . وارتفع الوباء . وقل الندى وطاب المرعى ووضعت الحوامل ودرجت العثائق وعلى الراعي بمحمن رعيتو حسن النظر فيكم على بركة الله تعالى الى ربكم فتالي من خونه وبنه وخرافه وصيه واربعوا خلوكم واستوصوا وصونوها باكرمواها فانها جهنم من عدوكم وبها مفاسدكم وانقالكم . واستوصوا بين جاورتهم من القبط خيراً واباكم وللمؤسسات والمسؤوليات فاهين . ينسدن الدين ويقتصرن لهم . حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتول ان الله سبحانه عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقططها خيراً فان لهم فيكم صهرًا وذمة فنكروا ايديكم وعنكم فروعكم وغضبي ابصاركم . ولا اعلم ما انى رجل امن جسمة واهزل فرسه . واعلموا انى معترض الخيل كاعتراض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حلطاته من فريضتي قادر بذلك واعلموا انتكم في رباط الى يوم القيمة لكنزة الاعداء حولكم ونشوف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواقع والبركة النامية . وحدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم مصر فاخذلوا فيها جندًا كثيناً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له ابو بكر رضي الله عنه وام رسول الله قال لانهم فازوا جنم في رباط الى يوم القيمة فاحمدوا الله معاشر الناس على ما اولاكم فتهنعوا في ربكم ماطلب لكم فاذا بس العود وتخن

الله، وكثير الذباب وحوض اللين وصوح البقل وانقطع الورد من الشجر في^{١١} الى
فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن احد منكم ذو عيال الا وسعة تحنة لعياله على ما
اطلق من سعن او عسرتو اقول قولي هنا واستحفظ الله عليكم^{١٢} انتهى
وكان عمر يخطب الناس يعمون وقد تخشعوا لما قاله من الاواب والواقي .
فقال سعيد لعبد الله همساً والله انتم الامير وشلت يد لقنانة اني والله من ذرته بذلك
متي دنا الاجل المضروب فلم يجيء سعيد مخافة ان يلحظ احد شيئاً ما لها فيه
وبعد تمام الصلاة خرج الناس وخرج عبد الله وسعيد واجتمعوا في ساحة المسجد
خارجاً ونماذج فعرف عبد الله رجلاً من غنار كان له معه صدقة خدهاء وسعيد^{١٣}
الي منزله ليقيمه عنده فاعذرها فاتح عليها فسارا معاً نلاً^{١٤} يوجب ابعادها شيبة فانزطا
في منزل الله في خطة اسهمها خطة خارجة بن حداقة فامر الغفارى عبد الله استلم الراحتين
وسار بها الى المربيط ودخل بالضيوف الى غرفة لم يربا فيها نافذة الا كثرة في اعلاها
فجدها وهم عبد الله بالاستئهام عن ذلك واوقفته التأدب لمحظ الغنارى استغراقة فقال
له لا تعجب حال هذه الغرفة فان كذلك سائر بيتة الفسطاط
فقال عبد الله اني والله يا اخاخنار لني عجب عجب ما ارى فما الذي دعا الى هذه
الاقفال . فقال الغفارى اعلم ان خارجة بن حداقة صاحب شرطة مولانا الامير عمر
ابن العاص هو اول من ابى غرفة في الفسطاط . فلما علم بذلك امير المؤمنين عمر
ابن الخطاب يومئذ كتب الى الامير عمر بن العاص ان « ادخل غرفة خارجة
وانصب فيها سريراً واقف عليه رجاليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كواها
فاهدمها » ففعل ذلك عمر فلم يبلغ الكوى فاقرها^{١٥} فلم يجسر احد ان يبني غرفة
بعد ذلك الا على هذا الوصف وهو بالحقيقة احسن للحجاج

الفصل الرابع والثلاثون

* عين شمس *

ثم جاءها الغفارى بالزاد فتناوله وبعد الاستراحة التسما الخروج لبعض المهام

وَهَا أَنْتَ يَرِيدُنَّ الْخَلْقَ لِلنَّاظِرِ فِي مَا جَاءَكُمْ مِنْ أَجْلِهِ خُرْجًا وَمُشَبِّهًا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ يَظْاهِرُهُنَّ
بِالْخُرْجِ بِإِشَاعَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَوَانِيَّاتِ وَالْبَيْوَاتِ حَتَّىٰ خُرْجًا مِنْهَا فَقَالَ سَعِيدُ أَنَّهَا فِي
غَوَّ الظَّهِيرَةِ وَمَا الْعِلْمُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ دَعْنِي أَمْ بِرْ وَحْدِي إِلَى عَيْنِ شَمْسٍ فَإِنَّهَا عَلَىٰ ضَعْفِهِ أَمْيَالٌ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ حِيثُ تَرَى هَذِهِ الْخَرَائِبَ وَلَمْ يَأْمُرْهَا هَاتَانِ الْمَلَكَانِ (وَإِشَارَ إِلَيْهَا بِأَصْبَعِهِ) فَأَبْحَثَتْ
عَنْ مَكَانِ الْأَجْمَاعِ فَإِذَا عَزَرْتَ عَلَيْهِ جَشْكَ عَلَىٰ عَجَلٍ - فَإِنْهُ الْمَلْكُ
قَالَ إِنِّي أَقِيمُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّىٰ تَعُودَ إِلَيْيَّ وَاحْذَرْ إِنْ تَعْلَمْ غَيْبَكَ
فَسَكَتْ عَبْدُ اللَّهِ وَلَبِثَ بِرْهَةً يَنْكِرُهُ فَقَالَ وَإِذَا أَبْطَلْتَ فِي الرَّجُوعِ إِلَيْكَ فَأَهْلَلْ
عَيْنَ شَمْسٍ وَإِنْتَظِرْنِي بِقَرْبِ هَاتَيْنِ الْمَلَكَيْنِ الَّتِيْنِ تَرَاهَا قَائِمَيْنِ هَذَاكَ وَإِنَا آتَيْكَ أَوْ
ابْصُرْ مِنْ يَدْعُوكَ إِلَيْهَا

قَالَ حَسَنًا وَافْتَرَقَا وَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ بِلِقَسِّ عَوْنَ شَمْسٍ وَقَدْ جَهَلَ وَجْهَهُ إِلَيْهَا
الْمُسْلِمِيْنَ وَكَانُوا ظَاهِرِيْنَ عَنْ بَعْدِهِ وَعَادَ سَعِيدُ إِلَى الْجَامِعِ
أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَسَارَ حَتَّىٰ أَقْبَلَ عَلَى عَيْنِ شَمْسٍ فَإِذَا هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ أَخْرَبَةٍ لِيْسَ فِيهَا
مِنَ الْأَبْيَنِ إِلَّا الْجَدْرَانِ وَالْأَعْمَدَنِ فَطَافَ بِيْنَ خَرَائِبَهَا فَلَمْ يَرَ أَحَدًا وَلَا سَعِيدَ
صَوْنًا وَقَضَى فِي ذَلِكَ سَاعِيْنِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ الْجَدْرَانِ ثُمَّ يَمْوَدُ إِلَيْهِ حِيْثُ بَدَأَ فَلَمْ يَرَ
إِثْرًا لِلآدَمِيْنِ فَظَلَّ نَسْنَةً اخْطَلَّ الْمَكَانَ أَوْسَاهُ فَهُمْ مَا يَلْعَنُهُمْ مِنْ أَمْرِ ذَلِكَ الْأَجْمَاعِ
حَتَّىٰ كَادَ يَمْهُو بِالرَّجُوعِ وَقَدْ خَابَ مَا أَمْلَأَ وَخَلَ لَهُ أَنْ دُعَاءَ عَلَىٰ أَبْدَلِهِ مُجْتَمِعَهُمْ هَذَاكَ
بِكَانَ آخَرُ

فَأَسْنَدَ ظَاهِرُهُ إِلَى جَدَارٍ وَوَقَفَ يَنْكِرُ فِي مَاذَا يَنْقُلُهُ وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ نَحْوَ الْمَغْبِبِ
فَرَأَى رَجُلًا قَادِمًا مِنَ النَّسْلَاطَنِ فَتَشَدَّدَ عَبْدُ اللَّهِ نَسْنَةً بِإِشَاعَةِ بَعْضِ مَا هُوَ مَحْتَوِيُّ
عَلَىٰ ثَلَاثَةِ الْأَتَارِ مِنَ الرِّسُومِ الْأَفْرِو-غَلَبِيَّةِ كَانَتْ يَعْجَبُ لِغَرِيبِ صَدِيقِهِ رِبَّهَا يَرِبَّ الرَّجُلِ
وَيُضَيِّعُهُ - وَكَانَ يَظْاهِرُ بِالظَّرِفَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ الْأَتَارِ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ يَمْنَاسُ النَّظرَ إِلَيْهِ ذَلِكَ
الْمَلَكِ - وَكَانَ الرَّجُلُ يَظْهَرُ تَارِيْخَهُ وَيَخْتَفِي تَارِيْخَهُ فِي مَرْوِزَهِ بَيْنَ الْأَعْمَدَنِ وَالْخَرَائِبِ
ثُمَّ أَخْلَقَهُ وَلَمْ يَعْدْ يَظْهَرُ

الفصل الخامس والثلاثون

﴿ الاجتماع السري ﴾

فجع عبد الله لامر و قال في نسو لابد ان يكون هذا الرجل من جملة اهل ذلك الاجتماع السري وقد نزل في نفق او خنو . فالناس المكان الذي ظنوا اخرين فيه يوجد هناك مخدرا يظهر لاول وهلة انه مسدو فنزل فيه وهو يخلو الموضع حتى انتهى الى ثلاثة دامسة فوقف واصاح بسبعين فتحاً عيناً فامض بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة و خاف ان يستنشق القوم فيقتلهم

فوقف برحة يتردد بين ان يسر متسلماً او يرجع فياً في سعيد . ثم رأى ان يخفق المجيئ قبلاً ثم يعود فخطا بضع خطوات وهو لا يرى شيئاً امامه فلطم رأسه بالسفف فجاء ظهره و داهنه العطاس لرطوبة الماء فعطاس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا وقد ظهر نور ضعيف و تقدم بضعة رجال كلهم ملثمون و عليهم اردية سوداء تربدم وحشة فتباشوا عليه وهو لا يدري حراراً . و تربدوا في ذلك الدهليز الى قاعة تحت الارض واسعة وكل جدرانها و سقفها مقطاً بسيج اسود ما يجعل المنظر رهبة ولو لشمعات مضيئة في بعض جوانب المكان لكان الفلمة لانطلاق لكتافها . و نظر عبدالله الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مقطاً بسلامة سوداء لم يدرك ما تحتها ولكنه لم يستطع التأمل وقد احدق ببعض عشر رجالاً الغنواني العبي تحتها السيوف وكلهم ملثمون . خاطبه واحد منهم بسألة عما يربده

فقال اني جئت اشاركم في ما انت فيو

قال وما ادراك ما ياخعن فيو

قال علمت انكم تدعون الناس الى نصرة الامام علي اليس ذلك ما تدعون الي

قال وما شأنك بذلك

قال شأني هو شأنكم . لاتسيروا الغلن في اني قادم من الكوفة منه الغابة

فقال له رجل آخر كيف تكون اموياً وتدعي نصرة الامام علي

فاستبه عبد الله به هو مخاطبوا أنَّ هُوت صديقه الغناري الذي تزل عنده في ذلك الصباح فقال له السُّتْ أنت صديقي الغناري . أصدقني ولا تخف اني والله جئتك بخبر هام اذا اشركتوني في امركم اطلعكم عليه وتحفظتم صدق قوله فقال الغناري اذا كنت صادقاً في ما تقول تعال معي . ومشى فتبعه الى الدكّة في وسط النّاعورة ورفع عنها الملاعة السوداء فإذا هناك مصحف فوقه سيف مسلول وقال له ضع بذلك على هذا السيف واقسم به الله العظيم انك حليف للامام علي تنصر نهرين وتحارب عدوه

فوضع عبد الله بن علي المصحف والسيف معًا فشعر ببرودة السيوف فارتعشت
انامله وأكثنه اقسم هم كا ارادوا
ثم قاده يزيد الى دكمة اخرى رفع غطاءها وتناول عنها قارورة فيها مسحوق اسود
كانه الكل فاشتاق عبد الله لمعرفة ما فيها فتناول وما هي . قال هن قارورة فيها
بقية من رماد ابن اي بيكر الذي احرقته به بالنار ظلماً فاذ شئت المداية ونصرة الحق
كما تدعى وجب عليك ان تكتحل بهذا الرماد وتبكي ذلك التبليل المظلوم وتعاهدنا
علي الاخذ بشاربه . فهل انت قابل بذلك باق على قيمك ؟

قال اني باقٍ على ما تريدون وقد قلت لكم المدق فلا تستغشوني
فتقدم اليو صاحبة فتح التارورة وادخل فيها ميلاً علق عليه بعض الرماد
فاعطاه الى عبد الله فاكمحل بو فهاجت عيناه وانسكب الدمع بالرغم عيه فشاركه
الرفاق بالبكاء

ثم ازاح الغناري ثانية وقال له نعم اني صديتك كا قلت ولكن اعلم انك اذا
كنت على غير ما تقول فاني اكون عذوك اهدر دمك بجد هذا السيف . قل
ما يذا لك .

فلا اطأنا عبد الله تذكر سعيداً فنال ولكن لي رفيقاً أريد ان ادعوه اليكم
ليشهد ما نحن فيه ويشاركا في هذا الجهاد
فنال له الغفارى انك غير خارج من هذا المكان الا بعد خروجنا جميعاً فنل
ما تريده

فاطل عليهم وقال «لا تجيئوا أولاً لاني اموي . وقد اصحاب صاحب الغفارى يانى من انصار معاوية وقد كتبت مطالباً بدم عثمان ولكن طرأ على طارى لا سافقة عليكم اما الان اخبركم اولاً انى قادم من الكوفة وقد علمت ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع منهم حوله اربعون ألف مقاتل^(١) وكلهم مستعدون للتزال وبذل المال والرجال في هذا السبيل»

فقالوا ان رجالنا يعدون بالآلاف ونحن وهم واموالنا وكل ما نملكه هدر حلا

في نصرة الامام ابن عم الرسول
وهم عبد الله باقام الحديث فاعترضه احدهم قائلاً عرفناك اموياً من الداعمين
الامام كما ذكرت فما الذي حملك على نصرة حق خاطرت بنفسك وحدث هذه البلاد
فاخذني من عليهم حدثت ابي رحاب ولكنكم يكذبون كلامي حتى يعموا وقع
حوافر الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتفع المكان فوفهم بالجلبة فانصتوا ووقع الرعب في
قلوبهم وخيم لهم اتها دبابة من عبد الله فهربوا بقتلو ولكنهم ما لبثوا ان رأوا انوار
المشاعل مبعثنة من مدخل الدهليز وقد اهالت الشرطة عليهم فارادوا الدفاع عن
انفسهم فلم يلعنوا فشدو وثاقهم وساقوهم في ظلام الليل الى النسطاط

الفصل السادس والثلاثون

* السجينة الامينة *

ومكث سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يجد عبد الله فتردد برده بين ان
يذهب إلى عين شمس او يحضر عود عبد الله . ثم غربت الشمس فلم يرى بيكى من المسير
إلى عين شمس كأوعز إلى . فخرج من النسطاط وجعل المسلمين وجهته والظلام
يكاد يجهلها عنه فشيء وقد أوجس خيفة من إبطاء عبد الله ولم يجد بري المسلمين إلا
إذا بربنا في الأفق . ثم اختفت ولم يجد برياما وخفف أن يصل الطريق . وفيما
هو في ذلك سمع ديبها وقرفة كانت جديداً فادماً وراءه فتخى عن الطريق فإذا

بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة تلبيس عين شمس فاضطراب وخاف الدسيسة .
والنفت الى يمينه فرأى بيته قائمًا في بستان . فلاح له ان يقول اليه يستفهم اهلة عن
الطريق فلما دنا منه سمع صوتاً خارجًا من بعض جوانبي استوقف انتباهاه فوقف
واصباح يسمعه فسمع صوتاً رخباً يمازجه بكاء ولم ير ماك نوراً ولا رأى احداً في
البستان فالناس باب البيت فإذا هو موصد وقد وضع لدبو صوت البائكي فتنهض
فسمع صوت امرأة تبكي وتفعل « ألا تخاف الله يا ظالم أما كذلك ما واطلت عليه
من قتل البريء حتى رميت الوفا من الناس تحت خطر القتل النظيم . . . هل من
يبني هؤلاء الابرياء بما وشوا به عليهم فینفذهم من خطر الموت »

فلما سمع سعيد تلك العبارات اشعر بذهنه ولم يعد يصر على استطلاع سبب
ذلك البكاء . فشرع الباب قرعاً خفيناً فانطلق الصوت بغنة فصبر هيبة وكرر الفرع
وبيه ترتعش من شدة التأثر فلم يسمع شيئاً فازداد شوقاً لاستطلاع ذلك السر ولكنه
خاف ان يقع في مكينة وهو غريب هناك فلما ثرثرة والهواجرس تفاذفة وقد حدثته
نفسه ان بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عن علاقة كبيرة . وكان الفرسان
الذين مرروا به قد بدلوا عنده ولم يعد يسمع من وقع حوارفهم غير الذي
البعيد . فايقن انهم بالقسوة عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل .
وبعد التأمل بما سمعه ورأه اعتقد ان في الامر سراً بهذه الاطلاع عليه
فهز الباب يئك هزاً شديداً كأنه يريد فتحه بالعنف فلم يتنزع لاته موصد ولم يعد
يستطيع صريراً والوقت ضيق فتال بصوت خافت « هل في المنزل احد ينبع الباب
اني غريب ضلل عن الطريق »
فاجابت الصوت من الداخل « ليس في البيت سواي والباب مغلق لا سيل
الى فتحه »

فازداد سعيد دهشة واستغراباً وقال « من انت ايهما المخاطب اني اراك في طريق
قول من سبيل الى اقاذتك »
فاجابت الصوت « ياحبنا ذلك اذا استطاعته اني حبيسة بالرغم عني . من انت »
قال « قلت لك اني غريب ضلل عن الطريق اربين وجهك او ارشد بني
الى وسيلة افتح بها الباب »

قالت « ماح الاقنال بالعنف لعلك تستطيع فتحها فتشذني وربما اخذت
الوفا من الناس معي »

الفصل السابع والثلاثون

﴿ الشك واليقين ﴾

فتارت الحبوبة في رأسه واستل « خبرة » وجعل « ماح الاقنال » وفي ن ساعده من
الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة مخلولة الشعر عليها رداء اهل النساطاط
ولما رأت سعيداً قالت من انت اصدقني الخبر
قال بل انت اصدقني ولا تخافي لقد سمعتك تدينين الوفا من الناس فمن هـ
اوئلك الالوف

فتفرست فيه وتدرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته لشدة الغلام

قالت له من قال لك اني اندب الوفا

قالت سمعتك باذني - افعلي ولا تخافي

قالت وما يهمك من أمر هؤلاء الالوف

قال « أخاف ان أكون أنا منهم ... »

قالت وما الذي جاء بك الى هذا المكان

قال كدت ذاهباً الى عين شمس ففهمت وجئت هذا المنزل لاسأل اهله عن

الطريق فسمعت بكاءك وبحديثي قلبي ان حديثك « هي ... قولي لند ناد صيري »

قالت اني اخاف العيون ولا اثق ب احد بعد ان غدر بي والدي ... فكيف

اثق بالغرباء

قال رب غريب اقرب من الترقب قولي لا تخافي

وفيها في ذلك سمعاً وقع المحوافر وصوت الفوضاء من ناحية عين شمس

فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيداً بهدوء ولم تنه بكلمة فدخل في اثرها وقد توغلت

الذهبة ولبس صامتاً . ولم تنفس برهة حتى دنت الفوضاء منها وسمعا من بين الاوصافات

فانياً يقول «لقد وقعت في ايدينا ايتها المخائون وعرفنا دسائركم» وسما الفطاً كثيراً من هذا التبليغ فظلاً صامتين حتى مر المتسان كلام وهم يسوقون جماعة من المشاهد موثقين

فطأ نواروا عن البيت لعلت النها ووجهها وقالت «لقد نالوا بغيرهم قبهم الله وقضوا على الجماعة»

قال واي جماعة . هل قضوا على جماعة عن شمس

قالت نعم انهم قضوا عليهم طأسناه

فصنق عذله بيده وخرج ليطال على المتسان كانه يريد ان يخفى طريقهم

قالت له يظهر انك كنت سارزاً لهم

قال نعم

قالت اند نجاك الله من ايدهم ولم يكن ضلالك الا وسيلة لنجاتك

فاضطررت سعيد واخلج قلبه في صدره وقال بالله عليك افصحي يا اخيه فقد نند

صيري وقد علمت غرضي فاخبربني عن حقيقة امرك

قالت لم يعد يكفي القاء هنا خاتمة ان يأتني احد فوراً معي ف تكون العافية

وخطبة علينا

قال وعل تريدين ان تبعد من هذا المكان

قالت نعم هلم بنا فاما خلونا نجادلنا وعساك ان تتفاق امرًا لا ازال خائفة من

وقوعه وهو شر عظم . قالت ذلك وخرجت من الغرفة فشت امامته وهو يبعها حتى

خرجا من البيتان واوغلا في الحنول وهو يسير في اثرها الى حيث لا يدرك وكلاها

صامتان لا ينو احد بكلمة حتى دنوا من بناء عالي المجدران كانه بلا باب . فقالت له

هذا دير للقبط فلتدخله مجيبة الزيارة فتكون في مأمن ومشت امامته الى باب صغير

في اسئل الماء مصلح بالمدبب فقرعنة فاطل عليها من نافذة في اعلى الماء راهب

في باب المصباح وقال من يترع الباب

قالت انتا غرباء نائم زيارة الدبر

ولم تمض هدوء حتى فتح الباب وسع لل فهو صرير فدخله حاني الرأس لضيقه

فاشرقا على دهليز دخلاته والراهب يسرير بال سبحان امامها حتى انتهيا الى الكيسة

فنظر الراهب إليها في نور المصباح فعرف الفتاة أنها من أهل النسطاط بل هي من اعجاشم فسرّ من زيارتها ورحب بها وادخلها إلى غرفة في الجانب الآخر من الكيسة فيها مصباح فسالها إذا كانا يبحاجان إلى شيء فنالا كلّا فتركها ورجع

الفصل الثامن والثلاثون

* كشف السر *

اما سعيد فقام الفتاة في التور فإذا هي شابة في مقدول العمر جميلة الطلعة وقد احمرت عيناهما وتكسرت اهداها من البكاء ولم يزدعا بذلك الا جمالاً . وكانت قد ضفرت شعرها في اثناء الطريق وغطت رأسها بطرف ثوبها . فجلسا على وسادة فوق حصیر وسعيد يتلهف لاستطلاع حدتها وتألة يخفى لما يتوقعه من النها الغريب فابتدرها بالسؤال حالاً عن حقيقة امرها فنظرت إليه ولم تك تتأمله حتى قالت « الملك احد الغربين اللذين وصلوا

النسطاط في صباح هذا اليوم

قال نعم اني هو وما ادرك بذلك

قالت رأيناكم مع جارنا الغناري وهو اني اقص عليك خبري الغريب والنفس

منك ان تشرع في ملاقاة الخطير العظيم الذي سيدم المسلمين قريباً

قال بالحقيقة قوله اني لهذا الامر اتيت النسطاط فensi ان اكون قد وقعت

على ضالتي

قالت اني اطلعتك على سر لا اظن احداً عرفه قولي ... المست على دعوة

الامام علي

قال على اني على دعوته وقد جئت في سبيل نجدته

وهبت بالكلم ثم توقفت ببرهة واطرقت للحظ سعيد ترددتها وادرك امها ساءت

الفنون به فنال ما لا نظني السر الذي منبهيني لي مجھولاً لدی وإذا شئت فقله لك .

ولامتنان بالله اقول انه يتعلّق بالامام علي وفيه خطأ على جهاته ...

فاطأنت ولكرها تهدمت وقالت «اعلم يا سيدى ان ما الذي يضع الملاح وبيعة في النسطاط وقد ربيت وانا اسمعه بتشييع الامام علي فاندرس حب هذا الامام في قابي وما انا في حاجة الى امتداح والذى لا هو ابن عم الرسول وصهر ولكنني ذكرت لك امتداحه لاذكر لك التغیر الجيوب الذى طرأ عليه

«فما زلت ندعو لعلي بالنصر حتى كانت واقعه صدرين منذ بعض سبعين فرأيت في والذى فتوراً من هذا القبيل ولكنك لم يذكر لنا شيئاً صريحاً بهذا الشأن . على انى كثيرًا ما كنت اراه بخلي بيبار لمن بي مراد كان يعلم الناس القرآن وكنت احسبه من اهل التنوى . . . (قالت ذلك وتنهدت) ولكنني وجدته وأسفاه من اهل العداه . وما زلا يتشاران في امر هذا العداه ولا يجرأان على الناظر بولان مصر كانت لازال في حوزة الامام علي وعاياها محمد بن ابي بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخبله ورجلو وحارب دعاء علي فقتل ابن ابي بكر رحمة الله قتله لم يسبق لها مثيل في الاسلام استئنام الامر للامم بين فجاءه والذى يعاداة علي وكان جارنا المرادي يزوره كرمها له . فعلمته انها نديعا للغوارج فطللت مع ذلك صابرية كاظمه اذا لا سيل لي الى شيء اهمله وانا فتاة ضعيفة كما ترى . . وكان والذى يظلي على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي خاطباً ورافضاً والذى ان اكون خطيبة له فلم اجب لا حسناً ولا قبيحاً خوفاً من اكرياه على الربيعة . ولكنني صعبت في باطن سري اني اذا تحملت عزمه على الزواج فررت وتركته وما زلت اماطل في كتابة العقد الى الان »

الفصل التاسع والثلاثون

* عبد الرحمن بن ملجم *

وكانت في اثناء كلامها عن الزواج قد اطربت حياءً فلما بلغت الى هنا الحد رأت سعيداً مصطفياً الى حدتها بكلبيه وهي تعلم انه انا بشناق الى آخر الحديث اكثر ما الى اوله شفاقت ان يعل » فقالت « ولا اطيل عليك الحديث قبل ان اصل الى جوهه فاقول ان ذلك كله احتمالية بالصريح علمت ان المرادي خرج الى مكة فظننته يذهب المحج ووددت ان لا يعود ولكنني ما لبست ان رأيتها عائداً

قالت ذلك وتهافت وسعيد يقاوم لجماع ما تقول وقد دهش لغراية الحديث
فقالت «عاد ذلك المرادي بهمة جديدة يا ليني متْ قبيل أن سمعت خبرها
ولكنني إذا لم أجد من يتحمل المشقة في ملأ فاهما تلافتها يتنفس . . . جاءنا هذا المرادي
ثاني يوم وصوّل النصّاط فاختلى بوالدي اللول كله يتكلمان وإنما لا أعلم ما دار عليه
حديثهما ولكنني علمت بعد ذلك أنا أوصي والدي أن يضع له سيناً ماضياً انفق عليه
الف درهم وقضى منه يوم وهو شحن طم فلم أفهم معنى هذا الاستعداد ولا افهمت يوم
وبعد أن شعّن كاف والدي سفاه المم . وقد علمت أنه انفق على سفاهي الف درهم
إيضاً^(١) . . . فربّل جسم يحرّحة هنا السيف ولو جرحًا خنيداً «
فهل سعيد ولم يُعد يستطيع صبراً على التصرّج باسم ذلك الرجل والإفصاح عن
غرضه بسفاهة السيف وهو لا يشك أنّ المأمور على قتل الإمام علي . وكان قد صبر
سفاه حتى يسمع بذلك من فم الثناء ولكنّه ملّ الانتظار فسألما قاتلاً « وما هو اسم
هذا الرجل »

فقالت ابنة عبد الرحمن بن ملجم المرادي
 فلم يذكر انه يعرفه اما خولة فتهجدت وقالت « فلما رأيت منه هذا الاستعداد
 وهو كائم خبعين على عدته الى الحيلة فجاءني في صباح امس يودع والدي وقد عزم على
 الكوفة فقلت في نفسي سيدنهم الرجل ولا ادرى السر فظاهرت بايجانى بشجاعته
 واقناعه واطربت غيرته على الاسلام وتخوذلك وسألته ان يربى السيف لانا مل
 فرنك فجاء به واوصاني ان اتقي حذاته لان جرحه يهدم حالاً فسللت بمقدار كلی فادا هو
 يلمع لعله ان يشعر منه الابدان فارتعد حمي ولكنني اظهرت الجلد وقلت « اراك
 انفقت مالاً كثيراً على صنفه وما النافعة من هنا اللعنان »

فشكوك مستخناً وقال انظرين اني انتقت كل هذا المال على مجرد صقلو
قلت وماذا اذًا اني لا ااري فيه غير اللعنان

فتال في سقينة الماء

فاظهرت الاستغراب وقلت ولماذا سمعتة . وما زلت احاولة واجادلة حتى هان عليه النصر بع^فيقال لي « ادخلني يا خولة اني سأقتل بهذا السيف رجالاً يزععون الله

(١) ابن الأثير ج ٢

أكبر رجل في الإسلام ويتذمرون أنه أقرب أقرباء الرسول « قال ذلك والشّرّ باهـ في عينيه وأصفر رجل يخلل ما كان بمحاولة من الابتسام . أما أنا فلما سمعت قوله أرتعشت فرائسي واحتاج قلبي إلى إظهاره قرأ ذلك على وجهي : كف لا وقد ظهر لي أنه يريد الإمام علياً . ولكنني أحياناً تحقق الفتن فقلت « ومن هو ذلك الرجل » . فقال « ألا تعلمين من هو ألا نعرفون سبب كل هذه الانقسامات وإذا كنت لم تهتم بعد فاقول لك إن علي بن أبي طالب الذي يسمى بشياعة أمير المؤمنين » . قال ذلك وإنحررت عيناه وتغلي الغدر في وجهه وقال « احضرني أن تبوح بي بذلك لاحظ وإنما فانك تناولين جرحًا من هذا السيف » . قال ذلك وهو يزج الجد بالهزيل أما أنا فخفقت أنا يقظتي ولا يبالى لأنك تجرأ على قتل أمير المؤمنين فكيف لا يقتل فتاة مثلني فلم استطع جواباً وخفت إذا نعلقت أن يبدأ أمر فضحته وقد عوّلت في باطن سري على السعي في إبلاغ أمير المؤمنين ذلك على عجل لأن موعد القتل قريب وإظهاره في ١٧ رمضان لأنك كثيراً ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ ويعرض بذكر الكوفة ولم أكن أفهم مراده بذلك . وأما الآن فقد فهمت جيداً أنه عازم على قتل الإمام علي في ١٧ رمضان وتخن في الوسط شعبان وأخاف أن ينال هذا الرجل بغيته قبل أن يبلغ الخبر علياً . آه يا يالبني طير احمل هذا الخبر إليه

الفصل الرابعون

* بِرَحْلَةِ الْخَفَافِ *

وكان سعيد لما وصلت خولة إلى ذكر اسم الرجل ونصر بجهة ينتهي الإمام علي قد يهض وجعل يختفي في الغرفة ذهاباً وإياباً وللحديقة ملساً راسه وندم على مجيئه قبل أن يخبر الإمام علياً ولكن تذكر أنه لم يكن يعرف اسم المؤامر ولم تكن ثمة فائدة من إعلامه أما الآن فإنه يذهب إليه بالخبر الصريح

وكان مع شدة تأثره من حديث خولة لا يغفل عما يجيئ في وجهها من ملامح الجمال وما في حدتها من صدق اللطحة وقد أنجذبت منها ب نوع خاص غيرها على الإمام علي

فشعر بالعصاف خوها . ولكنها تذكر عوين لفطام وما يقاله من حبها له فرأى ان لا يطلق
نفسه العنان في حبه سواها . على انه لم يكن ذهنة يتصرف لحظة الى هذا الموضوع حتى
عاد الى التفكير بعد الله ومصيره وسبب وجود خولة في ذلك البيت المنفرد . فقال
له « لا ادري يا مولاي ما الذي ساقني الى متلك حتى حظيت بك وسمعت هذا
الحديث الذي انا جئت النساطط من اجله . ولا اخفي عليك اني كتبت عالماً بعزم
بعضهم على التفكك بالامام ولكنني لم اكن اعلم اسم العازم ولا من هو فيهم النساطط
ومعي رفيق من ذوي قراري كان قد سبقيني في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلوين
في عين شمس على ان يعود الى بخبر مكانتهم فلما ابتعلا سرت في اثره وانا لا اعرف
الطريق فضللت في الغلام حتى اهديت بك ونم الفلال ضلالي . ولكنني في قلق
على رفيقي اذ يلوح لي ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا فادمين من عين شمس
ويظهر انهم قبضوا على انصار علي هناك .. ألا تظنين ذلك ؟ »

فقالت خولة لو صبرت علي لاما حديثي لكفيت نفسك مؤونة الغان ويلوح
لي انك تود الا طلاع على سبب وجودي منفردة في ذلك البيت وقد أوصدت الابواب
دوني . فاعلم اني لما سمعت حديث المرادي سكت وكلمات فخرج الرجل واذهله شخص
الي الكوفة ولبس انا في حربة لا ادري ماذا اعمل فتفجيت بهار الامس في المواجه
والظعنون وكلما نصورت علياً متنولاً يسيف هذا الفادر يتشعر بدني . وكان والدي
يخرج الي حانوتة في كل صباح ولا يعود الي المساء وعندنا في المتر عد ربابي منذ
حدائقتي وهو يحيي ويكرمي وكانت فلما اكلته فخمار لي ان اغتنم غياب والدي واكلم
العبد عساه ان يطلعني على بناء جديد او لعل افهم شيئاً آخر . لان حدبي ابن طهم
انه يعني وافقني راحتي وليس لدلي من اشکوا اليه امري او اکاشنة سري تخرجت من غرفتي
لا دعو العبد فلم اجيء فناديه باسمه فابطالاً ولم يجب فاطللت من الدار فرأيتها وافقنا
مع عبد آخر يظهر انه غريب وكان يخادنها ويسارع ان . فلما رأيي بخجل واسرع الي
فدخلت غرفتي ودخل هو في أثري وعلى وجهه امارات البغية كما أنه سمع خيراً غريباً
بريد قصة علي . فقللت اين كتت وقد دعوتك فلم تجتب ؟

قال كتت وافقنا مع عبد قادم من الكوفة لمهمة سرية الى الامير عمرو
فقللت له وهل أطلعك على خبر تلك المهمة

الفصل الحادي والأربعون

* أيام الحديث *

فسرْ عيدنا لما آتَه من ملاطفتي واراد ان يبرهن لي ثقته في فقال «انه اطلعني على سرّ لا اظن احداً يعرفه في كل النساطط سوى الامير وبعض شرطو» ثم اخبرني ان ذلك العبد جاء الى الامير عمو بان انصار علي مجتمعون سراً في عين شمس يوم الجمعة وان عرراً عين جديداً للقبض عليهم او قتلهم في ساعة الاجتاجع . فلما سمعت ذلك لم افالك عن البكاء لشدة النحيب ورأيت من أم واجباتي ان ابلغ الجماعة تلك الية بقدرها . ولكنني لم اكن اعرف احداً اثق به في اتخاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب بشئني في ساعة الاجتاجع

فاصبحت في هذا اليوم وانا انفع خروج والدي الى حانوت لا تذكر واسرارى عن شمس فاذما هو لم يخرج من البيت ورأيته في اضطراب ووجل وما علمنى ان العبد اخبره بالحديث وانه اطلعني عليه خراف والدي ان ابوح لأحد قبل القبض على المجتمعين . فلازمتني في البيت الى الغابر ثم دعاني للخروج من النساطط للترهبة فأتبينا هذا البيت وهو بيت لشريك لنا في اللاحقة ولم يكن فيه احد فلم اظهر استغرافي ولا قلت شيئاً لاني كنت عالمة بان والدي يكون في جملة السائرين الى عين شمس فلا بد من ان يتركني فاذما تركني خرجت وانا على مفربة من المكان . وما علمت ما اضمرت لي فاتنتا لم تك نرى الشمس تميل حتى خرج والدي وناظرها بامر هام بدعوه الى سرعة الذهاب وادعى انه اقتل الباب على خوفاً من الغرباء او ابناء السبيل ساخحة الله وهو يعلم اني لا أستطيع الدواء واستجداد الناس لاني اذا ظاهرت بصرة الامام كدت من المغضوب عليهم . فظلت هناك حتى جئت انت ورأيتني في هذ الحال . فرفتك لا شك انهم قبضوا علي في جلة اوشك الانصار

قال سعيد هل تظلين علي يا سما

قالت لا اظنه الا محبونا الان حتى يسألوا اسئلة كبيرة ثم اذا رأوا قتلة قليلة وكذلك يتعلون برفاقو . ولكن لا يأس علي باذن الله وستدر بر في اموي . وما العمل

الآن اني اخاف اذا عاد الذي ولم يرني في البيت ان تزيد نفقة علي فاري ان اذهب الى منزلنا في النساعط وانظاهر باني خفت من بقائي في البيت فلتحت الباب بأسلوب اكفنه على شكل مقبول ولا بد من تجاهلي كل ما حصل لاري ما يكون . وما انت فاعل؟
 قال اود ان اسرع الى الكوفة لارى ابن مطعم فاقعه او اخير الامام علياً
 فقطعت عليه الكلام قائلة « وكيف نفعه وهو لا يقنع بل قد يسرع في القتل
 وليس افضل من ان اطلع الامام علياً على سر الامر وهو يدرها براء »
 قال وكيف افعل برفيقي هل اتركه في المسجن
 قالت « واخاف اذا تأخرت هنا ان ثبتت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة
 بعيدة واني لا انجذب منك كيف كنت عالماً بخبر هذه المئامرة ولم تخبر بها علياً وانت
 في الكوفة »

فتهجد وقال « كوني الملام فد وقع ما وقع وكانت اظن الکفان بعد المصيبة وفاتي
 ان اخبرك بان المئامرة ليست على متقل الامام علي فقط بل هي على متقل عمري
 ومعاوية ايضاً » . وقص عليهما الخبر مختصرأ

الفصل الثاني والأربعون

الحب يعي ويصم

فاستغربت خولة الخبر وقالت « ما لنا ولذين اتنا تزيد الدفاع عن علي الان
 ولكنني لم افهم كيف اسئل خبر قد وسكم الى هنا وانت تقول انه كان سرًا مكتوماً لم
 يطلع عليه احد »

فكاد سعيد بي الطعن بنظام ولكن الحب غشي بصيرته فانفل سبيلاً آخر وقال
 « لا ادري » وخطر له ان ينص عليها حديثه مع قطاع ثم امسك عن ذلك حنطة
 لم يهدها وهو كما قلنا غير من سليم البية لا يعرف الدهاء وهذا السبب فشل لم يطلق
 لعواطفه الحرية في حب خولة مع ان الاحوال تتفق عليه بمحبها بالنظر لما آتته من
 جماماً وحياتها مع استهلاكه في نصرة الحق

على انه ادرك مع ذلك ان كهان خير الميامن عن علي الى ذلك الحين خطاً
واكنته حملة على غلط قطام لا على سوء قصدها ومع ذلك فتدرأى الامر سهل الملافة
ولا زال ثبت بباب منزوح لانتقاد على غير داعلماً . ولكن ذلك يدعوا الى السفر السريع
وهو لا يعلم ما آآل اليه حال عبد الله فقال لها « اني عازم على الكوفة باقرب وقت
فا الذي افعله برفيقي وانا لا ادري اذا كان حياً ام ميتاً »

قالت « غداً نعلم الحقيقة دعني اذهب الان الى منزلنا بالنساطة واسكت انت
هنا الى الصباح »

قال « كيف استطيع البناء هنا وحدي ولا صبر لي على استطلاع خبر عبد الله
فارى ان ادخل النساطة واتردد الى المجد ولا يعرفي أحد هناك فاما ان اسمع
خبرراً من يند على المجد من المصلين او تبعثي اليه بالخبر »

قالت لك الخيار في ذلك . ونهضت فهمض وخرجت فرافقتها الى قرب منزلها
وودعها وعاد بالشمس بيت الغناري للبيت وهو لا يدرى ان الرجل في جلة
المتصوّض عليهم وقد أصبح بيته موضع شبهة ولا كانت خولة نعلم ذلك
وكان المجد بعد النبض على اهل ذلك الاجتماع قد ساقوه في الايغال الى السجن
وكان عمرو يتظاهر في داره فلم يصر على رؤيتم الى الصباح فلما اخبروه بالقبض
عليهم امر باستقدام اليه واحداً واحداً فرأى فيهم جماعة من لم يكن يخطر له انهم
على غير دعوةبني امية وخصوصاً الغناري . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بنى
امية وذكر قرابته من ابي رحاب ولكنه تجاهل عن ذلك كل وامر ان يسجين كل
من هو لاء في تجارة على حدة وبعث جنداً يبغضون ، يناظرون ويقطضون على من فيها من
الرجال لعلم يتعلمون على شيء جديد وهو معمول على اعدائهم بعد ذلك . ولم يكن
المجد يهتم الى امر للهيب وقد اصبحت منازل اوليك العلوين وما فيها مالاً حلالاً
لهم . فاصدقوا ان امرروا بالبيت فيها حتى حلوا عليها واوغروا فيها سلباً وهبها



الفصل الثالث والأربعون

البغة

وكان سعيد قد نزل في بيت الغفارى فسأل عن صاحبها فأخبره أهل المنزل أنه خرج من القلور ولم يعد . فلم يخطر له أنه في جملة المذموض عليهم فالثانية المجنحة التي وضع فيها ثيابه وتم بالرقاد ولم يكدر يانى رأسه على الفراش حتى تراكمت عليه الموجس فأخذ يذكر في عداته وماذا هي إن ينعل لانتاذه وظاف اذا ابطأ في المسير الى الكوفة ان ينفذ ابن طليم بغيته فذهب سعيم عنها

وفيما هو في هذه الموجس وقد طار نومه سمع لغطًا في الدار ولم ينس برهة حتى علت الضوضاء وضج الناس فوقف وتنصت فإذا برجال عمرو قد دخلوا المنزل وأوغلاوا في التهب ومن نعرض لهم آذنه فابنهم آتون الى حجرته وتحتفق ائم مودذه فتقليد حسامية والفتت يهيناً وشالاً املأ بهجد مفرجاً يخوبه يهنسه فجمع صوتاً ينادي من وراء المجنحة فاستأنس بالصوت ثم عرف انه صوت خولة ولم يكن له سيل الى مشاهدتها غير نافذة عالية لا يشرف منها الا اذا صعد على مرقة فاحتلال في الصعود اليها وإطلاق وكان الظلام حالكاً ولكنه رأى شيئاً سمع صوت خولة تقول له « ان الشرطة سينتكون بكل من في المنزل وإذا رأوك آذنك فالليك هذا المخار والجلباب فالبسها وافتح الباب واخرج فيظنك امرأة فلا يعرضون لك » فلم يصدق انه سمع ذلك حتى مدّ يده وتناول المخار والجلباب وتنكريها وتنغير وهو يرقص من الرعدية مخافة ان يسوق اجله فيدخل الشرطة قبل خروجه

فلم يكن الا كلبي المصحرى ليس ونائم بالمخار وفتح باب الغرفة وخرج بزري امرأة فرأى الضوضاء لا تزال مرتبعة والتهب جاريًا فلم يتعرض لها احد فالناس الشارع وراء الباب حيث كانت خولة واقفة وهو مع دهشته ويفتنهم بذلك عن الاستجابة بشهامتها والاقرار بفضلها عليه . وفيما هو يذكر بها رأها تشي امامه خاتمت خطواتها حتى وصلت الى منفرد فوقفت وقالت له « الحمد لله على سلامتك وسلامة الامام علي » فلم يفهم مرادها فابتدرته قائلة « لا تتعجب لقولي خان حياة الامام علي توقف على حياتك اذليس هنا من يعلم المختر الذي يهدده سواك نعم اني اعرفه

ايضاً ولكنني لا اضن افتداري على الذهاب ولا آمن الاعداد فهو على احد « فتال « وانا انا ابني البناء حباً لاقوم بانقاد هذا الاما من القتل والنفل بالحقيقة لك انس فاخبرني كيف عرفت بالخطر المدح في حتى جئت بهن الجولة » قالت « علمت من والدي ان عمراً امر بهم منازل اولئك العلوبيين والتبعض على من فيها من الرجال والمال واخبرني ايضاً ان هنا الغناري كان في جملة المتبعين عليهم وقد علمت انك نازل في منزله فجئت اليك بين الجولة فالمحمد الله على سلامتك » فشعر سعيد بنفل خولة واحس بانعطاف خوها ولكن حبه قطعاً ما زال غالباً عليه قابضاً على قلبه لا يترك له سبيلاً الى سواها

وبعد التأمل برهة قال « وما العمل الاَن الذي عازم على الكوفة عاجلاً ولكنني لا ادرى ما الم بعد الله ولا ما يأول اليه حاله هل علمت شيئاً عنه ؟ »

فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اختراع ما تعلم فظاهرها لم تسع كلامه فعاد السؤال . فتالت « لا يعلم المستقبل الاَن الله »

فلم يعجبه جوابها فتال افصحي عما تعلمه يا خولة

قالت اعلم ان عمراً امر بقتل اولئك العلوبيين في غير هذا الصباح ولكن من يدرك النتيجة

فاختلط قلب سعيد ايها اخلاق وشعر كأنك صبيت عليه ما غالياً وقال ماذا بتولون هل يقتلون عبد الله ما العمل كيف يقتلونه

فتالت « دع الامر الله واعذرني التي لا استطيع البناء معك طويلاً لثلاً يتباهي والدي لغبائي فلا انجبو من النيل . واما انت فجئتك في اشد الخطر فمجب عليك ان تخرج من النسطاط حالاً »

فقطع كلامها وقال « كيف اخرج وعبد الله سينقتل غداً انه صديقي وان عي واعز من اشي كيف العمل يا رياه »

فتالت له لا خيرة في الواقع فان شرّا واحداً ادون من شرّين ومع ذلك ان الوقت ضيق لا مجال فيه للسع او البحث عن مبيل لانقاد حياة عبد الله اذا قدر الله فتلة ونحن الان في نحو منتصف الليل وسيمنزل النيل عند النهر . . . قالت ذلك وسكتت هدوءة

فابتدرها سعيد قائلًا بلوح لبان اوح عمرو بعزم بعض الناس على قتلوا أحذره
من الوقوع في الخطر الا نفاذية يعني عن قتل عبد الله مكافأة لهذا الجميل
قالت «رباعنا ولكن لهاته وشدة يظن في قوله السوء فيه عليك ويوجل
قتل عبد الله حتى يأتي ١٧ رمضان فإذا لم يظهر صدق قوله فتلاه جميعاً، فهل أنت
ضامن أن المؤامر على قتل عمرو يأتي في الوقت المبين وخصوصاً إذا علم باطلاع عمرو
عليه، فلا تكون النتيجة إلا أنك التي يديرك إلى الفهلاكة، ولكنني أرى أن تترك هذا
الامر إلى لعلى اهتمي إلى وسيلة استغلال بها والذي فاذهب يعني إلى الامام والطلعة
على هذا السر، فإذا رأى أن يقبض على قلينعل والمستقبل في يد الله، أما أنت فسر حلاة
اذهب الذي والدي قبل أن يعلم بنياني فيعرقل مسامعي ثم أرى ما يكون، وسر أنت
إلى الدبر الذي كفا فيه في أول هذا الليل وسانيك بالغير، وقبل أن تصل الدبر
انزع عنك النقاب والإزار وادخل ثوب الرجال ورئس الدبر يعرفك فلا
يستعدك» . قالت ذلك وانصرفت تائمس متزطاً وهو بود لوانها بنات

الفصل الرابع والأربعون

﴿الحلاوة﴾

فلا خلا بنسو مشي وهو غارق في بحار المواجه من لا بدري الماين إمير، فما شعر
إلا وقد خرج من السلطاط ووصل إلى حافة ترة فلهلا لأول وهلة النيل، ثم ما
لبث أن رأى ضيقها فعمل لها خليج، وكان الفلام حالتها فوقف برهة وإنكاره نافية
في عبد الله ومهبه وكلما تصور ما هو فيه من الخطر هب جسمه واقشعر بذلة
وظل واقفاً وقد نسي موقعته لانشغال به فرأى بالقرب منه غلة فاقترب
 منها وجلس على حجر تحتها واستند ظهر الوها وجعل يذكر في حاله وحال عبد الله وما
جزءه إلى تلك المدينة من البواعث اهالمة، فتذكر قطاماً ووعودها وما مرّ له معها
من الاحوال، وكان الجوهاد لا يذكره إلا نقيق الفنادع على شاطئ ذلك الخليج

فانخذل نقيتها شوّماً على عبد الله ونهرور انه لا يطلع النهار حتى يكون في عداد الاموات فلما تخيل ذلك اقشعر بدنه فوق بعنة وقال في ننسو «أأبقي انا هنا وعد الله في حال الخطر الشديد . . . ماذا تكون حالة مع عمرو . . هل يقتله ام يستبيهه آاه . . ماذا اعمل هل امك في النساطل لانه عبد الله من القتل ام امير الامام الكوفة لافتاد الامام علي . . ولكن ما الفائدة من بقائي هنا وابن العاص قد عول على قتل عبد الله في صباح الغد . . لابد من المبادرة الى افتاده» قال ذلك ومن ثم بجانب الخليج جنوها وهو يذكر في مجرى الماء هناك ونفي الضفادع يعترض مجرى انكاره . ثم تأمل في ذلك الخليج فذكر انبأها خليج امير المؤمنين وقد حذر عمرو بن العاص لما فتح مصر منذ عشرين عاماً لارسال المؤونة عليه الى الجهاز ثلاثة لما كانوا يخافونه من القمع هناك . وكان قد حزن باشارة الخليفة عمر بن الخطاب ^(١) لما كان كرسى الخلافة في المدينة . فذكر حال الاسلام في ذلك المهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فحنت سيف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة وكيف تحولت تلك السيف الباقية بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فاقسم المسلمين فيها بينهم وانشغلوا عن تأييد سلطتهم بالحروب الاهلية حتى اصبهوا يتخلون عنهم ما انزل الله بهما من سلطان . واقبح ما أكلت اليه تلك الفتنة انهم تآمرا على قتل ابراهيم وخصوصاً الامام علي وهو ابن عم الرسول وخديع قواد المسلمين . ولا ذنب له غير السعي في تأييد الكتاب . ولما تصور تلك الحال اقفيضت نفسه وغلب عليه الامر حتى كادت تختنق العبرات وهو لا يدرى أين يعبد الله ام يبكي الجامدة الاسلامية ام يبكي الامام علياً ام يبكي سوء بخنو الذي جرمه الى تلك المدينة حتى وقع في تلك الحيرة

الفصل الخامس والأربعون

* خليج امير المؤمنين *

ثم وقف بعنة والتفت الى ذلك الخليج وجعل يخاطله قائلاً: «أستَّ الخليج

الذى اشار امير المؤمنين عمر بن الخطاب بمحركك ؟ قل لي هاذلك الذى يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك ان دولة الاسلام سيفضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خيلتهم فيتخلون على الخلافة فينتسبونها ثم يختصون على اقسامها . هل خطر لابن العاص يوم نزل وادي النيل وحاصر هذا الحصن المدح حصن باهيل انه سيرد سينه على المسلمين ويقتل ابن ابي بكر حرفاً بالدار ثم يتفق على ابن عم الرسول فيستخرج الخلافة من بين بالحبطة . اين انت يا عزرا يا امير المؤمنين يا جامع كلة المسلمين . كانت المدينة مقراً للخلافة وانت على كربلا فاصبحت منقسمة على نفسها يذعنها غير اهلها . آه باربي ما هن الحال بالبنى مث قبيل ذلك . . . هبها لك يا ابا رحاب ان عظامك ساكتة في هذا التراب وروحك تنتظر لقاء ربه في يوم الحساب . اما انا الشقيق فاني تائه بعدك نتازعني عوامل لا ادرى مصدرها ولا اعلم مصيرها . أأبق هنا لأرى بصيراً اخي عبد الله ام اسرع الى الكوفة لانى الامام بما تأمرنا عليه ؟ ارشدني يا جدي ويا سدي . ابق هنا ؟ وما الثالثة من بنقائى هل يعني عمرو عن عبد الله فوق حجاً فاراه . . . ؟ لا اخذه ينعل . اذاً ماذا يفعل ايقتله ولا استطيع الدفاع عنه ؟؟

« آه يا خولة . . . يجيئ لي انت ملاك ارسالك ربك لترشديني الى سواء السبيل . . . فهل يتم في السعد على يدك فتنفذين عبد الله من القتل . . . »

الفصل السادس والأربعون

﴿ الإغراف ﴾

وفيما هو يحدث نسأة وهي شاهدة على تلك الفضة مع لفطاً وحركة عن بعد فاجعل وتقدم نحو الصوت وهو يتحقق بنظره فعلم انه يجانب فم الخليج عند اتصاله بالنيل ورأى في النيل ستناً كبيرة وسمع لفطاً عميقاً كأن لصوصاً يهسرون فيها لبعضهم ان يسمهم احد . وكان هولايزال بلباس النساء فخاف ان يراه احد فيخترش به فينكشف امره فازوى وراء جوزة كبيرة بقرب الشاطئ ثم خاف ان

يدنون منه احدث فبراه . فنساق فرعاً من فروعها واحذباً بين الااغصان والاوراق وهو يحاذر ان يخفق الورق . حتى اذا استكنا على غصن غاليلظ جعل يتغرس بما براه فإذا هنالك بضعة وعشرون رجلاً يحيطون بصفحة عشر آخرين كانواهم اسرى مغلولون يسوقونهم الى قارب كبير وسعة اعصم يقول « الى اين انت ذاهبون هنا في هذا البحر أعلمكم تربدون اغرافانا » فتبجيلاً احدم قاتلاً « وما علينا اذا اغرقتناكم وانت عصبة شريرة تأمرعن على نصرة رجال قتل ، الخليفة عثمان »

فصال و آخر وقال « لا تخف يا فلان اتنا انا أمرنا بقتلك الى جزءة الروضة
تبقون فيها اياماً » . ثم علت الفوضاء فعلم سعيد انهم انصار علي الذين قبضوا عليهم
ذلك الليلة في عين شمس . فتحقق ان عمراً اشار بقتلهم عرقاً في النيل فارتعدت اعضاؤه
حتى كاد يقع من الجميرة وحدثته نفسه ان ينزل لنصرتهم . ولكن المخوف غالب عليه
اعلموا انه اعزل وانهم جماعة كبرى وكلهم مسلعون . فلقيت برقة كأنها سنة وهو يرتحف
من شدة التأثر وتختلط لعلة يسمع صوت عبد الله او يراه فلم يسمع شيئاً ولم يكن يطبع
ان يرى احداً لمنطقة الظلام ولا هو يأمن ان يجده من ايديهم لكتلتهم وافتراده

ولم يكن الا بضعة دقائق حتى اصبح الكل في القارب ثم اداروا الدفة وهو ينظر لهم ولم يقلوا حتى ندم على سكته وود لو انه جاهر بتنفسه لعله يستطيع بمحنة اولئك المظلومين او يقتل . ولكنك تذكر ان بقاءه حيا ضروري لانقاد الامام علي فلم يكث برفة كائنة في حلم وهو يتردد بين الندم والاسف وبين مدرسة السكتة حتى توارت الصورة عن بصره في لجلج الظلام فما يقين ان عبده الله لا يلبيك ان بيته طعاما للاشخاص اذا كان بين اولئك . وهو لا بد ان يكون بينهم عصبة واحدة نالها جزاء واحدا

الفصل السابع والأربعون

﴿الندم﴾

فليث هنـيـه يـنـكـرـهـا مـرـءـهـا فـأـنـتـهـا يـوـهـا جـسـهـهـا حـتـىـهـا يـنـزـلـهـا مـنـ الـجـيـرـةـهـا وـهـوـ يـلـطـمـهـهـا وـيـدـبـعـهـهـا وـيـبـكـيـهـا وـيـوـاخـنـهـا لـضـعـفـهـهـا وـتـرـدـدـهـهـا . فـقـالـهـا «أـأـرـىـهـا عـبـدـهـهـا يـسـاقـهـا إـلـىـهـا التـقـلـلـهـا وـلـاـ اـنـصـرـهـا يـاـ الـجـيـانـهـا يـاـ الـخـيـانـهـا كـيـفـهـا اـخـلـيـهـا عـنـ رـجـلـهـا ذـهـبـهـهـا حـيـوـلـيـهـا وـلـوـلـاـيـهـا لـمـ يـأـتـهـا عـنـ الدـيـارـهـا وـلـاـ رـأـيـهـا مـاـ رـأـاهـهـا مـنـ الـبـلـاءـهـا آـهـا يـارـيـهـا مـاـ الـثـانـيـهـا مـنـ حـيـاتـهـا » ثـمـ سـكـتـهـا هـنـيـهـا وـهـوـ يـسـبـحـهـا حـوـاسـهـا وـيـأـمـلـهـا مـوـقـنـوـهـا فـرـأـيـهـا أـنـهـا اـرـتـكـبـهـا خـيـانـهـا عـلـىـهـا . فـقـالـهـا «أـنـيـهـا لـاـ اـسـفـنـهـا الـبـنـاءـهـا حـيـاـهـا وـلـاـ بـدـهـا مـنـ اـنـ الـنـيـنـيـهـا فـيـهـا اـلـمـاءـهـا لـعـلـيـهـا فـيـهـا حـيـوـيـهـا عـبـدـهـهـا فـتـذـهـبـهـا بـقـاـيـاـنـاـهـا مـعـاـهـا . » قـالـهـا ذـلـكـهـا وـهـمـهـا اـنـ يـلـقـيـهـا نـفـسـهـا فـيـ الـنـيلـهـا فـشـعـرـهـا بـقـوـةـهـا بـغـنـيـهـا وـقـدـ فـكـرـهـا فـيـ الـامـامـهـا عـلـيـهـا وـمـاـ يـمـدـقـهـا بـوـهـا مـنـ الـخـطـرـهـا فـقـالـهـا «إـذـا قـتـلـتـهـا فـتـقـتـلـهـا إـلـيـاـهـا عـلـيـاـهـا مـعـيـهـا نـعـمـهـا اـفـتـلـهـا لـأـنـيـهـا اـذـا مـنـ الـنـفـسـهـا الـكـوـفـهـا وـأـنـيـهـا بـعـزـمـهـا مـلـيـمـهـا ذـهـبـهـا قـتـلـاـهـا بـذـلـكـهـا السـيفـهـا الـمـمـوـمـهـا آـهـا يـاـ خـوـلـهـا اـبـنـهـا وـعـدـكـهـا يـاـقـاتـهـا عـبـدـهـهـا وـلـكـنـ ماـ ذـنـبـكـهـا وـانتـهـا لـاـ تـعـلـمـهـا اـنـهـمـهـا مـيـرـغـونـهـا فـيـ اـغـرـافـهـا قـبـلـهـا اـنـبـلـاجـهـا الصـبـاحـهـا اـنـهـا دـهـاءـهـا اـبـنـهـا العـاصـهـا وـمـكـنـهـا وـلـكـنـ سـوـفـهـا يـهـالـهـا نـصـيـبـهـا مـنـ اوـلـكـهـا الـمـؤـامـرـهـا يـاـ لـيـنـيـهـا اـنـيـهـا بـالـمـأـمـرـهـا وـجـعـلـهـا فـدـيـهـا لـعـبـدـهـهـا وـلـكـنـ قـضـيـهـا الـاـمـرـهـا وـلـاـ خـيـرـهـا فـيـ الـوـاـقـعـهـا . »

الفصل الثامن والأربعون

﴿خـوـلـهـا﴾

ثـمـ سـكـتـهـا وـجـعـلـهـا يـمـاـلـهـا فـيـ مـاـحـوـلـهـا وـلـاـ بـطاـوـهـا قـلـيـهـا اـنـ يـظـارـهـا جـهـةـهـا مـسـبـرـهـا النـابـبـهـا فـارـادـهـا اـنـ يـخـولـهـا إـلـىـهـا الـمـكـانـهـا اـنـهـا فـرـأـيـهـا شـجـاعـهـا مـسـرـعـهـا خـوـلـهـا خـافـهـا وـتـهـيـأـهـا لـلـدـافـعـهـا اـذـا رـأـاهـا يـنـتـرـبـهـا . فـلـمـا اـفـتـرـبـهـا الشـيـعـهـا اـذـا هـوـ اـمـرـأـهـا فـعـبـهـا لـنـدوـهـها وـجـدهـها

ذلك الابل ولكنك ما لبست ان تترس في قيامها حتى علم اهلا خولة فخنق قلبها في صدره
وغلب المحبول عليه ما رأى من جرأتها وفدوها في ذلك الابل وهي فتاة لعلها اعلم انه لا
يمحمها على التدوم الا السعي في انتزاع عبد الله . فحدثنا نسسة ان يحيى^{رحمه الله} سخالاً ولكن العذبة
ثابتت عليه فدنا منها وناداها . فما لاما عرفت صوتها صاحت فيتو « ابن عبد الله »
فأراد ان يحيى^{رحمه الله} فاخذت صوته وسبقت العبرات

فندت منه وفي تقول « سعيد ... هل رأيت احداً جاء الى هذا المكان وما
الذي جاء بك الى هنا »

قال « نعم اني رأيتهم يحملون اولئك الاسرى في قارب »
قالت « وابن م ... ابن ذهبيا لهم ... هل رأيت عبد الله ... هل هو
... »

قال « لقد حلمت في القارب ولا ادرى اذا كان عبد الله معهم لاني لم اسمع صوتة
ولا رأيتها »

فصدقت بكتابها وقالت « لا بد من ان يكون معهم ... آه ما الحيلة الا ان ... ما
كنت اظن ابن العاص يجهل بقتلهم على هذه الصورة ... وكيف لم تحاول الدفاع
عنهem ... »

فأجاهها والاعذار والمحجول يتسارعاً و قال « لم اكن اعلم ان عبد الله معهم
وهي التي علمتني كيف استطيع انقاذه وانا فرد اعزل وهم جماعة مسلعون ...
فصحت خولة برهة ثم قالت « لقد فعلت حسناً فابقيت على نفسك لانقاذ الامام
علي لان حياته موكولة الى سرعة رجوعك »

فقال بالهنية « وانت ما الذي جاء بك وكيف عرفت بهم »

قالت « علمت ذلك من عبد الله و كنت قد دبرت حيلة ادخل بها على عرو
لأسهلة في قتل عبد الله باطلاعه على سر المؤامرة فعملت انه يبعث بهم هذه الليلة
لاغراقهم في النيل هفافة ان يترتب على قتلهم جهاراً فتنة وهو يعلم ان انصارهم كثار في
السلطاط . فاسرعت اعلى استطيع انقاذ عبد الله بحيلة ... فلم يساعدني التذر ...
واأسناء عليك يا عبد الله ... آه من اهل الظلم ... ان عمر قد غلب علياً بجهليه
فاخرج الخليفة من بيته ليجهل اي موئل الاشعري ولكنك لن ينجو بنفسه من غالله

المواطنين

ثم دنت من سعيد وقالت « أنا أعلم أن فندان عبد الله مصيبة علينا لامة شهر ولكلها قضى ضحية واجبانو على اتنا نرجوان نعرض عن خسارته باغاثة الامام علي من خطر القتل فاركب الى الكوفة على عجل وتم المهمة التي جئت من اجلها . فما قد عرفت اسم المؤامر وانه سار الى الكوفة فاسرع ما اسأله طاعت قبل فوات الفرصة » و كان سعيد مع شئ تأشير ما رأه تلك الليلة من الاوهال لا يغفل عما ابده في خولة من الحمية والمحسارة وقد ازداد حلاوة واعجاباً بشاهدتها و فيها هو يذكر في ذلك ابدرته قاتلة « اعلم يا سعيد اني خرجت الليلة من بيت والدي تحت خطر القتل وإن احسبك في الدبر كما توعادنا وكانت عازمة على الذهاب اليك لا سخطك في سرعة المسير ثم اعود الى والدي القفل له سبيلاً في خروجي . اما وقد التقينا هنا فاني استودعك الله والقى منك ان تسرع في الذهاب وإن عائنة الى بيتك وأرسل اليك جلائعاً عبدهنا وأن ان يسر في ركبك الى الكوفة »

الفصل التاسع والأربعون

* السفر العاجل *

فأعجب سعيد بتدبرها وثبات جاذبها ورأى نسمة ضعيفاً بين يديها ولم يطبع عيالها فقال لها « لا تلقي ان يبين لها الخيط الا يض من الخيط الا مود . وهذا اني خارج الى جبل المقطم فهل يوفي عبدهك وجمالك الى هناك » قالت « انه سيبافيك حالاً سيرحراسة الله واحد ان تكونك الفرصة . ان ابن مليم قد سبقك الى هناك . هل فهمت ذلك ؟ » قالت ذلك وبدت يدها اليه فصافحها وين ترتعش وقد نسي حالة لحظة ثم تذكر ما هو فيه من الاوراق الماء . وربما اضطرب قلبها بين يدي خولة ولكن حبه قطاماً ما زال غالباً عليه على انه عول في باطن سره اذا نجح في مهمته ان لا يدع خولة تخرج من يده فيجعل لها مقاماً في قلبه . فقال لها « ارجوان بذكربني وتدعني لي بالتوقيف »

فالت وقد فهمت مراده « سراني معك وإن كنت في النسطاط وارجو ان يجعلوني
بك يوم ينجو به الامام من ايدي الظالمين وبنال ما استحثته من الامتنان بالخلافة »
فأخذ قوطا تعيناً لافتقاره بالحب ونحوه وهو في مهمة ارفع منزلة من ذلك
اما هي فاسرعت في وداعه والحقت عليه في سرعة المدبرى كدت له ان يلاقي عيدها
والجمل وراء المنظم ثم تحولت بسرعة الى النسطاط
فلم تركنه وحده حول وجهه الى النيل حيث كان القارب . وتأوه وتحسر
ونال « استودعك الله ابها الصدق الحبيب استودعك الله ابها الاخ الحبيب لا غنى
اذا ذهبت ضحية في سبيل نصرة امير المؤمنين انك اذا قضيت عزيزاً وانت حيٌ سأقني
ربك باساً منخرجاً فادع لي ان الناة متصرراً على القوم الظالمين »
قال ذلك وتحول يائس جول المنظم ولم يدركه حتى انبثج الصحيح فلقي العبد
قد سبقة الى هناك ومعه الجبل وسائر معدات السفر

محمد

الفصل الخمسون

* تمام الحيلة *

فلذرت سارة بطيوي اليداء ولبعض الى قطام في الكوفة وما كان من دعائهما
ومكرها بعد سنين . فلقد ذكرنا ارسالها عبدها الى النسطاط للوشایة بسعيد وعبدالله ثم
خلت بليابة فقالت لها « لقد ثبت لنا الحيلة في قتل هذين المغوررين فانها مقتولة
لا محالة . في علينا ان نعلم من هو المامر على قتل علي فاذا عرفناه نقطعناه على قتلها
وساعدناه فان قبيلي كلها تنصر في ذلك »

ففتحت لبابة وقالت « انه امر سهل فان عبدهك ريحان ماهر باليوب الدهام
مثل سيدته ولا نظير الا ما نادى اليها بالخبر اليدين وأما تخريض ذلك المأمر على
القتل فهو سهل وخصوصاً اذا رأى هذا الوجه الجميل فانه منهن بو لا محالة فما عليك
حيث لا ان تذهب بالزواج ونجعل قتل علي مهراً حلالاً لك ... كيف رأيت
رأيي ؟ »

فثالث قطام بورك فيك يا خاله والله انك معتبرة عن احساسى اما عنده بالزوج فهو امر سهل علىي ولا نظننا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى كبير مشقة فانه اذا دنوا البعاد المضروب لا بد من قدومو الى الكوفة و اذا جاءها فلا بد من ان يعلم احداً من اهلي على عزمه اعلمه اانا على دعوته . فاذا عرفناه هان علىي كل عسر صدق القائل « كل سر جاوز الاثنين شاع » فلم بدخل شهر رمضان حتى تحدث اهل الكوفة في حادث فظيع يخافونه على حياة امير المؤمنين وكان الناس يتداولون ذلك الخبر همساً وهم لا يعيرون به لانا غير مستند الى شاهد ولا احد عرف القائل . فضلاً عن علم العتلاء منهم ان امثال تلك الاشاعات جائزة في مثل ما كان فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام واهل حاشيته شيء من تلك الاشاعة ولكنهم لم يعاشروها وحملها اهله واصحابه على اشاعات ينشرها ذوو الاغراض . وما تحسن الاشارة اليه انك قلما ترى حادثاً فظيعاً لم تقدمة الاشاعات المنبثة بقرب وقوعه . وهو سر لا تنهية وبها يكن من الامر فان اهل الكوفة كانوا يخدثون ببلاد يخافونه على امير المؤمنين ولكن اكثراً كانوا لا يكتذبون

ومضت ايام ودخل شهر رمضان فاصبحت قطام قلقة لعرف من هو اما مر على قتل الامام علي لتنصر او تخرص . فلما اقترب نصف الشهر ولم يأت احد ولا سمعت باحد ظلت المؤمنين عدواً عن عزمه هم هم وفرقوا واستبعاً عبدها ريحان وقد كانت في انتظار قدومه لعلها تعم من شيئاً عن اولئك المؤمنين ولكن نسألة عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على اهلاً لم تكن نشك في وقوعها في النزاع

الفصل الخامس والعشرون

﴿ عود ريحان ﴾

واصبحت قطام في الخامس عشر من رمضان والباب يُشرع وكانت لبابة تبيت عندها بعد سنن ريحان . فهضبت لبابة فسمعت جموعة جمل عرفت انه جمل ريحان فاسرعـت الى الباب ففتحـه فاستقبلها ريحان فقبل يدها وهو لابزال بلباس السنـر ودخل

تُوِّلَى إِلَى غُرْفَةٍ سَبَدَتْهُ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَبْسَمْتَ لَهُ أَبْسَامَةً عَوْضَتْ عَلَيْهِ كُلَّ شَفَافٍ ، فَقَدِمَ لِلْقَبِيلَ بِدَهَا وَهُوَ مُشَرِّقُ الْوَجْهِ ، اشْتَارَ إِلَى نُجَاحِ سَعَاهُ . فَنَالَتْ أَنِي أَقْرَأُ آيَاتَ الْبَشَرِ عَلَى وَجْهِكَ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ فَاقْصُصْ عَلَيَّ تَصْبِيلَ مَا أَتَيْتَهُ مِنْ آيَاتِ الدَّهَاءِ وَالْمَهَارَةِ

فَنَالَّا وَهُوَ يَنْفَسُ الْفَيَارَ عَنْ لَحْيَيْهِ وَوَجْهِهِ « رَكِبَتِ الْنَّسْطَاطُ فَوْصَلَهَا بِوَمِ الْخَرْبَسِ قَبْلَ وَصْلِ سَعِيدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ يَوْمِ فَسَرَتْ نَوْمًا إِلَى الْأَمِيرِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَقَصَصَتْ عَلَيْهِ خَبْرَ الْفَادِمِينَ وَإِنْ فِي النَّسْطَاطِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَيَّ يَمْسِعُونَ فِي عَوْنَ شَمْسٍ كُلَّ جُمْعَةٍ . فَأَمَرَ رَئِيسَ شَرْطَهُ أَنْ يَهْبِأَ لِلْوَقْتِ الْمُعْنَى وَخَلَقَ أَنْ يَهْاجِمُوا الْمَكَانَ قَبْلَ وَصْلِ سَعِيدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَلَكِنَّهَا وَصَلَّى فِي الْيَوْمِ التَّالِي وَذَهَبَا إِلَى الْجَمِيعِ وَقَبَضَتِ الْشَّرْطَةُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ سَعِيدًا » فِي جَلَّةِ الْأَسْرِيِّ

فَنَطَعَتْ قَطَامٌ كَلَامَةً فَائِلَةً وَهُلْ قَبَضُوا عَلَى جَمَاعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ أُولَئِكَ الْأَنْصَارِ
قَالَ قَبَضُوا عَلَى ثَمَنِيْعَرِينَ وَعَبْدِ اللَّهِ مَعْمَرِ

قَالَتْ وَسَعِيدٌ ؟

قَالَ لَمْ أَرَهُ وَإِنْظِهَ تَأْخِرَ عَنِ الْإِجْتَمَاعِ فَلَمْ يَمْضِ فَنَجَا بِنَسْوَهُ
قَالَتْ وَمَاذَا فَعَلُوا بِالْأَسْرِيِّ

قَالَ سَاقُومُ إِلَى الْأَتِيلِ وَأَمَانُهُمْ غَرْقٌ فِي الْلَّيْلَةِ الَّتِي قَبَضُوا عَلَيْهِمْ فِيهَا
فَأَشَرَقَ وَجْهُ قَطَامَ ثُمَّ انْقَبَضَ بِغَنَمَةٍ وَلِبَابَةٍ تَنْظَرُ إِلَيْهَا كَأَنَّهَا تَلَذِذُ بِالنَّأْمَلِ فِي
مَلَاحِمِهَا . فَلَمَّا رَأَيْتَهَا انْقَبَضَتْ هَمَّتْ بِهَا وَقَالَتْ مَا بِالَّكَ ؟ مَا الَّذِي كَدْرَكَ

قَالَتْ أَنْ سَعِيدًا لَا يَرَالِ بِأَقْيَانِيْفَافَ أَنْ يَعْرِقَ مَسَايِّعِهَا

قَالَتْ لِبَابَةٍ لَا خَوْفٌ مِنْ لَانَةٍ كَمَا نَعْلَمُ بِسَبَطِ الْقَلْبِ سَهْلُ الْأَنْتِيادِ تَنْطَلِي عَلَيْهِ
الْكَحِيلَةُ بِسَهْلَةٍ . وَإِنَّمَا عَبْدَ اللَّهِ رَفِيقَهُ فَقَدْ رَأَيْتَ فِيهِ دَهَاءً وَمَكْرًا فَالْمَحْمُدُ لِلَّهِ عَلَى
نِجَاجِنَا مِنْهُ

قَالَتْ صَدَقْتُ وَلَكِنْ سَرَّ الْمُؤْمَنَةِ عَنْدَ سَعِيدٍ فَأَخَافُ إِذَا جَاءَ وَإِنَّمَا عَلَيَّ بِوَمِ
أَنْ يَمْنَظُ عَلَيَّ بِنَسْوَهُ فَيَذَهِبُ سَعِينَا هَبَاءً مُشَورًا

فَأَطَرَقَتْ لِبَابَةٍ بِرَهَةٍ ثُمَّ التَّنَاهَتْ إِلَى رِجَانَ وَقَالَتْ « هَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ الْمُؤْمَنَ
عَلَى قَلْبِي ؟ »

قال عصت الله من بني مراد وأمة عبد الرحمن بن ملجم
فيغت لبابة وصاحت أباً بن ملجم هو . . . لند هان الامر
فقالت قطام وهل تعرفيه

قالت اعرفه جيداً وهو جري « قل أن يقدم على مثل هذا العمل سواه وانا كان
عبد الرحمن بن ملجم هو المؤامر فند لنا المرام فانه يحب المحسن ويستهلك في
سبيل مرضاهن ». ثم ادنت فيها من اذن قطام وقالت ولاشك اذا راك الا خطبك .
ثم تحولت الى ريحان فقالت وهل رأيتك قبل جيتك

قال لا وأكفي سمعت انه سافر الى هنا يوم وصولي النسطاط وكتب اخليه وصل
اليكم ولاشك انه اذا جاء قدم اليكم لأنني آمنت من خبر حربها هناك ما يدل على
ذلك فهم يعتقدون فيما الكون الشديد لعلي وانتنا نريد قتلة وخروج الامر من بين .
ولذلك فانا لا اظن المؤامر اذا ان الكوفة الا مكاشنا بعض اسيادي من اخوتك
او اعماك

فقالت بالله الا سرت الى اهلي وبخت عن الرجل فاذ سمعت بخبره ائتي على
عمل واحد ان يعلم بانك مرسل من قبلي هذه الغاية وانت فطاعين عاقل فلا نوع نفسك
في ما تلام عليه

وخرج ريحان ولم يبدل ثيابه فتبعته لبابة الى حدبة البيت فوقفت بو في ظال
خلة وهمست في اذنو قائلة « اذا لقيت الرجل قل له ان خالدك لبابة هنا وهي تrepid
ان ترك لامرها » وتعجل بالجبيه واذكر له اني مقيمة في منزل سيدتك قطام واحتل
في حدبيك بحيث يفهم بذلك ما عليه سيدتك من الحسن والجمال واني رهبا سعادته
على الزواج بها . وانت فطن عاقل لا تحتاج الى تدریب في ذلك . قبل ريحان
يدها وهو يتحقق ويهز رأسه كأنه يتغول « يظهر انك لا تعتقدين فطلاطي واولا
ذلك لم يكن ثمت داع لهذا التصرّج »



الفصل الثاني والخمسون

لباة وابن ملجم

وانصرف ريحان وعادت لباة الى قطام وملامعها تدل على اتجاهها بدها
قطام واشمت وهي تتول لاريب عندي اننا فربما ما نريد وقلبي يحذثني ان علياً
سيقتل ويشفي غليلنا منه على اهون سبيل
اما قطام فنزلت صامتة وقد افقلت حاجبها كأنها تذكر في امر ذي بال .
فقالت لها لباة ما بالك يا قطام ما الذي حدث لك فاوجب هذا الاهتمام

قالت اني خائفة يا خالة
قالت ما الذي يخيفك

قالت اني خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يتبعوا عليه في النساعط
ولا يبعد الله اطلع على اسم المؤامر ويمعاد القتل ولا اخالة الا فادماً بغيره الى فادما
اخيرة يامري تعرقلت مساعدينا وذهب سعينا عنها
فقالت لباة وما الرأي يا بنتي

قالت لا بد لنا من قدير الامر بالحكمة وتدارك الحادث قبل وقوعه
قالت هات رايك

قالت ارى اولاً ان نسعى في امساك عن النهاب الى علي . اذ قد يتراهى الله
ان يسير اليه حال وصوله الكوفة

فقالت وهذا سهل فاننا نبعث ريحان فيلاقيه في مكان خارج الكوفة لا بد له
من المرور فيه فاما ان يؤخره عن دخول الكوفة او ان يدعنه اليها بحجة اشتياقك
الشديد اليه || ولا اشك انه اذا سمع بشوقك نبي كل شيء وطار اليك . ومني
جاًنا استجوابه باي حيلة كانت وادا لم يبق مختاراً ابقيناه عبوراً . ما قولك ؟

قالت ارى رايك ولكننا الان في الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا
يوم واحد قبل اليوم المعلوم فلا بد من المبادرة في ارسال من يوكله خارج الكوفة
او يستقدمه اليها وريحان قد سار الى اهلي وربما ابطأ علينا

قالت لباة دعي هذا اليه ما اني ذاهبة في اثر ريحان فابعدنا الى خارج الكوفة

وأبصت عن ابن ملجم ينتهي وذلك سهل على لأنني أعرفه شخصياً . قالت ذلك وترقعت
ونناولت عكازها وخرجت نعدوا ولا عدو الشباب
وخللت قطاعاً ينتهي فنادمت بما في فيه من الأمور وراجعت في مخبلها ما دبرته
من الجحيل في سبيل قتل الإمام فرأيت أنها احسنت بارسال ريحان فإذا نجح في إيقاف
سعيد وبخجحت لباية في استئصال أبي ملجم وتم لها اغراهه وتسبحه نالت في بغيتها
وأنتفقت لا يهمها وأخيها . ولما تصورت وفوع ذلك انتقضت نفسها لفضاعة ذلك الامر
ولكن شووها للانتقام هون عليها كل صعب

وكانت قطاع زكمة التواد متوقعة الذهن ولو أنها كانت حسنة الخلق رقيقة العواطف
واستخدمت ذكاءها وقطعتها في سبيل الخير لأنّت باعمال يعبر عنها اعاظم الرجال
ولكتها خاتمت شرارة شديدة الانتقام فاستخدمت تلك المجوهرة الثمينة في سبيل الأذى .
وذلك كثيراً ما يحدث بين الناس اليوم وغداً . فترى أناً خصمهم العناية بذكاء
ومهارة وصفاء ذهن فيصرفنون تلك التوى في سبيل الشر وبوجهوهها إلى الأضرار
بالناس طوعاً لطاعتهم أو رغبة منهم في انتقام أو نحو ذلك
فأعملت قطاع فكرها بعد ما هيأها لها من ضروب الجحيل فوجدت أنه لا يزال
ينتصها احباطاً واحد لا بد من تداركه . وذلك أن سعيداً ربه لا ينتهي بريحانات
لا اختلاف في الطريق أو رها التي يو و لم يচفع إلى قوله والقص الذهاب إلى الإمام
علي فأطلعة على سر المقاومة . فلما تصورت ذلك خفق قلبها وأضطررت حواسها
ونهضت للحال وجعلت نشي في غرفتها ذهاباً وإياباً وتخرج منها إلى الغرفة الأخرى
وهي تود أن تعود لباية التداول وإياماً في هذا الامر وندمت على ارسالها في تلك
المهمة قبل الأفكار في ذلك

ولما تعاظم بلباها خرجت إلى حدائقة الجحيل وكانت الشمس قد تكبدت
النهار . وأخسرت الأذلال والتفق وفوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠٥) في أيام
الشبا ، لأنّه يبدأ في العاشر من يناير (٢٠١١) وكان يوم خروج قطاع إلى
المدينه يوماً صحا جوئي تحسن المحرر يو إلى المجلاد في ساعة الظهير للامتداد بأشعه
الشمس . فمشت بين الجحيل مبتعدة عن السور الذي يلي الطريق إلى ما يلي الجحير وهي لا
تنبه لما حوطها من صرير أو تغريد أو تفتق ولم يكن لها إلا أثواب مرآتها

الفصل الثالث والخمسون

﴿ لقاء ابن ملجم ﴾

قضت في المدينة ساعة وهي وحدها في كل تلك الدار فلمّا الشمس وحرارتها
فعادت نحو البيت . وفيها هي عائنة سمعت اناً يتكلّم عن بعد فوقفت على
ارومة خلة كانوا قد قطعوها للوقود منذ عامين والتقت نحو الطريق فرأى شجاع
ولم تأبه ان عرفت انها لبابة ومعها رجل غريب الزي علمت انه عبد الرحمن
ابن ملجم . فلوكّلت اصحابها الى اتمام هذه الجملة فدخلت البيت على عجل وكانت قد
رأت لبابة تكلّم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . ولما دخلت الغرفة عدت الى
النواب فارسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت
الزائرين من الغرباء . ولبسّت صانعة تنظر دخول لبابة وما عنم ان سمعت صوت
ضحكها قبل ساعتين خنقاً . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال
المهناق ودعهما الى الجلوس

قالت لا اجلس قبل ان ادعور فينما لي صحبتة لزيارةتك

قالت اهلاً بك وبرفاقتك اجمعين لما دخل

فصاحت لبابة الحال ادخل يا عبد الرحمن

وما انت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن خفيف
اللوعة اشعلها برأس العوين بمحبت يكاد الشرر يقطعاها منها وعلى العباءة والتنطلان
والعامة وأثار السر لا تزال بادية على نوافق وجهه وخصوصاً الانف فقد كان شديد
الاحمرار . فلخع عبد الرحمن نعالة خارج الباب وجاه دخل . فرددت قطام النوبة
وهي هم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس مجلس الاربعاء وسيولة مستعرض على حضوه
وظهر من كيفية جلوسو انه شديد المعرض على ذلك السيف كان يخاف عليه الضياع

فتحت قطام الكلام فائلة الى من يتناسب ضيقها

قال الى بي مراد

قالت والنعم والبركة

فقالت لبابة وهو عبد الرحمن ابن ملجم من القراء المشهورين قرأ على معاذ بن جبل^(١) . اذنك سمعت به

قالت انت تعلمين حالي يا خاله بل انت ادرى مفي ما هو شاغل بيالي من الاحزان والمسايب فلم يبق لي عتل اذكر بوشيهما غير مقتل اخي واي ٠٠ آه من الفلام اهل العدوان . قالت ذلك واجهشت بالبكاء وما استنزل به الدموع

الفصل الرابع والخمسون

خطبة جديدة

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفي وبالحظ ملاعها فاختن بها ايماناً افتتان وكان قد سمع بمحامها وود لواها تكون له . ولا لبيته لبابة لم تذكر له شيئاً ما عرفه عن عزمه ولكنها قالت له علمت بجثتك الكوفة واعلم انت تحب الحسان واعرف واحدة منها ليس اجل منها في العراق . فجاء ولما رأها نجف ما سمعه فانشافت بها ومن عجيب امر هذا الرجل انه مع عظم ما اندبر نفسه له من الامر المائل بقتل امير المؤمنين وقرب اليوم المعين لم يشغلة عن مغازلة الحسان شاغل . فلما سمع كلام قطلام ورأى اجهاشها قال وما الذي يحزن مولاتي ؟ ألا تستطيع تفريح كربتها

فقالت لبابة لا يخفى عليك ما اصاها على اثر وافعة التبر وأن فقد قتل فيها والدها واخوها رحهما الله وهي لا يعي يوم لا تذكر تلك المصيبة وتبكي ذنبك التغىدين ولكنني اريد ان اشغلها عن هذه الاحزان بن ياقب بها ٠٠

ففهم عبد الرحمن ابها تابع الى خطبته لها فقال اني والله اكون اسعد حظاً من الجميع اذا ثم لي ذلك

فتجاهلت قطلام وقالت وما الذي تنهي به سيدتي قال لقد جئتكم خاطباً وانت في احزانك عساي ان استطيع تفريجها فاطلبي مني ما تشاءين ما تقر بعيشك

فتهجدت قطلام ثم قالت اني لا اعجب من تسرعك في الطلب ومخن لم تلتقي قبل الآن

قطعت لبابة كلامها قائلة « نعم انك لم تلتقيا قبله ولكن لبابة تعرفكما جيداً وذا
اذنت مولاتي بكلمة فأقول انكما اهنا خلائقنا لدعينا معنا »
فسكت قطاع فنال ابن مليم « ويع ذلك فاطلي ما تشاءن فيكون لك »
فطلت قطاع ساكتة برهة لظهور بالحياة والتعدد اقماماً للحيلة . ثم التفت الى
لبابة كأنها تتول لها « اني استحي ان اقول » فقالت لبابة انا اقول .. اجعل
مهرها ثلاثة آلاف دينار وعبدآ وقبة
ولم تم لبابة قوطا حتى صاحت قطاع « لا .. لا يرضيني ذلك ولا مطبع لي في
المال كذا تعلمون » فنال عبد الرحمن « اعطي ما تريدين »

فظاهرت بالقنع وصبرت هنئها كأنها تستحق بما اقترحة عليها من العمالب ثم قالت
« ان مهري اهنا هو قتل علي بن ابي طالب قاتل ابي واخي »
فابضم عبد الرحمن وانظر اليها وينه على قبضة سيفه وقال « ان ذلك وما قاتله
هذا الحاله سيكون لك .. ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن ابي طالب وعبد وقبة .. فنان
مثلك لا يعر في سهل نيمها مهر .. واعلى اني اهنا جئت الكوفة هذ الغاية انظر الى
هذا الصيف (وجرده فلم نصاله بمعانٍ شديدة) اني اشتريته بالف وسبعينه بالف
لاقفل علي بن ابي طالب بو

فابتسمت وقالت ولكنني ارجوان يكون ذلك عاجلاً لثلاً تتوت الفرصة
فنال ان موعدنا قريب لم يبق منه الا يوم وليلة سأقتله في صباح ١٧ من هذا
الشهر المبارك ابي بعد غد فاطمني

قالت وكيف عينت اليوم والصالة الا يستحسن ان يكون ذلك غداً
قال ان لذلك سبباً ساذكـ لـكـ بعدـ ذـكـرـيـ اـقـولـ الـآنـ اـنـ مـقـيدـ فيـ اـنـادـ

هميـ فيـ صـبـاحـ ذـكـرـ الـيـوـمـ

فسكت قطاع وهي تجاهل ما علمته من امر المؤمرة
وكانت لبابة عالمة بعياب ريحان وإن لا بد من زاد يتناوله الصيف فامتندت
عبدها في اثناء قدوتها فجاءه واعده لم يعلم طعاماً تناوله

وما صدقـتـ قـطـاعـ انـ خـلـتـ بـلـبـابـ لـحظـةـ فـاـشـارـتـ اليـهاـ اـنـهاـ تحـبـ فـاطـمـهـاـ فيـ
امرـ ذـيـ بالـ عـلـىـ اـنـفـارـ فـاحـنـالـتـ هـنـىـ عـلـىـ عـبـدـ الرـحـمـنـ حـنـىـ التـسـ الخـروـجـ إـلـىـ السـوقـ
فيـ شـفـلـ لـهـ وـخـلـتـ قـطـاعـ بـلـبـابـ الـجـهـتـ فـيـ ثـامـنـ الحـيـلـةـ

الفصل الخامس والخمسون

﴿ مِهْمَةُ رِيحَانٍ ﴾

اما ريحان فان لبابة ادركته في الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن فـأمرته ان يسرع في ملاقاة سعيد خارج الكوفة والتقتا اليه من اساليب المكر والدهاء ما يكتمل بخراج ممهدو . فسارا اولاً الى ساحة كبيرة في وسط الكوفة تجتمع فيها الدواب من التوا فال وغيرها . ولا بد للقادم الى تلك المدينة من المرور بها او التزول فيها وقبل وصولها اليها سمع جيير الجمال وصهل الخيل وما وصل رأى الساحة غاصبة بالدواب وبينها الناس في هرج بين راكب ونازل ورأى الاجمال ملائكة هنا وهناك فجعل يتمنس بالوجوه لعلة يرى سعيداً او احداً من خدامه فلم ير احداً . فجاءه سعيد فسأل عنه فعلم انه لم يأت بعد . فخرج بنفس الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعلة يرى هجاناً او فارساً . فشيء ساعدين ولم ير احداً فوصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد لهن كأن قادماً من الشام او مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه شائعتان الى عرض الافق يذكر في حلة نعل على سعيد فيستتبئ هناك او يمير بواليه بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأت احد وكان القمر يدرّا فلم تك تغرب الشمس حتى طلع البدر وانعكست الاظلال من الشرق نحو الغرب . فانكما على حجر وعيناه تتظران الى الافق

قضى ريحان هناك اوائل الليل وعيناه شاختان وتلهي بمحنة وكلما رأى شجاعاً ظلها سعيداً فماهنته بـالبرد وهو يكابر ويجلد . وحدثه نفسه ان يرجع فخاف ان يأتي سعيد في اثناء غيابه فذهب سعيه هباءً متثوراً فالتفت بنوبه . وبعد نصف الليل غالبة النعاس وهو يجلد ولكنه لم يتوان على سلطان النوم فاغضت عيناه على انه لم يتم طويلاً فاستيقظ مبغوثاً فاـسـفـ لـمـ اـتـوـاـهـ منـ الرـقـادـ فـهـمـ وـهـوـ بـخـافـ انـ يـكـونـ سـعـيدـ قدـ مـرـ وـلـمـ يـرـ . فـوقـتـ بـرـهـةـ يـذـكـرـ فـيـ ماـذـاـ يـعـلـمـ فـصـبـرـ نـسـهـ الىـ الصـبـاجـ فـلـمـ يـأـتـ احدـ فـتـحـ لـهـ اـنـ سـعـيدـ مـرـ فـيـ اـشـاءـ نـوـمـ فـعادـ اـلـىـ الـكـوـفـةـ باـسـرـعـ مـنـ لـهـ الـبـصـرـ فـبـعـثـ فـيـ سـاحـةـ وـسـارـ اـلـىـ يـتـ سـعـيدـ فـخـافـ اـنـ لـمـ يـأـتـ بـعـدـ فـرـجـعـ اـلـىـ الشـجـرـ وـقـضـيـ مـعـظـمـ الـهـارـ تـحـمـهاـ

او حوماً كأنه على حمر الغضا . وهو مع ذلك صابر لا ينذر ولا يتضرر حتى ثابت الشمس وطلع القر . فتزال في نسولم برق الاً هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثبت حاجة الى بقائي اذ يكون قد نفذ المهم وقتل علي . فازداد اضطرابه وثنى ان لا يأتي سعيد فيخلص هوم من تدبر الحيل في اخنه الى قطام وهو مع ذلك لا يرجو ذهابه معه لقرب ميعاد الفدل

ولم يدن العشا حتى رأى جملاً فادرين عن بعد وعليها راكان فاخذل قلبه واصطكث ركناه وزاده البرد ارتعاشاً . فلما اقتربا وقف وتقى خوها فاذا ها سعيد وبلال عبد خولة وكانتا ماقرين فعرف سعيداً من قيافته واما بلال فلم يعرفه

الفصل السادس والخمسون

﴿ ريحان وبلال ﴾

وكان سعيد قد قضى مسافة العاريق في قلق على الامام وما صدق انه اطل على الكوفة فانفرجت ازمه وعوّل ان يمير توئا الى منزل علي . فلما وصل الى تلك الشجرة ترجل وترجل عبد على نية الاستراحة هيبة ثم المسير . فاستقبله ريمان وسلم عليه فلما رأاه سعيد استأنس بو ورد السلام ثم قال له ما الذي جاء بك يا ريحان قال « ان سيدتي منشغلة بالاطار لطول غيابك » وأشار اليه ان يدتو منه ليبيه اليه ما اوثقني طيب من السر . فدلتا منه على انفراد وانشغل بلال بسياسة الجهلين فتزال ريمان « ان سيدتي قطاماً تerrick السلام وتنول لك لند اطلت الفيفية عليها انت وسيدي عبدالله »

فتنهى سعيد وقال « لا تذكر عبدالله فقد تركاه في مصر » قال ذلك وهو لا يريد ان يطأطح العبد في مثل هذه الشؤون اتفاً وترفعاً فاكتفى بالسكت فشكك ريمان عن سؤاله وهو يعلم ان عبدالله أغرق في سجلة من اغريق عمر بن العاص في النيل ولكنها قال « وماذا اقول الان اسيدي هل انت قادم للمبيت عندنا الليلة فايهما قد احدث لك كل وسائل الراحة »

فليبس سعيد برهة ثيابه عوامل الشوق الى قطام وبراعت الجلة الى علي فرأى

ان ميعاد القتل قد آن فإذا بات تلك الليلة في منزل قطام يمتنع بروّتها ويشنف
ساعة بخلو حدتها اصبح في الغد وقد قتل على لان الموت مرا لا ينآخر عن فعله الى ما
بعد صباح السابع عشر فقال « اذا ذهبت اليها الليلة اراها برقة ثم اسير الى عالي »
قال ذلك والثنت الى بلال فرأه منها في اعداد العشاء فناداه باسمه خباء فلما سمع
ريحان اسم بلال اخراج قلبة في صدره ولما دنا منه وترى في عرض انه عبد خولة
وكان قد لقيه في النسطاط وباح له وهو و لم يكن يخطر بباله يومئذ انه سبأ اي مع
سعيد . فارتبك في أمر وحاول اخناه حاله بلال فرأه بلال فيعرفه . اما بلال فلما
دهاه سعيد اسرع الى ما بين يديه فقال سعيد « الا ترى ان نسير تجاه الى الكوفة »
قال بلال « الامر بولي ولكنني اعددت لك طعاماً الا لتناوله ونسترجع هنئه
ثم نسير الى حيث شاء »

قال « ولكن بعض اهل بعضوا في استلامي للعداء »

والثنت بلال الى ريحان فرأه قد ثقفر الى جزع الشجرة يستر بظلها فلم يتبه له
وكان سعيد قد أنس بلال في اثناء الطريق واطلعة على حديث المؤامرة . فاقتنم بلال
تلك الخلقة فقال لسعيد « الا ترى يا مولاي ان تم مهمنا التي جتنا بها من النسطاط
قبل كل شيء اني أخاف ان يكون ذهابنا الى اهلك سبأ في التأخير وهم رهالا
يعلمون الغرض الذي بدعونا الى الاسراع وربما حدث لك بعد العشاء ما يوخرك عن
ذلك المهمة اما اذا اخذنا مهمنا واطلعننا الامايم على ما يحبه الله اهل البيه غضي الى
حيث شاء هذا ما اراه والامر لك . على اني قد اعددت لك الطعام الا ان فادا
شتت اكلت ثم فعلت ما يتراوي لك »

فارتاح سعيد لهذا الرأي ولكن اراد ان يخبر بلالا باطلاع ريحان على سر الامر
فقال له « ولا اخفي عليك ان هذا الامر (وأشار الى ريحان) من جملة المساعين
في ما نحن فيه »

قال بلال « فهو يغدرنا اذا ادار رأي انا تفضل المدير الى منزل الامايم .
تفضل الان الى المائدة وانا انتقل معه في هيئة الجبلين فادا فرغت من الطعام سرنا
جميعا »



الفصل السابع والخمسون

﴿ انکشاف الخدیعة ﴾

قال ذلك وتحول نور ريحان وكان ريحان واقفاً بجانب الشجرة وهو يود أن لا يخاطبه أحد . وحدائقه نسمة أن يرجع إلى الكوفة ل بلاً براءً بلال فينكشف أمره . ولكنه ما ثبت أن رأى بلالاً يدنو منه ويكلمه فرداً عليه بصوت مخفي وهو يشغل باصلاح نعليه وشلتوه لا يرفع نظره اليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم اليه وناداه وقال « تعال يا اخي نكث هيبة ربنا يتناول مولاي طعاماً ثم نسير معـاً »

فسكت ريحان ولم يجب ولكنه ظاهرـ بـ اضـاع عـصـامـ وـ تحـولـ لـ الـ بـحـثـ عـهـاـ وـ بـ لـالـ يـتـبعـهـ وـ يـعـبـ لـماـ يـدـوـهـهـ . فـلـماـ يـعـدـ رـيـحانـ عـنـ ظـالـ الشـجـرـ بـانتـ سـمـحةـ فـذـكـرـ بـلـالـ أـنـ يـعـرـفـهـ وـ فـطـنـ لـلـحـالـ أـنـهـ هـوـ الـذـيـ اـسـرـ إـلـيـهـ خـيرـهـهـهـوـ إـلـىـ النـسـطـاطـ . فـانـتـهـيـهـ أـنـ فيـ الـأـمـرـ خـدـيـعـهـ وـ خـصـوـصـاـ لـمـاـ رـأـهـ يـعـاـوـلـ اـخـنـاءـ وـ جـيـوـهـ فـقـدـ الـيـهـ وـ اـمـسـكـهـ بـيـنـ وـقـالـ « تعال يا صاحبي نكث هـنـاـ يـاهـيـشـ مـوـلـانـاـ فـسـيرـ مـعـاـ » فـلـمـ بـرـيـحانـ خـيرـاـ مـنـ أـنـ يـجـذـبـ يـهـ وـ يـقـظـاـهـ بـالـغـصـبـ فـتـبـعـهـ بـلـالـ وـهـوـ يـتـوـلـ « يـغـلـهـ اـنـكـ لـمـ تـعـرـفـيـ يـاـ صـاحـبـ الـلـقـوـنـاـ فـيـ النـسـطـاطـ »

فـصـاحـ بـهـ رـيـحانـ « واـيـ فـسـطـاطـ .. اـنـيـ لـاـ اـعـرـفـ النـسـطـاطـ وـلـاـ اـعـرـفـكـ قـبـلـ الـآنـ وـلـيـنـيـ لـمـ اـعـرـفـكـ فـنـدـ اـضـعـتـ عـصـامـ بـسـبـكـ »

فـسـمعـ سـعـيدـ صـيـاحـهـ وـكـانـ قـدـ جـلـسـ إـلـىـ الطـاعـامـ فـنـظـارـ الـيـهـاـعـنـ بـعـدـ فـرـأـهـاـ يـخـاوـرـانـ فـوـقـ وـنـادـيـ عـبدـ قـطـلـامـ قـاتـلاـ » لـاـ تـفـضـبـ يـاـ رـيـحانـ أـنـ بـلـالـ عـلـىـ دـعـوـتـنـاـ فـلـمـ يـهـيـأـ لـرـيـحانـ غـيرـ السـكـوتـ وـالـجـيـيـهـ إـلـيـهـ لـلـلـلـاـ ثـنـاـ كـدـ الـذـيـهـ عـلـيـهـ . وـلـكـنـهـ أـصـرـ عـلـىـ نـكـرـانـ ذـهـابـهـ إـلـىـ مـصـرـ فـلـمـ دـنـاـ مـنـ سـعـيدـ قـالـ لـهـ « مـاـ يـالـكـ نـخـاصـ بـلـالـ »

قـالـ « اـنـيـ لـاـ اـخـاصـهـ وـلـكـنـيـ اـضـعـتـ عـصـامـ وـفـيـاـ اـنـجـتـ عـنـهـ جـاءـ فـيـ بـحـثـيـ بـعـدـ بـلـالـ لـاـ عـرـفـ لـهـ أـصـلـاـ »

قـالـ سـعـيدـ « وـمـاـ ذـلـكـ يـاـ بـلـالـ وـمـاـ الـذـيـ قـلـهـ لـهـ »

قال «لم أقل له شيئاً ولكنني تذكرت اني رأيتها في النساط من بضعة عشر يوماً
وهو يذكر ذلك كل الانكار»
فلا سمع سعيد بذلك استغربه وقال «يحق لها ان يذكر عليك ذلك لانه لم يمرج
الكوفة منذ اشهر»

فأعاد بلال النظر الى ريجان وترى في وجهه وقال «بل انا على يقين ما اقول
وقد لقيته هناك غير مر و لكنه معذور في انكاره لان وجوده هناك عاد باشر
العواقب على مسدي ورفقا»

فيقت سعيد وكانت اللقة في فيو فلم يعد يستطيع ازدرادها وكاد ينفخ بريقو
وقف للحال وقال «ما تقول يا بلال اذنك مخلط في التول ان ريجان عبد قطام
بنت شعبية وقد تركته هنا يوم سفري وانا اثق بانه لم يمرج الكوفة ولعل الذي رأيتها
في النساط بعد آخر يشهده»

ـ ـ ـ

الفصل الثامن والخمسون

﴿ يحاول عشاً ﴾

فلا سمع ريجان ما القصة سعيد من العذر عنه اطأأن بالله وقال بصوت هادئ
«يظهر انه غلطان كما قلت لان البشر يتشاهرون ولكن ساححة الله جاءني مغشياً
وانا افتش عن عصاي فاغاظني حتى سمع مني كلاماً مؤلماً فانا اطلب اليه ان يعذرني
على ما فرط مني» واثنت الى بلال وهو يبتسم ايهاماً بسلامة نبيه
اما بلال فكان في اثناء ذلك ينظر الى ريجان ولا يزداد الا اعتقاداً بانه
هو الرجل الذي خاطبه في النساط ونادته سيدته خولة في اثناء خطابه وقص عليهما
خرقه كامر . فلما آتى منه ذلك اللذين ظلّ يترى فيو وهو صامت فلما انزع ريجان
كلامه قال له بلال «ربما كنت مخطئاً في ظني ولكن اسألك سؤالاً ارجو ان
تحسني عليه»

قال «قل ما بدا لك»

قال «ألا تذكر انك رأيت هذا الوجه» (وأشار الى وجهه هو)

فخترس في ريجمان وهو يطبله بتناول ذلك بسذاجة ثم قال « لا يا اخي لا اذكر اني رأيتك قبل الاَن »

فقال « يا للعجب ولكنني واثق باني لرئتك وخطابتك فرأيت هذا الوجه وسمعت هذا الصوت . فالظاهر انك سرت الى النساعط قبل هذا العام »

قال « نعم اني سرت اليها منذ بضعة اعوام »

فضحك بلال وقال « ولكنك قلت الاَن انك لا تعرفها »

فارتبك ريجمان في نسو وعد الى المغاظلة فقال « دعنا من هذه الاوهام ولا تشغل بانا بما لا طائل تمنه »

وكان سعيد في اثناء ذلك يسمع كلامها والاخلاص لا يزال غالباً عليه

اما بلال خاف ان يترتب على سكتونه ذهاب سعيد مع ريجمان .. فقال لريجان

« اذا كان الحال على ما تقول فعليك ان تساعدنا في اتفاذه المهمة التي نحن فادمون بها دعنا نذهب الى منزل الامام الاَن »

قال « اتنا اكثر رغبة منك في هذا السبيل ولكن الليل طويل فادا ذهب معي مولاي الى سيدتي قطام فتراه ثم يذهب الى حيث شاء كان ذلك اوفق »

قال « فلينذهب هو معك وانا امضي الى منزل الامام بال匕ابة عنه »

ففارق ريجمان ذرعاً وظهرت البغثة على وجهه ولم ير لة مخرجآ من ذلك غير النظاهر بالغضب فقال « ولماذا هذه الغلبون أملكك تبيِّن الغلن بنا ونحن اولى منك بهذا الامر »

فتحقق بلال حقيقة ان ظاهراً في علو فقال « نعم اني اظن السوء بك وبسيدتك بعد هذا »

خاف ريجمان ان ينفي الامر الى انكشف امره فظاهر بالغضب وقال « اني لا اعجب من هذا الاَحق ويظهر ان مولاي صار على وقارته فانا ذاهب منذ الاَن وافعل ما نشاء »

قال ذلك وتحمّل يندو نحو الكوفة وظل سعيد وبلال صامتين كأن على راسهما العابر

الفصل العاشر والخمسون

﴿التشاع الفشاعة﴾

مشى ريحان وهو ينظران اليه لا ينوه احدها بكلمة . فلما توارى قال سعيد « ما الذي اراه يا بلال اني احسب نفسي في حلم ؟ ما الذي ترولا عن هذا العبد هل انت محقن انك رأيته في النساطاط ؟ »

قال « نعم يا مولاي اني شديد الوثوق بذلك وقد زادني وثيقاً تناقض اقواله وتساءل بعد ما افترحه عليه »

قال « فلو كان قدم النساطاط ما الذي يدعوه الى الستر »

قال « يدعوه الى الستر ما ارتكبه من المخيانة هناك . آه من هذا النذل يا ليتني قبضت عليه وأهرقت دمه قبل فراره من بين يديّ ، انا ونبي يكما لعمر اين العاص »

فيغت سعيد وبذلت الغثارة تضرر عن بصيرته وتذكر ما قصتها خولة عليه من حدث عددها مع عبد آخر وهي بها الى ابن العاص . وانه استغرب يومئذ ان يصل خبرها الى النساطاط وهو انا قدمها اليه سراً لا يعلم بها احد غير قطام ولباية وهذا العبد . فانجلت لديه الواقعه وخطر له ان ريحان لا يسير الى النساطاط الا بايمار سيدتي وتذكر ما كان يوانسه في ابن عم عبد الله من ذلك في قول قطام فندم على استسلامه لها وغض على سباته وظل واقفاً لا يهدى حراكاً وبلال واقف بين يديه صامتاً . ثم قال سعيد آه يا بلال بورك بخولة وبورك بلبن رضعته اتها والله كانت ملاكاً سارياً بعث الله لكف تلك الخديعة . ولكن يا بلال قد تنددت خولة قطام على عبد الله فمات غريباً . . . ولكنها لن تنجد على الامام علي فماحد الله على انكشاف امرها قبل افتضاه اجل المأي امنة

ثم صمت وتذكر حرجه قطاماً وما بذلك لها من الاخلاص وما اجرته عليه من الجيل فعقل الامر لديه وامست عروالله شراؤج بين ما افترس في قلبه من الحب وما اكتشف له من الخديعة فلم يحالك عن البكاء . ولكنها تحمل ان يندرف الدمع بين

يدى بلال فشار اليوان یہی، الجمال وتحول وجهة الى الخلاء ومشى وقد اطلق
لنفس عنان البکاء، وهاج به الاسف لما اصاب ابن عم عبد الله من البلاء بسبو
بجعل يندبه ويندب سوء حظه ويقول

« تباً لك يا قطام، اصحح انك انتدبت عبدك اللوشابة بنا الى ابن العاص لقتلنا
... ابن عبودك وابن وعدوك ابن ما سمعته منك من الرجوع عن قبل الامام علي
... واسنانه عليك يا اخي وحيبي عبد الله انك ذهبت ضحية جهالتي ودهاء هن
المرأة ... آه يا قطام هل يوجد في الدنيا اناس قساة القلوب الى هذا
الحد (قتل الانسان ما اكتفر) السمحين يقتل ضحية اسهمتك في سبيل هؤلا وتنقلين
بريقاً حملته غيري على السعي في انتداب امير المؤمنين وتمحون مع ذلك
يقتل امير المؤمنين وانت تنظر بين ... »

« آه لا يسمع لي الوقت ان امير اليك فائتم منك قتل الذهاب الى الامام ...
ثم وقف بفتحة واتيه لنفسه كأنه افاق من رقاد ونظر الى ما حوله فادا هو في
ليلة مقرن صنا هوا وها ورق نسيها يجعل :راجع ما مرءه من الاحوال والاموال
ونذكر حبة قطاماً فغلب عليه حسن القلن بهاغفال في نفسه « ولعل قطاماً برقة وربما
كان ربهان صادقاً وبلال عذقاً » فلما نصور ذلك انبساط نفسه والذهب الغبور
كثير الظلون الا في ما يأول الى الاضرار في حبيبو . على انه لما لبث ان تدبر
القرائن والحوادث حتى رجع التهمة

وفيما هو ينادي نفسه الثالث فرأى بلالا قد اعد الجهلين وهم بالقدوم اليه فمسح
دموعه وتحول عنهم وهو يقول في نفسه « لقد نادت حيلتك في اخي عبد الله ولكنها
لن تند في الامام علي . ها اني سافر الساعة الى بيتو وسأستعين به على قتلك وقتل
ذلك العجوز المعنالة وذلك العبد الشرير ... »

قال ذلك وركب جمله وركب بلال في اشئه وسارا بالمسان متزل الامام علي



الفصل الستون

﴿ منزل الامام على ﴾

وكان منزل الامام على بجانب المجد بباب المسورة يدخل منه الامام الصلاة .
وكان المنزل دار واسعة فيها المقاعد والجلسات لمن ينذر عليه من العالى وأهل الامصار .
ويمحوار المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل ومواقف للجماعات لا تبرح غاصة
بصياغة الناس من دعوة الامام وكلم سهلكون في نصرته معتذرون بما ماتوا لا يرون
احدًا اولى بها منه . وكان أهل العراق وغيرهم قد اجتمعوا في تلك السنة على نصرته
في ایامه منهم اربعون اثنا عشر على الموت ^(١) . ولعله كان ينظر الفراغ من صيام رمضان
لجعل على معاودة بذلك المجد العظيم لا يفتر بذلك ما مرر به من الحول في صيامين
وغيرها بعد ما رأى ما أكل إليه ذلك من تأثير سلطان معاودة
وكذلك اذا دخلت مجلس الامام في تلك الايام رأيت رؤساء القبائل يترددون
عليه ولا حدث لهم الا ما كان من اجتماع كلتهم وما يتوقعونه من النصر وما يرجونه
من احقاق الحق وكبح جماح الطاعنين للخلافة من غير اهل البيت
ذلك كان شأن الكوفة في ذلك الشهر المبارك .اما على فلم يكن بشغله عن فروض
الصوم والصلاة شافل فاذا دنت الساعة واذ المؤذنون تكاثف الناس في صحن
المجد لساع كلاموا بما فطر عليهم من البلاغة وشدة الفرق على الاسلام والملائكة .
فاذا وقف على المنبر رأيت الناس سكوناً كأن على رؤوسهم العاير اصحاباً بما يسمعونه من
درر الفاظه وبدع حكمه وبلغ آياته وهم يجهون لما قام في ألسن المعارضين من تخليوا
عن يعزو وخصوصاً المخارج الذين اختلفوا لمعاداته اسباباً ما انزل الله بها من
سلطان

فاذا فرغ من صلاة الغروب نحو الـ دار ومعه جماعة من الامراء يتقدّمهم
اولاده وسائر اهله فيها . ون الى الاسطورة للاغمار القراء يتلوون القرآن في جوانب
الدار وكل يسبعون ويهللون حتى ينخلع لك ائمهم في موقف يتوقعون فيه الحساب

(١) ابن الاتير ٢

وما فيهم من يخاف عقاباً لما يعتقدونه من جدق دعوهيم وقيامهم بالحق المأمور
وكان الامام اذا فرغ الناس من الافطار وجلسوا للحادي رأيته اقلهم
كلاماً وانصرم عن المهدى . وربما مكث ساعة او بضع ساعات لا يهس بذلت شفقة
كانة يذكر في امر ذي يال وربما كان تذكر في ما يكتبه من سنك الدماء اذا حمل
برجاله على الشام وتنوس الناس ودمعة عنده يضمن بها ان تذهب ضياعاً ولا يضمن
بها اصحابها في سبيل نصره

الفصل الحادي والستون

﴿ ضمير ابن طبع ﴾

كان ذلك شأنه خصوصاً في اواسط رمضان وعلى الاخص في ليلة السابع عشر
من شهر في الليلة التي بات فيها ابن طبع يترقب انبلاج الصبح ليشك باين اي طالب .
وفي تلك الليلة اسرع سعيد وعبدة الى منزل الامام ليكتبهما بعزم ذلك الرجل
وما ظننك باين طبع تلك الليلة . هل نظرة بات ساكن الجاش مغتنم الخطاطر
... هل عرف الكرى جناء ... كلاماً . لا خالله قضى ليلة الا قلنا مضطراً
لقول ما عول عليه من الامر العظيم . وما اعظم من ان يسئلك دماً بربما دم رجل
جمع الى كرامة الخلافة شرف النسب واحرز من العلم ما لم يحرزه احد من المسلمين
في ذلك العهد ؟apis هو ابن عم الرسول وخليفة وصهر .apis هو ذلك العالم
التي العادل الخالص الغيور على الاسلام والمسلمين ؟ لا نظرك ابن طبع والماله هذه قضى
ليلة الا على شوك القتاد لم يغضض له جفن وقد طال ليلة . وربما حدثته نفسه
بالرجوع عن عزمه فغلب عليه عهده لرفقاوي وتعهده لخطيبه قطام بدت شحنة
وخصوصاً بعد ان اشتركت معه في ذلك التعل ابن عم لها يقال له وردان حرضته
على الاخذ بناصري . ولقي هورجلان من الشجاع يقال له شبيب اخففه على ركوب ذلك
المركب الخشن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معاً في غير الغد . فهل تفطنة بعد
ذلك المهدى والموافق يصفعي لذلاء ضمير اذا كان له ضمير . ولو اصفعي لما ارتكب
ذلك المذكر

على انك لوسيرت غور قليو في تلك الليلة وهو ينقلب على فراش وسيدة المسموم الى جنبه لرأيتها ينادي نفسها ويدفع تبكيت ضميره بمحنة انه انا عمد الى ذلك دفعاً لمحنة
كان مبيها نماذج علي ومعاوية وعمرو على السلطة والمحنة شرّ من القتل
وكأن نفس الامام علي حدثة خغو ذلك الزون يختر بوقعة على حياته . فكان
منذ دخل رمضان يعشى ليلة عد الحسن وليلة عد الحسين وليلة عد جعفر لا يزيد
على ثلاثة لقى ثم يقول « احبّ ان يأتني امرأة وإنما خبيث »^(١) وإنما في تلك
الليلة فانهم نعدوا جميعاً في منزل الامام وهو جالس على المائدة لا يأكل الا ليلًا
وأولاده بين يديه ينظرون اليه ويجهبون حلاوة

وكان حاجية قبر رجلًا من أهل المحشة كهلاً اذا نام على يأتم عد يأته وكان
في تلك الليلة اشد الجميع قلقاً لم يتناول الا فطار ولا هداً له بالـ . أكل الناس وهو
جالس القرفصاء عد الباب وعيناه شاختان الى النهاية كأنه يتوقع قدومنا قادم
وهولايكم أحداً ولا انتبه احد حالي ولو سأله بعضهم عن سبب قلتو ليلاح له بما
اطلع عليه من الاسرار التي ظن نفسه اكتشافها وهم يجهبون عنها عيناً
وبعد صلاة العشاء ارافق المجلس فذهب كل الى منزله . وناموا جميعاً الا قبر
فانه لبث ساهرًا وقد اخذ الاختراب والتلق منه ما خذل اعظمها . وما جلس للمراسلة
وهو يعلم ان الامام لا ينس حرساً بحرسها^(٢) ولكنه جلس يذكر في امر اذهب رقاده
والفاة في حرب

الفصل الثاني والستون

* فتحُ جديد *

اما سعيد وبلال فانهما دخلا الكوفة واسرعا بالتسان دار الامام علي وكان
القمر بدرًا (او حوالي البدر) وقد تكبد الماء فارسل اشعثة على ابيبة الكوفة وقد
انقضت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك النصل . فلما دخلوا الكوفة رأياها

سأكـة هادـة لـانـفـضا ، مـيـقات الـسـهـر . وـقـد نـام النـاس وـمـمـيـقـونـاـنـ السـحـرـ
لـهـضـمـيـلـلـلـحـورـ

سـارـسـعـيدـ وـهـوـلـسـخـتـ جـمـلةـ وـقـلـةـ بـرـقـصـ طـرـبـاـ لـماـ بـوـقـعةـ مـنـ بـخـاجـ مـهـبـهـ وـقدـ
شـكـرـ اللهـ لـأـطـلـاعـهـ عـلـىـ حـبـلـ قـطـامـ قـبـلـ فـوـاتـ الـوقـتـ . فـلـمـ دـنـاـ مـنـ الـمـحـجـدـ تـرـجـلـ وـقـالـ
لـيـلـالـ خـذـ أـجـمـلـ وـسـرـ يـوـ الـ سـاحـةـ الـكـوـفـةـ وـامـكـتـ حـتـ آـتـكـ

فـلـمـ يـسـعـ بـلـلـأـ غـيرـ الـطـاعـةـ فـقـوـلـ فـغـوـلـ فـغـوـلـ السـاحـةـ . وـمـشـىـ سـعـيدـ عـلـىـ قـدـمـيـهـ وـرـكـبـاهـ
نـصـطـكـانـ مـنـ شـتـةـ الـاضـطـرـابـ . وـمـاـ صـدـقـ اـنـ اـفـيلـ عـلـىـ دـارـ الـامـامـ وـلـكـهـ رـأـيـ
الـسـكـونـ سـائـدـاـ عـلـيـهـ . فـوـقـ هـنـيـهـ يـنـكـرـ فـيـ السـيـلـ الـذـيـ يـدـخـلـ يـوـ الدـارـ وـاهـلـهـ نـيـامـ
فـلـيـثـ بـرـهـ يـاـرـدـدـ وـهـوـ يـخـافـ اـنـ يـسـتـغـشـهـ اـحـدـ لـقـدـوـمـ وـفـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـهـوـلـ يـدـخـلـ
تـلـكـ الدـارـمـنـ قـبـلـ وـلـاـنـيـ الـامـامـاـلـاـ لـقـاءـ اـهـلـ الـوـلـاـءـ . وـلـكـهـ لـمـ يـرـ بـلـأـمـنـ الـاقـدـامـ فـشـيـ
بـخـطـوـاتـ الـمـتـرـدـدـ حـتـيـ دـنـاـ مـنـ بـاـبـ الدـارـ فـرـأـيـ شـيـئـاـ جـالـسـاـ لـمـ يـعـرـفـهـ وـلـكـهـ سـرـ يـوـ لـعـلـوـ
اـنـ لـاـ يـخـلـوـانـ يـكـوـنـ مـنـ بـعـضـ رـجـالـ عـلـىـ فـيـسـاعـهـ فـيـ مـهـبـهـ . عـلـىـ اـنـهـ لـمـ يـكـدـ يـقـبـلـ عـلـيـهـ
حـتـيـ وـقـفـ ذـلـكـ الشـيـعـ بـغـةـ وـنـدـمـ خـوـهـ وـهـوـقـوـلـ «ـمـنـ القـادـمـ»

فـقـالـ سـعـيدـ وـهـوـ يـلـجـعـ بـكـلـامـوـ «ـاـنـيـ رـسـولـ الـامـامـ عـلـيـ . وـمـنـ اـنـتـ؟ـ»

قـالـ «ـاـنـيـ قـبـرـ حـاجـبـ الـامـامـ وـمـنـ اـنـتـ؟ـ»

قـالـ «ـاـنـيـ سـعـيدـ الـامـويـ اـرـيدـ مـقـاـبـلـةـ الـامـامـ عـلـيـ»

فـصـاحـ قـبـرـ قـانـلـاـ «ـأـنـتـ سـعـيدـ تـعـالـ مـيـ ..ـ»

فـسـرـ سـعـيدـ لـسـرـعـةـ الـاجـاـبةـ وـمـشـىـ فـيـ أـثـرـ قـبـرـ حـتـيـ دـخـلـ بـاـبـ الدـارـ وـتـحـولـاـلـىـ
جـمـعـةـ فـيـهـاـ مـصـبـاجـ فـدـخـلـ قـبـرـ اوـلـاـ وـاقـيـظـ اـثـيـنـ كـانـاـ نـائـيـنـ هـنـاكـ وـسـعـيدـ يـتـبعـ بـسـنـاجـةـ
وـلـمـ يـكـدـ يـدـخـلـ الـجـمـعـةـ حـتـيـ رـأـيـ الرـجـالـيـنـ قـدـاطـبـنـاـ عـلـيـهـ وـقـدـاـ يـدـبـهـ وـرـجـلـيـهـ وـهـوـ وـاقـفـ
لـاـيـدـيـ حـرـأـكـاـ مـنـ شـتـةـ الـبـغـةـ فـلـمـ رـأـهـاـ يـقـلـاـوـ وـقـدـ رـأـفـ وـقـدـ تـغـيـرـتـ سـيـنـهـ قـالـ لـهـ
«ـمـاـذـيـ تـقـمـلـ مـاـهـذـهـ الـوـقـاـحةـ اـنـ الـامـامـ عـلـيـ»

قـالـ «ـلـنـدـ كـذـبـ فـالـكـ اـبـهاـ الـوـغـدـ الـفـيمـ اـنـكـ لـنـ تـرـىـ عـلـيـاـ حـتـيـ تـرـىـ
الـمـوـتـ قـبـلـهـ»

فـبـقـتـ سـعـيدـ وـهـوـلـاـ يـلـمـ سـبـبـاـ لـذـلـكـ الـعـلـ قـالـ «ـمـاـ بـالـكـ نـسـغـشـوـنـيـ وـقـدـ جـشـكـمـ
فـيـ مـهـمـةـ اـنـقـذـهـاـ الـامـامـ عـلـيـ مـنـ الـقـتـلـ»

قال «اخساً ولا نطل الكلام انك اموي ونطلب ان ترى الامام لقتله
انظلن قتلة امراً هيناً»

فقال «وكيف اربد قتلة وانا انا جئت لانتقاده من النيل»
فامسكت قبر بيته ويداه ترتعسان من شدة التأثر وقال له «انظلن جلتك
تتعالى علينا؟ أما كنني ببني امية ما فعلوه حتى جئتم تنتلون الامام في منزله»
فيهت سعيد وقد جمد الدم في عروقه وقال «ما بالكم تسيرون في القاع وانتم لم
ترؤوا مني خيراً ولا شرّاً الا تستمعون قوله ثم ترون رأيك»
فقال قبر «وما الذي نسمعه من قولك وانت اموي وقد تعهدت بقتل الامام علي
مهراً لقتلاه خطبها من اهلها على هذا الشرط»
فاندهل سعيد واراد ان يدافع عن نفسه فرأى قبر يستخرج من جيبه رقماً فلبى
استخرج دفعه الى سعيد وجذبه بيده الى المصباح وهو يقول له «اقرأ... اليس هنا
خطلك؟»

فلما وقع نظر سعيد على الرق علم انه الصك الذي كتبه لقطام يوم خطبها
فايقن ان قطاماً هي التي ارسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به... ورأها
لشرط حيلتها قد هبت ايمها عنه ووضعت اسم فاتحة اخرى فصحت ولم يحب...
فاخذ قبر سكونة سجنة عليه فصاح فيه «اجب قل... اليس هذا خطلك؟»
فارتبك سعيد في امره ولكن ما زال يرجو التخلص بما يحمله من النيل الاكيد عن
مكينة ابن ملجم فقال له «هب انه خطلي ولكنني جئتك بخبر المكينة التي كادها بعض
الناس على الامام ألا تهلوكي ربها اخبركم»

فلم يصر قبر على سماح كلامه وصاح فيه قائلاً «واي مكينة اعظم من ان تعهد
بتقتل الامام... امك هدا اللبلة وغدا الناظره فرب»
قال ذلك وخرج وغلق الباب عليه



الفصل الثالث والستون

بلال

فلا خلا سعيد في تلك الحجرة ظن نفسه في منام وجعل يذكر في امنه وفي دهاء قطام وكيف اوصلت هذه الورقة الى هنا الرجل لانام حيلها ولكنها لم يكررها عامله بو قبر وعوّل على مقابلة الامام في الصباح باكراً واطلاعه على سر الامر وأما ايصال ذلك الصك الى قبر فاتنا سمعت فيه لبابة العنانة بشارارة قطام بعد ان تداولنا في ائم الحجارة خفاقة ان يطلع سعيد على مكيدتها قبل وصولها اليها او ان يذهب الى منزل الامام قبل المرور بها . فاستخرجت ذلك الصك وغيرت فيه الناظراً رفعت بها الشهبة عنها وكلفت لبابة فانت متزل قبر في صباح ذلك اليوم بدعوي اتها دلالة تبع الاقصنة والتقت الى قبر حدبياً لتنقذه بمحبت ثبت الشهبة على سعيد فلا يصفي احد الى كلامه . وكان انصار علي قد سمعوا طيباً عن عزم بعض الناس على قتل الامام . فلما رأى قبر الصك وعلم ان صاحبه امويٌّ ربي في بيت عثمان وقام بتصريمه لم يبق عنده شرك بهمه وخصوصاً بعد ان رأى قادماً قدوم اللص بعد منتصف الليل . فلما قبس عليه حسنه في تلك الحجرة الى صباح الغد ليرى رأي الامام بو بعد ان يعود من صلاة المحر . وما علم ما خبأه الاقدار للامام قبل ائم تلك الصلاة

اما بلال فانه مكت بالجملين في ساحة الكوفة يتضطر قدم سعيد . فلما ابعلاه عليه انشغل بالله ولكنها لم يظن سوءاً لما يعلمه من سلامته نية سعيد . وفيها هوجالنس يذكر في ذلك سمع آذان الصحر فعلم ان علياً يخرج في تلك الساعة للصلوة فهرول نحو المجد وهو على مقربة منه فدخلته فرأى في قبة مضروبة علم اتها قبة بعض النساء من يجلسن لسماع الصلوة . فوقف وعيناه شائعتان لعلة يرى سعيداً . فاذاد رجال دخلوا وفهم رجل مسلم وقد اتفق بعبادة يختفي تحتها سينما ففترس فيه عن بعد فرأى على جهة اثر الجبود فعلم انه ابن مطعم^(١) فارتعدت فرائصه

وحدثنا نسمة ان بصريحه لا يشك على نسو وهو لا يشك مع ذلك ان علياً اطلع على مكيدته ولا يلمس ان يدخل المسجد حتى بأمر بالتنفس عليه ثم رأى ابن ملجم بشي وعنة رجل آخر هو شبيب نحو تلك النية فكلما من فيها وكان فيها قطاماً بنت شبة^(١) ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وبلال براعده ينظر وينتظر ساعه الامر بالتنفس عليه حالما يدخل عليَّ

وبعد هذيه فتح باب السدة ودخل منها عليَّ بشيء الموبينا، وعانته على رأسه تغطي صلعنه وكان ذا بطن ولحمة كبيرة في الشعر فضم العضل^(٢) وفي يده درة (سوط) كان يوقظ الناس بها للصلوة كل صباح . فمشى الامام وابن النباج المؤذن بين يديه والحسن بن علي خلفه . فلما دخل انصت الناس وبلال ينظر اليه ولا يشك في انه سينادي من ينفخ على ابن ملجم . فاذا يوقد وقف ونادى « ايه الناس الصلوة »

ـ ـ ـ

الفصل الرابع والستون

﴿ مقتل الامام ﴾

والثالث بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال وافتاك لكن رفيقته (شبيب) تقدم مسرعاً وسيئة يد ضرب بوالامام علياً فاصاب عضادة الياب وسنط السيف من يده فاجعل بلال وهم ان يسرع الي علي ينفين بامر ابن ملجم فاذا بابن ملجم قد اقبل على علي باسرع من لمح البصر والسيف يبرق يده وضربه على جبهته وهو ينقول « الحكم شه يا علي وليس لك ولا محابيك »

فصاح علي « فزت ورب الكعبة » ثم قال « لا ينوتكم الرجل » فتكلفت الناس على ابن ملجم فدفعهم بيده فخرجوا عنه ففهم عليه المقربة بن شعبة وتلقاه بقطعة فرمها عليه واحتله وضرب بوالارض وقد عل على صدره وانزع السيف منه واما شبيب فاقفلت في الغلس وخرج من باب كندة

(١) تاريخ الخميس ج ٢ (٢) ابن الاتبرج (٣) الخميس ج

فانقرط عند الناس ونظر بلال الى البة المضروبة فرأى امرأة خرجت من تحفها وإذا هي قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فاندھل لارأه ولکنة رجا ان لا تكون الفرية قاضية ثم تذكر ان سيف ابن ملجم سهوم فیس من حياة الامام . وجعل يتفرس في الناس لعلة برى سعيداً فلم يقف لها على اثر فنقدم في جملة من نقدم الى السنة حيث كان على مطروحًا فإذا هو يقول «احضروا الرجل عندي» فاحضره فقال له علي «اي عدو الله ألم أحسن اليك»

قال بلي

قال «فاحملك على هذا»

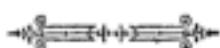
قال «شudت سيفي هذا اربعين صباحاً وسألت الله ان يقتل بول شر خلقه» فنال علي «لا اراك الا مقتولاً به ولا اراك الا شر خلق الله» ثم التفت الى من حوله وقال «النفس بالنفس ان هلكت فاغسلو كافتي وان بقيت رأيت فهو رأيي . يا بني عبدالمطلب لا البتكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل امير المؤمنين الا لا يقتل الا قاتلي . انظر يا حسن ان انا مت من ضربتي هذه فاضرية ضربة بشرية ولا ثمان بالرجل فاني سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول ايها امة الله ولو بالكلب العثور»

قال ذلك وابن ملجم مكتوف وكانت ام كلثوم ابنة علي واقفة بجانب ابيها فنالت لابن ملجم «اي عدو الله لا يأس على اي والله عذر لك»

قال «على من تكون والله ان سيفي اشتريته بالف وسبعينة بالف ولو كانت هذه الضربة باهل مصر ما يرقى منهم احد»

ثم نقدم جذب بن عبدالله الى علي وقال «ان فندناك ولا ننفك فنبايع الحسن»

قال علي «ما آمركم ولا اهلكم اتم ابصر»



الفصل الخامس والستون

ـ لات ساعة مندم ـ

ولما علم الناس ان سيف ابن طجم مسموم تخفقا دون الاجل وخلفوا النترة في من يخلف الامام . فسأل الله جذب بن عبد الله ما سأله عن يخلفه فاجابه علي بأنه لا يأمر ولا يهتم كما نقدم ثم قتلوا الى داره مائياً وهو يتوكل على ولديه المحسن والحسين والدم يغشى جبينه وكان السم لم ينفع فعلة بعد

اما ابن طجم فكان ثانية قد وقع عن وجهه وبانت عصته وكان اسرى الجل في جهنه اثر السجود^(١) فاصفعوا الى العجين ولو لم يوص امير المؤمنين بان لا يقتلو الا اذا مات هو اثر الفربة لتفعله ارضاً ارضاً . ولكنهم اضطروا امثلاً لامر الامام ان يسوقوا الى العجين ربيعاً ظاهراً لم غاية ذلك البرح

اما بلال فانه سار في اثر الجميع الى منزل الامام علي وقد تولته الدهشة ملول ما رأه في تلك الساعة . وما زاد استهلاكه وضاعف حزنه ما أصابه من الفشل بمحبوط معاه ويسعى سيدتو لانه اما كان يود نجاة الامام من تلك المؤامرة اكراهاً لملوأ خولة وخصوصاً بعد ان حصب عبدالله وسمع منه في اثناء الطريق ما حدثه يوم جنة ابو رحاب من فضائل الامام علي التي يندر اجتماعها في رجل . وقد وردت في كلام ابي رحاب

على انه كان مع ذلك في شاغل عاً كان فيه الناس بالفوغا . والانبهاك يامر الامام وجرحه والتفكير بسعيد وحاله . وقد عجب لفشل مهمته مع علو انه اسرع بعد طول شقة السفر والمعي في منتصف الليل لينبي^{*} النور بذلك الخطر . فمشي بلال وهو يترس في الناس واحداً واحداً لعله يرى سعيداً بينهم فلم ينفع له على اثر . على انه لما بث ان رأى الجميع دخلوا المنزل وادخلوا الامام محبولاً الى غرفته وتفرق الباقيون في صحن الدار جماعات تحدث كل جماعة منهم بحديث ذلك الصباح .

(١) تاريخ المخبيس ٢

ومدار ايجابهم ما اصاب الاسلام في تلك الساعة ما لم يكن في الحسين وما فيهم الا من يقول « ليني اشفي غليلي بضربة في عنق ذلك الباغي » وفيما هو ينظر في وجوه الناس لعلة برىء عبداً اذا قنبر حاجب الامام علي قد خرج من الغرفة والدمع مل عينيه وهو يقول « اقتلوني اباها المسؤول اقتلوني اني جئت على امير المؤمنين »

فهض الناس وتناثروا اليه وهم لا يفهمون مراده فاذا به قد اخترق الجميع ومشى الى الحجرة التي كان سعيد مسجونة فيها وفتحها واخرج سعيد منها وهو لا يزال مغلولاً

الفصل السادس والستون

الوصية

وكان سعيد لا يزال في تلك الحجرة وقد افقلوها عليه ولم يدر ما اصاب الامام علياً . فلما اخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجميع متکانناً هناك ظلمه يربى به سوءاً . فتمال أروني الامام علياً فأطلعه على دسيمة درها له اهل البغي ولا نظير لها في سوءاً

فعلا صوت قنبر بالبكاء وقال « لقد نفذ السهم يا سعيد انهم فتكوا بامير المؤمنين » فصاح سعيد « ومن ذلك بي »

قال « ان ابن ملجم ضربه ضربة قاتلة قتلة الله »

فصاح سعيد « ويلاه واحضرناه كيف ينهى وقد قطعت البراري والقمار سعيًا في تلك المصاب .. ألم اقل لك ذلك يا قنبر »

قال « انك لم تنصح المثال وقد نفذ السهم وجرح الامام جرحًا لا اظنه ينفع منه ولو اصفيت لما لك لجأ امير المؤمنين ولكن وقع القضاة ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى بكى سعيد وبكى الناس وعلا الصياح ولم يهربون ينظرون الى قنبر يتوقعون منه تصريحًا

اما هو فاشتغل بعمل قنبر سعيد بيته وهو يقول « قاتل الله تلك العبور الحالة

انها اغرتني بك وقد نجحت حيلها »

فهم سعيد ان ينص عليهم حدثة على اثر ما رأه من رغبتهم في ذلك وادا بعض الناس يقول « ان الامام قد شعر بالراحة وهو يخاطب ابنيه الحسن والحسين » فنقول الجميع الى غرفه كالسبيل واغتنم بلال تلك الفرصة فدنا من سعيد كأنه يستنهضه عن سبب ذلك التسلل . فنفس عليه الخبر باختصار ووعده باتمام الحديث في فرصة اخرى . وسار مع الجميع الى غرفة الامام فلم يستطع الدخول اليها لالتزام الاقدام . فاضطر من نافذة فرأى علیاً متوسداً فراشة وهو معمصوب الرأي يندబ يغطي المجرى وكان قد غسلوا الدم عن وجوهه ولكن آثاره ما زالت ظاهرة على بعض لحيته فذكر سعيد جده ابا رحاب وما اوصاه به فلم يفalk عن البكاء على الله ما لبث ان سمع علیاً يتكلم فوقه اليه انتباعه فرأى يخاطب ولديه الحسن والحسين وها جائياً عند رأسه ولامارات الكآبة والحزن ظاهرة عليها وها يخليدان تجلد الرجال وقد اصاخا يسمعها وحولاً اعينها الى وجه والدها المجرى والناس سكت وكمهم آذان يسمعون ما يعلوه الامام من الآيات البيانات وفي آخر خطبة النها . فاذما هو يقول « اوصيكما بتوسي الله ولا تبغيا الدنيا وان يغتكما ولا تكبا على شيء روى عنكما قوله الحق وارحما البنين واعينا الصائم واصنعوا للآخرق وكونا للظالم خصيماء وللمظلوم ناصراً واعملوا بما في كتاب الله ولا تأخذوا كاما في الله لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحنفية فقال « هل حنفط ما اوصيتك به اخويك »

قال « نعم »

قال « فاني اوصيك بثلو واصيك بثور اخويك العظيم حنفها عليك وترى امرها ولا تنفع امراً دونها » ثم قال « اوصيكما بـه فانه شفيفكما وان ايكما وقد علمنا ان اباكم كان مجنة » وقال للحسن « اوصيك اي بي يتوسي الله واقامة الصلاة لوثتها وابقاء الزكاة عند عملها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بعابور واصيك بغير الذنب وكفاف الغواص وصلة الحرم والحل عن الجماهل والتنته في الدين والثبت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المكر واجتناب التواخش » ^(١)

الفصل السابع والستون

موت الامام ومقتل ابن ملجم

وما امْرَ وصيَّةِ حَقِّ تَعْبُ منَ الْكَلَامِ وَمَا عَهْدَنَاهُ يَتَعَبُ منَ امْتَالِهِ فِي الْوَعْظِ
وَالْخَطْبِ سَاعَاتٍ مُتَوَالَةً . ثُمَّ أَمْرَ بِذَلِكَ الْوَصِيَّةِ فَكَبَّتْ وَدَفَعَتْ إِلَى الْحَسْنِ وَلَمْ يَطْعَنْ
الْإِمَامَ بَعْدَ ذَلِكَ أَلَا يَتَوَلَّ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » حَتَّى ماتَ^(١) فَعَلَى الْفَجْحَجَ وَزَادَ
الْعَوْبَلُ وَالْكَبَامُ ، ثُمَّ غَسَّلَ الْحَسْنَ وَالْمُسْبِّنَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ وَكَنْدَنَ بِثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ وَدُفِنَ
وَلَمَّا سَعِدَ فَلَمَا تَحْتَلَقَ وَقْوَعُ الْمَصَابِ بَوْتَ عَلَى تَذَكِّرِ قَطَامًا وَخَبَهَا وَقَالَ فِي نَسْوَهَا
وَلَشَّ لَمْ يَقْتَلْهُ أَلَا هِيَ وَلَوْلَا هَمْ يَقْتَلُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَفِيهَا هُوَ يَنْتَكِرُ فِي ذَلِكَ وَيَبْكِي جَاءَ فَقِيرٌ فَقِبَضَ عَلَيْهِ وَجْرَهُ فَسَارَ فِي أَثْرِهِ وَهُوَ
لَا يَدْرِي مَا يَرِيدُ مِنْهُ . وَسَارَ بِاللَّالِ فِي أَثْرِهِ حَتَّى دَخَلُوا بَيْنَ أَبْنَى مَلْجَمٍ وَكَانَ مَغَالِلًا
هَذَاكَ . فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ سَعِدَ بِالْكَلَامِ فَقَالَ فَقِيرٌ تَهَلَّ لَنِزِي ما يَقُولُ هَذَا الْفَاقِلُ .
فَلَمَّا رَأَمْ أَبْنَى مَلْجَمَ قَادِمِينَ عَلَيْهِ ظَلَّ جَالِسًا وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِمْ وَلَكِنَّهُ خَاطَبَ فَقِيرَ قَاتِلَالاً
« أَظْنَاكَيْ جَهَتْ تَدْعُونِي إِلَى الْقَتْلِ لَأَنْ صَاحِبَكُمْ ماتَ »

فَقَالَ « إِلَى ذَلِكَ جَهَتْ وَلَكِنِي أَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ هَلْ تَعْرِفُهُ » (وإِشَارَ إِلَى سَعِدٍ)
فَقَالَ « كَلَّا »

وَكَانَ فَقِيرٌ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَخْتَلِقَ بِرَأْهَةِ سَعِدٍ وَقَدْ شَكَ فِي اشْتِراكِهِ مَعَ أَبْنَى مَلْجَمٍ فِي
هَذَا الْمُؤْمِنَةِ . فَقَالَ لَهُ « أَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْأَمْوَيُ شَرِكَةً مَعَكَ فِي الْقَتْلِ »
فَقِيرٌ أَبْنَى مَلْجَمٍ وَقَالَ « أَنَا أَضَعُفُ مِنْ أَنْ يَقْدِمَ عَلَى ذَلِكَ . أَنِي لَا أَعْرِفُهُ »

(١) هَذَا مَا رَوَاهُ أَبْنَى الْأَئْمَرِ مِنْ أَمْرِ مَقْتَلِهِ . وَذَكَرَ صَاحِبُ تَارِيخِ الْمُسِّيْسِ أَنَّهُ تَوَفَّى فِي
صِيَّةِ يَوْمِ ١٧ رَمَضَانَ مُثْلِ صِيَّةِ يَدْرِ . وَقِيلَ لِيَةَ الْجَمِيعَةِ الْلَّلَّاثَ عَشَرَ لِيَةَ لِيَةَ مِنْهُ سَنَةِ أَرْبَعِينَ (مِنْ
أَبْنَى عَبْدِ الرَّبِّ) وَفِي الصَّفَرَةِ قَالَ الْمَالِكُ بِالْسَّبِيرِ ضَرِبَهُ سَعِدُ الْرَّجُنُ بِالْكَوْفَةِ يَوْمَ
الْجَمِيعَةِ الْلَّلَّاثَ عَشَرَ يَقْبَيْتُ مِنْ رَمَضَانَ وَقِيلَ لِيَةَ الْأَحَدِ وَمُشَرِّبُ مِنْهُ سَنَةِ أَرْبَعِينَ فِيَّ
وَالْبَسْتِ وَمَاتَ لِيَةَ الْأَحَدِ وَقِيلَ يَوْمَ الْأَحَدِ وَفَسَلَةُ أَبْنَاءِ وَمَدَّهُ بْنَ جَعْفَرَ فَعُصِلَ عَلَيْهِ الْحَسْنُ وَدُفِنَ
فِي الْمَسْجِدِ . وَقَالُوا غَيْرُ ذَلِكَ مَا لِيَسْ هَذَا مَكَانُ تَحْقِيقِي وَذَكْرِي وَأَنَّهُ دُفِنَ فِي مَسْجِدِ الْكَوْفَةِ وَقِيلَ حُلَّ
أَلِ الْمَدِينَةِ وَدُفِنَ هَذِهِ قَاطِنَةً وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ (مِنْ تَارِيخِ الْمُسِّيْسِ)

فقال بلال « ولكنك ألا تعرف قطاماً بنت شحنة؟ »
 قال « اعرفها وهي خطيبتي ودم ابن أبي طالب مهرها »
 فلم يخالك فتير عن ان صالح فيو « احسأ يا ليه انك متلق حشتك فربما قم الى
 الموت »

فوقف ل ساعته ومشي وهو لا يكترب بما يهدده من الاجل العاجل
 اما سعيد فلما سمع قوله ان قطاماً خطيبته خنق قلبها غيظاً من تلك المرأة وقال
 في نفسه اني والله سآخذ بالثار منها يدي

وكان الحسن هو الذي امر باحضار ابن ملجم ليقتلها عملاً بوصية ابو فلان حضر
 بين يديه نظر الى ما حوله فرأى الناس ينظرون اليه باعiens ثم هب حننا وكل يود
 ان يقتله بين فلم يعبأ ابن ملجم بما يراه . ولم يصر حتى يخاطبه احد منهم فنظر الى الحسن
 وقال « هل لك في خصلة اني والله قد اعطيت الله عهداً ان لا اعاده عهداً الا
 وفبت بواني عاهدت الله عهداً للخطيم ان اقتل علياً ومواهية او اموت دونها فان
 شئت خليت بيقي وبينة . فلنك عهد الله علیٰ ان لم اقتله ثم بقيت ان آتيك حتى اضع
 يدي في يدك »

فقال له الحسن « لا والله حتى تعاين النار (١) »

وكان الناس قد جاؤوا بالنقط والبواري والنار وقالوا « نحرقة »

فقال عبدالله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد بن الحنفية دعونا نذهب أفسنا
 منه . فقطع عبدالله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكل ثم كحل عينيه بسار محبوي
 فلم يجزع وجعل يقول « انك لتكل عيني عملك بمكحول عيص » . وجعل يقرأ
 « اقرأ باسم ربك الذي خلقك » حتى اتى على آخر السورة وان عينيه لم يسلان على
 خديبه ثم أمر به فعولج على لسانه لينتعلمه فجزع فقيل له « قطعنا يديك ورجليك
 وعلينا عيذك باعدك الله فلم يجزع فلما صرنا الى لسانك جرعت » . قال « ما ذاك
 من جزع الا اني اكون ان اكون في الدنيا فوافلا اذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم جعلوه
 في قوصرة فأحرقوه بالنار (٢)

(١) ابن الاتير ج ٣ (٢) تاريخ المذبح ج ٢

الفصل الثامن والستون

﴿ سُرُّ جَدِيدٍ ﴾

ولما اشتمَّ سعيد رائحة الفثار المتصاعد عن بقایا ابن هيثم اشتغل غليلة ولكنه ما زال قوله « ان قطاماً خطيبتي وان قدل علي مهر لها » بـ« بن » في اذنه وازداد تعجبًا من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون في النساء واحدة في مثل ذلك الدهاء . وتذكر ما امرَ له بها من الوعود وما ارتكبته في سبيل الانتقام لوالدتها واخيها من الجرائم وكيف قدل بسيئها من الرجال وعبد الله ابن عمرو في جهانهم . فلما نصور بذلك كاد يتفقد غرفةً وظل يرهق وهو غارق في مثل هذه المفاجئ لا يتبأله لما دار حوله من الاحاديث ولا فقه لا شغف الناس في مبادئ الحسن . ولم يتبأله حتى ناداه بلال فلباه فقال « الالخرج بما يا مولاي من هذا المكان ان لي كلاماً اقوله لك »

قال « هياً بنا » وتحولا ولم يتبأله لما اخذ لاشغال الناس بالمبادرة وعادوا تيًّا الى ساحة الكوفة حيث تركوا الجمبلين وساروا من هناك الى منزل سعيد وكانت في اثناء الطريق يتلقون باهل الكوفة مسرعين زرافات ووحداناً الى منزل الامام علي على الزرما معهه من ممتلكاته وهو لا يكلمان احداً وكان سعيد لم يدخل منزله منذ ذهب الى الفسطاط فلم يجد فيه احداً لان الخدم ساروا في جملة من سار الى منزل الامام . وكان التعب قد اخذ منه مأخذًا عظيمًا اطهول ما قاساه من السهر والفارق بعد سنتين الطويل . فدخل الدار من باب خصوصي كان منفتحةً معة وترك بلا لالي بيت الجمبلين . ويدل ثباته وهو غارق في بحوار المفاجئ يذكر في ما رآه من الاموال وما يتوقعه بعد موته الامام علي من اختلاف الاحوال ولما فرغ من تبديل ثيابه توسد وسادة يائس الاستراحة وهو يذكر في ما يتوقعه ساعده من بلال ولكن التعب تغلب عليه وغلب عليه النعاس فنام . ودخل بلال على فرأة نائماً فتوسد مقعدًا في غرفة اخرى وجعل يستعد لكتاشنة سعيد بما يجهول في خاطره من الشؤون حتى نام

الفصل التاسع والستون

﴿ خولة وابن ملجم ﴾

وَظَلَّاً نَاهِيْنَ إِلَى الْفُرُوبِ فَأَنَّاقَ سَعِيدَ مِنْ صَوْتِ الْخَدْمِ وَمِنْ يَقْوُنِ الْبَابِ بَعْدِ عُودِهِمْ إِلَى الْبَيْتِ وَقَدْ بَغْنَاهُ لَمَا رَأَى سِدْمَهُ هُنَاكَ عَلَى غَيْرِ اِتْهَارِ أَمَّا هُوَ فَعَذْرَمْ لِغَيَّبِهِمْ وَدَعَا بِلَالًا فَوَقَفَ بَيْنَ يَدِيهِ فَدَعَاهُمْ لِلْجَلْوسِ فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي إِغْلَاقِ الْبَابِ وَالْإِخْلَاءِ فَأَمَّا مِنْ بَعْضِ الْخَدْمِ فَأَخَاهُ لَهُ مَصْبَاحًا وَضَعْمَةً عَلَى مَسْرَحِهِ وَغَرَّجَ فَاغْلَقَ بَلَالَ بَابَ الْفَرْفَةِ وَجَلَسَ إِلَيْهِ سَعِيدٌ وَالْإِهْقَامُ بَادَ عَلَى وَجْهِهِ قَالَ سَعِيدٌ « تَكَلِّمْ يَا بَلَالَ مَا بِدَالِكَ »

قَالَ « يَا بَلَالَ لِي مِيْدِيْ إِنْ إِسَالَةً أَوْلَى مَا الَّذِي دَعَا إِلَى فَشْلِ مَهْمَنْوِ » فَهَنَدْ سَعِيدٌ وَقَالَ « إِنَّ السَّبَبَ قَدِيمٌ يَا بَلَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَقْفَمَهُ عَلَيْكَ لَوْمَ إِيْ أَنْسِ مَنْكَ مَا آتَيْتَهُ مِنْ [الْفَرْوَةِ وَالشَّهَامَةِ] »

قَالَ بَلَالٌ « وَلَمْ يَكُنْ مِنْ شَأْنِي إِنْ إِسَالَكَ عَنْهُ لَوْمَ أَكْنَطَهُ مِنْ خَلَالِ الْوَفَائِعِ مَا يَشْفُعُ عَنْ حَذِيقَةِ السَّرِّ وَلَعَلِيْ إِذَا أَطْلَعْتَهُ عَلَى حَقِيقَةِ الْحَالِ إِنْ أَتَيْتَهُ بِغَيْرِ جَدِيدِ » قَالَ « لَا أَخْفِي عَنْكَ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّ السَّبَبَ فِي فَشْلِيْ إِمْرَأَةً أَخْلَقَهُ سَعِيدٌ إِسْهَافِهِ فِي هَذِهِ الصَّبَاحِ مِنْ فِيمَ أَبْنَ مَلْجَمِ »

قَالَ « أَظْهِرْهَا قَطْلَامَ بَيْتَ شَحْنَةِ »

قَالَ « فَبِهَا أَنْ دَاهِيَةً مَعْنَيَّةً . فَإِنَّهَا كَانَتْ سَبِيلًا فِي قَتْلِ أَبْنِ عَيْ وَقَتْلِ الْأَمَامِ وَابْنِ مَلْجَمِ . وَلَا يَجْعَلْنِي عَلَيْكَ أَنْ قَتْلَ الْأَمَامِ لَا يَقْتَصِرُ شَرُهُ عَلَى مُهْرَبِ قَتْلِ النَّفْسِ وَلَكِنَّا نَخَافُ مِنْهُ النَّفْثَةِ . وَلَا رَبِّ إِنَّهَا أَرَادَتْ إِيْهَا أَنْ تَتَلَقَّنِي بِوَسِيلَةِ دِبْرَهَا » وَقَصَّ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ مَعْ قَطْلَامَ مُخْتَصِّرًا مِنْ أَوْلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَى ثَلَاثَ السَّاعَاتِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ عَضَ بَلَالَ عَلَى أَنَامِلِهِ وَحَرَقَ ثُمَّ تَهَدَّ وَسَكَتْ

فَقَالَ سَعِيدٌ « مَا يَخْطُرُ لَكَ يَا بَلَالَ وَمَا الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى التَّهَدِ »

قَالَ « يَدْعُونِي إِلَيْهِ نَدْمِي عَلَى مَا فَاتَنِي مِنْ النَّفْثَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَرْأَةِ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ لَأَنِّي رَأَيْتَهَا فِي قَبْهَا بِالْمَجْدِ وَقَدْ مَرَّتْهَا أَبْنَ مَلْجَمْ وَرَفِيقَهَا فَكَلَمَاهَا قَبْلَ اِقْدَامِهَا عَلَى هَذِهِ

النعتة الشعاء ولكنني كت اظن علياً والمني عليه قد علم بذلك بما ينويه ابن مطهم
فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . . . وقد رأيت بنت شمعة خارجة من
المسجد بعد ان تختفت نيل بغيرها بقتل الامام فيها لينقي قبضت عليها . . . ولكن
ما قدر فقد كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك الله . على اني اذا عدت
فاني منتقم لك وللإسلام من هذه الناجرة . ومن غريب الاتفاق ان ابن مطهم هنا
كان قد خطب سيدني خولة من والدها ولكنها لم تكون تحبه ولا ترضي بو «
ولم يكن بلال عارقاً باطلاع سعيد على ذلك الخبر من خولة فلم يتأ سعيد ان
يعرف له به فتجاهل وظل صامتاً ليسمع بقية الحديث
فقال بلال « ولا شك ان سيدني خولة اذا سمعت بقتل هذا الفادر فرحت
لخلصها من شرako »

فقال سعيد « وما الذي كان يحملها على التبول به ألم يكن لها ان ترفضه »
قال « كلاماً يا مولاي لان سيدني والدها هو الذي اطعنه بها ووعده بزفافها اليه
اما هي فقد تختفت من قرائين مختلفتين ايهما كانت مصممة على رفضه ولوهما كلها ذلك
من العنااء »

الفصل السابعون

* قلب خولة *

فندى كسربيد حديث خولة وتخللت له صورها كالملاك وذكر ما آنسه فيها من
الحبوبة والاغنة والشهامة وما شعر بهنخوها من الميل يوم لنها في النسطاط . . وهو لا
يزال مخدوعاً بوعيد قطام ومشغولاً بأمر الامام علي فلم يترك لنفيه يومئذ جمال اللعب فذا
مع ذكرها الا ان تجددت ذكرها في ذهنو قال لساع اخبارها فظل على تجاهلو فقال
« اوهل انت مخفق ايهما كانت مصممة على رفضه ولو اغضبت والدها »
قال « نعم اني واشقها انفول وقد لاحتت شيئاً آخر . . . » وسكت وهو يبتسم
قال « وما هي »
قال « ألم تلحظه انت »

قال «كلاً وما هو . قل »

قال « لحظت انك وقعت من ننسها موقعًا عظيمًا . ولحظت أيضًا انك لم تجهل ذلك

قال « كيف عرفت اني لم اكن اجهله »

قال « عرفته ما رأيت من خروجها اليك غير من بالليل الفارس لجانتك وهي تسقيه الي ولا تنفيه للاحظني . ولكنك كنت متنغلاً يومئذ باهتك على اتفاذه الامام علي من عمالب الموت »

فجع سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سره ونذر انه شعر بشيء منه يوم كان في النسطاط وان الشغالة بهنحو على الامام وخوفه عليه مع تعليمه بقطام وعيودها حال بيته وبين تكون علانى المودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساعده

احب ان يستطلع جلية الخبر فقال له « الفصح عا في نفسك اني لم افهم مرادك »

فقال بلال « ان مرادي واضح ما ذكرته لك وانول بالاختصار ان سيدتي اسررت اليه يوم امرتني ان اسير في ركابك انتا اذا ائمننا مهنتنا بكشف دسيسة ابن ملجم وانفذنا الامام علياً ان اطلعلك على رغبها في عودك الى النسطاط لاها تكون قد نجت من خطبة ابن ملجم وتكون انت قد فرغت من مهمتك ولا ادرى ما تنويع هي في رجوعك ؟ »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له « اما رجوعي الى النسطاط فلا يخلو من الخطير على لاني انا جئت منها فراراً من القتل . فاذا عدت انا اعرض نفسى لما هو شر من القتل وان العاص لا يعنيني على اني اكون ان ارى النسطاط بعد ان فندت فيها ابن عي رحمة الله » وسكت هنديه وتهدى ثم قال « هل انت واثق ببابا اليه فاني والحق يقال قد آتست في خولة من الحربة وعزز النفس مع الاستهلاك في نصر الامام ما جعل لها في نفسى مقام رفيعاً . ولا اكتبك ما خالج ضميري يومئذ من الميل اليها ولكنني كنت عالق الثلب بقطام اخراها الله اتها خدعني »

قطع بلال الكلام عليه قائلاً « لا تذكر هذه المخانقة يا مولاي اني والله اكون ان اسع ذكرها لاني اشعر بقصوري وجهل الذين سببا بخاتها وهي والحق يقال اصل هذا الشر العظيم . . . ولكنها انتقمت لوالدها واخيها فارتكت اعظم اثم حدث في الاسلام فقتلت ابن عم الرسول (صلم) ولكنني سوف اذيفها حتىها واستنك دمها

ولو كلفني ذلك بذل النفس « قال ذلك وهو يهرق اسنانه حنناً واسناً فقال سعيد « وما ظنك بها الان . هل هي باقية في الكوفة؟ » قال « لا اظنهما تبقى هنا بعد ما ارتكبته وقد فضح امرها وعلم الخاص والعام انها شريكه في القتل » قال « وإلى ابن نظمها خرجت »

قال « لا ادرى وسأبحث عن ذلك في صباح الغد اما الان فلنعد الى ما كنا فيه فانك اذا لم ترجع معي الى النسطاط احسبني منصراً بالواجب على» . ودخوله يامولاي ينذر مثلكما بين البنات جمالاً وتعللاً وافقة ولو لا والدها وتنبيع معاوي باللات ها لم يأتوا اعظم الرجال . ولكنك كبر الشيع لابن اي سفيران كما قد علمت وهو وسيدقتي خولة يحباني ساذجًا لا افهم الامر ولذلك فكثيراً ما كانا يختلفان امامي وبخسان على امور استدل منها على ذلك »

الفصل الحادي والسبعون

❀ حب جديد ❀

فاحسن سعيد بجدد عياظه نحو خولة ونافت نسمة الى الحصول عليها ولكن استقل الزهاب الى النسطاط خافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم تذكر بعنة ان المؤامرين كانوا قد افروا على قتلها وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم فقال « ألم اخبرك ان اثنين آخرين تآمرا على قتل ابن العاص ومعاوية ايضاً »

قال « على اخبارتني ولكنني لا اخاف على ابن العاص الوقوع في تلك الدرارك » قال « وما الذي يغيب عنها وهو لا يدرى بما نوعه له فإذا كان المؤامر على قتلها قد قتله هان على الدخول الى النسطاط ويكون ذلك اهون اذا قتل ايضاً معاوية في الشام »

قال بلاط « ان الجھت عن ذلك بمناج الى وقت ولا بد لنا من التريص ربنا نسيخ الاخبار او أن نسير للجھت عنه بانفسنا »

قال سعيد « لا صبر لي على التريص ولا اظنك تصبر عليه . فاري ان نسير انت

على سجل الى النسطاط تستطلع جلية الواقع وتعمد بالخبرين . و اذا جعلت طر ينك
ب الشام جئت بالخبرين معماً

قال « ذلك اليك يا سيدى . و انت ماذا تعلم ؟ »

قال « اني اود البقا . هنا للبحث عن تلك المخاتة قطام اعلى اتوقف للانتقام منها
و اذا لم اتوقف الى ذلك عشت منفص العيش طول عمري . آه كف يهنا لي عيش
وهذه المرأة حية وقد فعلت ما فعلته معي . . . فقلت ابن عبي و امير المؤمنين
وكادت تقتلي ! »

قال « بالله دع امرا الانتقام الىي فاني اريد ان اشفي غليلي منها ومن عبدها النديم
ربحان لا اراحة الله . . . ولكنني ارى سفري الى النسطاط ادعى الى العجلة . . .
فما العمل »

فأعجب سعيد بمحاسة بلال و زاد ميلاً الى والي سيدى ولم يلمث برهة يذكر في
حاله وهو زداد شعوراً بالانقطاع الى خولة وبردد في ذاكره ما آتاه فيها من
الخلال الحسين و الغيرة نحوه وكيف كان النقاوه بها سيباً في خ姣و من التخل ليلة ذلك
الاجتاع . فضلاً عنها رأه فيها من الغيرة على امير المؤمنين . ولكن لم يكدر يتغلل يذكره
إلى عاقبة ذلك السعي وحيوط تداييره في انتقامه حتى هبَّ حمه وتمرر في داخله على
انه لم ير حيلة في ما مضى فقال « لقد قضي الامر يا بلال ولم تبق لنا حيلة في ملاقاة
ما مضى فاذهب انت الى النسطاط وعرج في طر ينك الى الشام ثم عد الىي بالخبر
البين عن عمرو و معاوية . واما انا فاني باق هنا ابحث عن قطام و عبوزها و عبدها
و اذا انت عدت من سفرك افتقدني في هذا المنزل و سرى ما يكون »

قال « وخولة ؟ ماذا اقول لها »

قال « قل لها اني لا اقدر اصف شوقي اليها وان ما عددي اضعاف ما عددها
و لها مني عهد الله ان هي رضيت بي ان لا انتقم الى سواها ولا يام بيننا »

قال « اما رضاها فانا الضئيل لك بـ . . . » وسكت بلال وقد ابرقت اسرته
سروراً بما سمعه . ثم افطاب وجهها بفتحه وقال « ولكن هب ان ان العاص ما زال حياً
ووالدهما كما تعلم شديد الشيع له فلا اظنه يا ذن برقافها اليك اخباراً فما الجحولة ؟ »
قال « ذلك راجع الى اختيارها و متي عدت الىي بالخبر تذير الامر في حينه اما

الآن فيبني ان لا نفيع الوقت . امض الى النسطاط على عجل وعذ الى الخبر
الذين وعلى الله الاتكال »

فاخذ بلايل بهم بالرجل وسيد صامت يذكر في ما حدث له من المواجه
المجديدة . واصبح المصول على خولة شغله الشاغل ولكن فشلة في اتخاذ الامام ثار في
خاطره حب الانتقام من قطام . فصمم على الثنك بها اما يدك واما بمساعدة المحسن
بعد تبؤه غرش الخلافة

الفصل الثاني والسبعون

* خولة في الفسطاط *

فلترك سعيداً وبلا آفة حالما ولعد الى خولة في النسطاط . فقد تركهاها عائنة
في ذلك الليل الى مترطا وكان والدها كاما علما قد جبسها في ذلك البيت على طريق
عين شمس . فلما اخرجها سعيد منه كارأيت وسراها الى الدبر ثم خرجت هي وحدها لم
ترخوراً من ان تظاهر بالبكاء والخوف . فهرعت الى منزل والدها باكية وكان هو لا يزال
غافلاً لانشغلوا بمقابلة عمرو بن العاص بشأن الذين قبض عليهم في ذلك الدليل . فلما
فرغ من امرهم وحرّض ابن العاص على اغراقهم سار الى عبس ابعده فرأى الباب
منتهجاً وليس هناك أحد . فاستغرب الامر وعاد تبعاً الى منزله فرأى خولة جالسة
في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال لها « ما بالك يا خولة »

قالت « كيف نركي وحدي في ذلك البيت ألم تخف على ابناء السبيل »

قال « ألم تري اني اقفلت الباب وأوصدت الخوفاً عليك من ذلك »

قالت « كيف تتعل في هذا النعل الملي عاصية امرك » واستدرقت في البكاء
ففركت في عاطنة الاية وظلتها تقول ذلك عن سذاجة فقال لها « وكيف خرجت »
قالت « لما رأيت نسي حيسة هناك خمنت على حياتي فجعلت انا ديك واستغشت
بك ثم سمعت قرقعة وضجيجاً ووقع حوار كثيرة فازدادت خوفي ففتحت واستغررت فقبض
الله لي بعض الناس فتح الباب بالعنف فخرجت وهو رولت الى البيت وانا ارتعدت من

شدة الأضطراب «

فطَيْبَ خاطرها ولا مها على خوفها ولكنها سر لظنو بانطلاقه حيلته عليها . وما زال
يهون عليها حتى ظهرت بالرضا ، فتركها وخرج وهو يطلبها عازمة على الرقاد ثم
سمعت خولة لغط الناس في المدينة فاتجهت ان الجهد لا يليهون ان يغتنوا بيت الغناري
فاذًا رأوا سعيداً هناك قبضوا عليه وخرجت لاقاذه كأنها تقدم . وقبل خروجها او صرت
عبدتها ان يوصد الباب واناساً والدها عنها ان يقول له انهانا نامت واوصدت الباب
وراءها لشدة ما اعتراها من المخوف في ذلك المساء . فبات والدها تلك الليلة وهو
يبحسها نائمة اما هي فيبعد انتادها سعيداً عادت الى غرفتها وهي لاتزال مضطربة فلم
 تستطع رقاداً وجعلت تذكر في طريقة تندى بها عبد الله ولم تكث قليلاً حتى سمعت لغطاً
في دار والدها وفهمت من خلال اللقط ان عمرًا عول على اغراف اسراء تلك الليلة
في النيل وسمعت والدها يفتح سروراً بذلك الاقرار . فاستفت اسناداً شديداً ولبسها
برهه تذكر في ماذا تعلم حتى حدثها نفسها الشدة التأثر ان تخرج في اثر الخارجين لعلها
تستطيع اقناذ عبد الله . فاستفالت والدها وكان قد ذهب الى فرائص وخرجت
واوصدت الباب وراءها كالمرة الاولى وبلال نائم امام عبيده وسارت تلمس ضفة
النيل حيث ظلت ائمهم ساقوم وهي عزلا ، لاسلاح معها ولكنها اهنا اندفعت الى الخروج
بمحبها . فالتقت هناك سعيد ودار ما دار بينها وبينه ووعدها بارسال عبدها لمحبها
الى الكوفة كما تقدم . ثم عادت وحدها

فلم اشرفت على المترail رأته هادئاً واهله نائم فانسللت الى الدار فرأته عبدها
بلاساً نائماً فايقظته فهب من رقاده متذمراً وكانت تعلم باسمهلاً كوفي مرضاهما فدعنه
إلى غرفتها فشيئها فلما خلت يو قال « اتدري لماذا دعوتنيك »

قال « كلّا يا مولاني ولكنني رهين اشارتك »

قالت « انطعني يا بلال »

قال « كيف لا وإنما عبدك ورهين اشارتك »

قالت « اعلم ذلك ولكنني اريد ان اعهد اليك امرًا خعايرًا هل انت مستعد
للقيام به حتى الموت »

قال « ان الموت هون في سبيل رمضانك . قولي يا سيدتي مري بما تدأبين فقد

قضيت عمرى في خدمتك وإنما أتوقع مهنة ترضيك ولو إلى القتل »

قالت « ألمحست ماحدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالمبتعين هناك

قال « نعم وقد ارتكب أمورنا فيها أمراً عظيماً وقدل كبيراً »

قال « أما سرّك ما فعله ابن العاص باولئك العلوين »

قال « إذا كان ذلك سرّك فإنه يسرني »

قالت « وما ظنك بي »

قال « لا أظنك راضية عن ذلك لعلى أنك على غير دعوة الامويين وإن يكن

سيدي والذك مسهلاً في سبيل التشيع لم »

قالت « وكيف عرفت ذلك »

قال « أنت شخصيتي سادجاً وقد قضيت في خدمتك أعواماً طولاً واطلعت على
مكونات قلبك وانت لاتعلمين . وأما الآن وقد دفعتي إلى التصرّف فاقول لك إنني
اعلم غرضك ولم ينفع شيء مما تقاسبي في سبيل الدفاع عن الإمام علي . . . وخصوصاً في
الإمس وانت لا تعلمين إلاّ في اخرس هذا الباب الموصد وأكمم خروجك منها عن
والذك »

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت بها سمعة منه وقالت « وما مرادك بما حذث
بالإمس »

قال « إنطليين أني غافل عما قاسيته في سبيل اغتصاب ذلك الشاب الغريب الليلة
وقد كان في جملة من حيف عليهم الوقوع في شراك ابن العاص فانقذته بغيرتك »
فخفقت آلة كان برقب حركاتها وسكنها . فنهض قليلاً سروراً فقالت « أما
والحال على ما أرى فاخبرك أن ذلك الشاب مسافر الآن إلى الكوفة وأريدك ان
تذهب إليه بالجميلين إلى سفح المقطم فإذا ثقيت به هناك سر في ركب إلى الكوفة
واحدة أن يدرى بك أحد أو أن تذكر ذلك لأحد »

ولم تهن كلامها حتى تحقق مسرها بهم باعداد الجميلين فاسترجعته وقالت « قف
يا بلال بورك فيك وأسمع كلمة أخرى أقوطا لك »

فعاد وقال « ليك يا مولاي قولي ما شائين »

قالت « أنت ذاهب مع هذا الشاب إلى الكوفة لاغتصاب الإمام علي من القتل وستعلم

تفاصيل ذلك منه . وأما الآن فيكتفي أن أوصيك بـ خيراً فإذا أنها فرغنا من تلك المهمة أرجع بـ الينا فاني اكره ابن ملجم الذي يريد والدي أن يجعله خطيباً ... هل فهمت ؟ »

فُضْحَكَ بِلَالٍ وَهُرَيْرَةً وَلِسَانَ حَالِهِ يَنْتَوِلُ « فَهُمْ »

فقالت سر بعراة الله وكانت اودان از يدك بیاناً ولكن الوقت ضيق فاذهب

وَعْدَ سَلَّمًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَاحْذِرُ أَنْ تَبْوَحْ لِأَحَدٍ هَا سَمْعَهُ أَوْ رَأْيَهُ

فخرج وهو يلتفت إليها كأنه عاند على ما ظهر من ضعف ثقها بما ينادي ولكنه

كان يرسم فرحاً بما كلنته بـ «فاعة» الجماهير وخرج الى سفح المنظم وصحاب سعيد

کا شد

الفصل الثالث والسبعين

نحوذ الخليلة

اما هي فلما خرج بلال عادت الى غرفتها وأوصدت الباب وراءها واستقلت في فراشها وقد تعبت ما قاسته في ذلك اليوم من المفاقد وكان يجب ان تمام لوم يشغل خاطرها ما شغلة من الامور امامه . ويخلال ذلك شعور داخلي جديد لولادة الحشمة واهتمامها بانفاذ الامام اصرحت بو . الا وهو انعطافها الى مسعود لما آتست فيو من الرغبة في اتخاذ الامام علي واستهلاكه في سيل ذلك مع ما في قلبه من التنور الشديد من اين طبع حتى كرهت والدها من اجله واجل تشيعه للاميين

وقضت بقية تلك الليلة لم يغمض لها جفن وهي تارة تذكر في سعيد وقلها يخفق
الانعطافاً له وخوفاً من فشل مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم لسفره إلى الكوفة فرأيت
أنه اذا اسرع لا ينونه الوصول إليها قبل الاجل المحي للقتل . وكان يعرض تسلسل
أفكارها خوف مارها يطراً عليه في الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقاً من
قتل الامام . وفي قلبه غربان كثيران الاولى موته والثانية عود ابن ملجم إليها .
ولكذا كانت تتعزى بان ابن ملجم اذا ظفر بقتل الامام لا ينبوه ومن التسلل . ثم

تحول ذهابها الى والدها وخروج عبدها بالجبلين واعدت اعذاراً تتخالها في سبب خروجو فلم تجد خيراً من ان تدعى فراره الى حيث لا تعلم وكان والدها قد افاق في اثناء الليل وفي غابة نجاء غرفة ابتو ليرى حاملها فرأى الباب موصداً فسأل العبد عن ذلك « فقال ان سيدتي بانت مبغونة وقد تولها الخوف على غير المعناد في تلك الليلة فاوصدت الباب واوصياني ان انا هارجاً » فقال والدها في نفسه « مسكنة خولة يظهر ان رعيها من ذلك الحبس لا يزال مؤثراً عليها » وعاد الى فراشه وهو متمنع بصدق ما قاله العبد

وفي الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصداً ولكن بلا لامامة ففرغة فهمست خولة وفتحته وهي تظاهر بالذبول لافول استغرافها في النوم . فامسكتها والدها يدها ووضع يده على كتفها وهو يقول « العلك لا تزالين خائفة يا بنتي » قالت « كلاً يا سيدتي التي تحت جناحك في امن وطأنيه »

قال « بورك فيك نمالي تتناول الطعام » ثم نادى بلا لاماة فلم يجيء احد فقال « ابن بلا لام »

قالت « لا أدرى لعله خرج الى السوق في غرض »

فصربرهيبة فلم يحضر فارسل بعض الخدم في اثره فلم يائف له على خير . ثم علم بضياع الجبلين ولما انشق معظم النهار ولم يعد بلا لام ولا الجبلان اشكلا عليه امن فقالت خولة « يظهر انه اخذ الجبلين وفر » فبعث الناس في اثره الى ضواحي المدينة فلم يبنية احد يخبره فصدق فراره



الفصل الرابع والسبعون

* خولة والدها *

أما خولة فلما تحقق انطلاق المحلة على والدها عادت إلى مواجهها وذكرت المهمة التي سار فيها سعيد وأخذت تذكر في أمر وهي خائفة أن يتأخر في الطريق عن الوقت المحدد لقتل الإمام فيذهب سعيها هباءً منثوراً، ولكنها كانت مع ذلك مطيبة الخاطر بتجاهها من ابن مليم لعلها الله وإن فاز بقتل الإمام على فلا ينجو من سوف أشياءٍ، وهم كثار في الكوفة

على إنها باشرت منشغلاً الخاطر على سعيد بعد أن فرغت من تدبير الحيل في إرساله لانهما لم تتحقق وفوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وودت لو يسرع عيدهما بلال بالرجوع لترى ما تم، ولكنها حسنت الأيام الباقية ربها يرجع فرأت الأجل لا يزال بعيداً فصبرت نفسها ولبست تنتظر ما يأتي بو الفدر

وبعد مضي أيام من ذلك جاء والدها ذات مساء بعد عودته من حانونه وعلى وجهه امارات البشر فنومت في طلعنو خيراً جديداً فكانت إلى استطلاع ما في خاطره لعلها تعلم منه شيئاً عنها، فلما جلسوا إلى المائدة احتجلت في اجتناب حديثه ذكرت له ما مر في تلك الأثناء من النيس على أولئك العلوين وتنفست في استرضاؤه فاقسمت اللقمة ملء فيه وكأنه يريد أن يقص عليها قصة بعد أن يزدرد تلك اللقمة، فكفت هي عن الطعام ولم تعد تستطيع صبراً على سماع الحديث

فلما أبلغت اللقمة تخرج ومع شاربيه ولحيته والنفت إليها وقال وهو لا يزال يبتسم «لقد عودني يا خولة إن أحذر الكلام بين يديك في ما أخشى أفساده» فتضليلت بالاستغراب وقالت «أني لا أتعجب يا ابناه من سوء ظنك فيي مع عملك أني فتاة محبوبة في هذا البيت لا أعرف من أهل الدنيا أحداً موالك فكيف تقول إنك تحذر أن تذكر بين يدي ما تخاف أفساده»، أي سرّ سمعت به ألي قاتلته؟ «قالت ذلك وكانت تجهش بالبكاء فثار والدها من منظرها ولكنه عاد فابسم وقال لها «لم أقل إنك تزوجين

بالسر ولكتني » وسكت
 فقالت « ولكن ماذا يا اباها انك والله ظالمي بظلونك ويسوّني ان لا يكون لي
 نصيبي من اللقى حتى ولا من والدي الذي لا اعرف احداً سواه »
 قال « لا اخفي عنك يا ولدي اني كتبت ولا ازال اعتقد انك ميالة الى الاعداء
 و..... »

فابتدئته وهي تنظرها بالبغنة والاستغراب وقالت « واي اعداء نسي اعود
 بالله من هنـم كيف تقول ذلك » ونفت عن المائدة ونظرت بالاعراض
 فقال « اعترف لك اني اراك ميالة الى حزب العلوين وانت تعلمون ان علياً
 حاربنا وقتل منا جماعة كبيرة في المهرجان وغيرها ولا الومك لانعطافك نحوه
 لانـي كـتـتـ اـنـاـ ايـضاـ مـثـلـكـ وـقـدـ كـتـتـ فـيـ جـمـلةـ المـشـيعـينـ لـهـ وـلـكـنـيـ اـصـبـحـتـ بـعـدـ وـاقـعـةـ
 صـدـيقـنـ نـاقـلاـ عـلـيـهـ لـماـ اـرـتكـبـةـ فـيـ مـسـأـلـةـ الـحـكـيـمـ بـحـثـ اـخـرـجـ الـخـالـفـةـ مـنـ يـهـ وـجـعـلـ
 لـعـاوـيـةـ يـدـأـ دـوـنـهـ »

الفصل الخامس والسبعون

خبر جديد

فادركت انها اذا افرت بمحضتها ميلها ثقت نفسها في هبةكة فلم تر خيراً من
 المبالغة في الانكار فقالت « وما ادراك اني ما زلت على القدم اذا كتبت قد عدلت عنه
 ومن اكون انا حتى اخالنك في مثل ذلك »

قال لوم تكوني كذلك لما كان ثبت داع لغيرك عن التبoul با ابن طليم زوجاً
 وانت تعلمون ان هذا الرجل قد عاد نسو على القيد بعمل لم يقدم عليه احد غير من
 المسلمين في هذا المصر . انه كما تعلمون قد تعهد بقتل علي »

فاجفلت عند سماعها بذلك التعریض وحدتها نفسها ان تبوح بمحضتها ميلها ولكتها
 خافت ضماع الفرصة وهي انا افتحت الحديث ل تستطلع مافي نفس والدها فانكرت
 تهمتها كل الانكار وقالت « ان ما تسميه اليه من امر ابن طليم ظالم يا مولاي فاني لم

ارفض هذا الرجل وهو لا يزال خطيباً متقدماً من رحلته هذه . وكيف نقول ألم
اقبل به وإن لم أنه بكلمة في هذا الموضوع «
فغضبك والدها وهو يشاغل بتعليق فخذ من الصأن بين يديه وقال وهو ينظر
إلى تلك الفخذ « نعم إنك لم تتوه بكلمة ولكنني فهمت من محفل حالك إنك غير
راضية به » وكان قد أتم تعلق اللحم فندم لها قطعة ثابتة ان شناوتها وأعرضت
دلاً وحققاً

فنال لها « خذني كلي يا خولة ولا يسووك قولي إذا كان صحيحاً »

« قالت وهو أنها ساء في لاني أراني به مظلومة وأظنك بناء على هذه الظنون قد
عانتي معاملة العدو فحسبني في ذلك البيت المظلم سامحك الله »

قال لهذا أذكرني حدث تلك الليلة وما كان فيها من الأحوال وهو الامر الذي
جئت لاقص خبره عليك ولكنني لا أنول كلة قبل أن تصدقني الخبر هل أنت على
ولا ، والدك تأثيرين بأمر ، أم ماذا »

فظاهرت بالغضب وقالت « أفي لا أراك بهذه الظنون إلا تزيد أن تعذبي
على الشكوك وتلنجني إلى الأغراق وإنما لا علم لي بما وراء هذا البيت ولا أبني من هذه
الحياة غير مرضاك »
فندم يده وهو لا يزال قابضاً على قطعة اللحم وقال لها « خذني إذا هذه اللقمة
واصفي لما أفاله لك »

فتناولت خولة اللقمة من يده وقالت « تفضل » ووضعت اللقمة في فمها وهي
لا تعرف كيف تضغها لأنها خاطرها بما ترجو سماعه من والدها فإذا هو يتغول
« أطلي يا خولة ولا أزيدك علماً أن أميرنا حنظلة الله عالم منذ أيام باثنين إليها من الكوفة
لخاتمة بعض كبار العلوبيين الذين كانوا يجتمعون سراً في خرائب عنون شمس فبعث
جيلاً من شرطه فقبض عليهم ولم في مجتمعهم ثبت الأرض إلا نعلمين ذلك ؟ »
قالت « لحظت شيئاً منه بعد حدوثه »

الفصل السادس والسبعون

عبد الله حي

قال «ناعلي انا وجدنا في جملة المتبوض علهم في تلك الليلة واحداً من ذيتك الاثنين اسمه عبدالله . وأما الثاني فاته نجا ولا ندرى من هو والظاهر ان لم يكن في ذلك الاجتماع لانه عن كان طويلاً . أما الاول فاته سبق في جملة من سبق تلك الليلة الى دار الامارة . وربما بذلك ان الامير عمر رأى ان يقتل اولئك المتبوض عليهم وقد كت اانا في جملة من اشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا أحياء . فما من عمرى باغراقهم في البئر وبعد الله معهم وقد عدت اانا من حضر الامير وهم ينهياً ون لارسالهم الى البئر وعلمت في الغد انهم اغرقوهم »

فلم تر خولة بجديده شيئاً لم تكن تعرفه ولكنها علمنت ان الحديث لم يتم فصبرت نفسها واظهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع وهي تبدي الاستغراب اما هو فقال « وما زلت اعتقد انه اغرقهم جميعاً الى البئر وانا في منزل الامير فرأيت في بعض جوانبها غرفة مغلقة كت كلها جذبة في هذه الازاء اراها مغلقة فلم اهتم بشأنها فلما كان عصر هذا اليوم دخلت على الامير وانا عائد من علي فذكرت له امر ابن طليم ومهنته وطلبتنا تحدث في ما عسى ان يكون من امر في الكوفة . فلما وصلنا الى ذلك رأيتها يبتسم وتوسمت في وجهه خبراً فرغبت اليه ان يطلعني على ما حدث وانت تعلمين ما لي من الدالة عليه . ولكنني رأيتها يتتردد في الامر فالمحاجت عليه فقال لي « اعلم من هو المثير في هذه الغرفة »

قلت « لا يامولي لا اعلم وليس من شأنني السؤال عما في منزل الامير » فضحك عمرو حتى رفعت لحيتها وقال « اني حبس فيها رجلاً سينفذ حياته من القتل »

فحجبت لفوله واستغربت ما يشير اليه ولست انتظار الافصاح فقال لي « اعلم يا صاحبي التي حبس في هذه الغرفة عبدالله الاموي الذي كان قدوة سبباً هنالك الملوحين منذ ايام »

فَلَمَا سَمِعْتُ خُولَةً ذَكَرَ عَبْدَاللهِ عَلِيًّا أَنَّ رَفِيقَ سَعِيدَ وَخَانَ قَلْبَهَا فَرَحْبَاجَانَوْ مِنَ النَّفَلِ وَكُلُّكُمَا اسْتَغْرِبَتْ بِسَبَبِ تَالِكِ الْجَاهَةِ عَلَى إِنْهَا طَالَتْ مُجَاهَلَةٌ وَهِيَ شَوْقَ سَاعَ نَفَمَةِ الْمُحَدِّثِ وَوَالدَّهَا يَشَافِلُ عَنِ اتَّنَامِهِ بِالْمُضَغَّ وَالْإِبْلَاعِ وَكَانَ أَكْلًا

فَلَمَا خَلَأَهُ مِنَ الْعَلَامِ عَادَ إِلَى الْمُحَدِّثِ فَقَالَ « فَاسْتَغْرِبَتْ مَا بِنَوْلَةِ وَقَلَتْ مَا الَّذِي عَصَاهُ أَنْ يُجْبِيكَ بِوْ مِنَ الْمَوْتِ » فَأَخْبَرَهُ فَقَاتِلًا « أَنَّ أَنَّ مُلْمَ خَطَبَ خُولَةَ الَّذِي قَاتَلَتْ لِي إِنَّ عَازِمَ عَلَى قَتْلِ عَلَيِّ إِنَّهَا هُوَ مِنْ أَمْرِ رَجُلًا آخَرَ عَلَى قَتْلِي وَلِهَا تَوَاعِدَا عَلَى قَتْلِ عَلَيِّ وَعَرَقَ فِي يَوْمِ وَاحِدٍ ». قَالَ عَرَقٌ — « فَلَمَا قَالَ لِي عَبْدَاللهِ ذَلِكَ اسْتَغْشِيَتْهُ وَلَمْ يَصِدِّقْ قَوْلَهُ لِغَرَابِهِ وَلَمْ يَلْمِي أَنَّ أَنَّ مُلْمَ مِنْ رِجَالِ دُعَوْتَنَا وَخَصْوَصَّهَا بَعْدَ أَنْ خَطَبَ أَبْنَكَ فَقَاتَلَ فِي نَسْيٍ لِوَصْحِ حَدِيثِهِ هَذَا الْأَمْوَيِّ لِمَا خَنِيَ ذَلِكَ الْمُحَدِّثُ عَنْكَ وَإِنْتَ لَوْ عَلَيْهِ مَا كَتَبْتَهُ عَنِي فَلَمْ أَرْ خَيْرًا مِنَ اسْتِبْلَيْهِ وَاحْسَنَهُ فِي مِنْزِلِي رِبَّنَا يَأْتِي الْأَجْلَ الْمُفْرُوبَ لِقَتْلِ هَذِينَ الْأَلَاثِينَ وَهُوَ يَوْمُ ١٧ِ رَمَضَانَ فَإِذَا خَفَقْنَا قَوْلَهُ أَفْرَجْنَا عَنْهُ وَالْأَخْرَى عَنْهُ »

قَالَ إِلَى الدَّخْلَةِ « فَلَمَا سَمِعْتُ قَوْلَ عَرَقَ وَاسْتَغْرِبَهُ كُلَّ الْاسْتَغْرَابِ وَخَفَتْ أَنْ يَكُونَ عَمْرُقَ قَدْ سَاءَ الْفَنَّ فِي فَاقِسْتَ لَهُ إِلَيْهِنَّ الْمَغْلَفَةَ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالَمًا بِغَيْرِ عَزْمِ أَنَّ مُلْمَمَ وَسَأَلَتْ عَرَقًا هُلْ عَرَفَ أَسْمَ الْمُؤَمِّرِ عَلَى قَتْلِهِ ». فَقَالَ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْوَيِّ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفَ الْأَسْمَاءَ وَلَمْ يَأْدِ اعْرَفَ بِأَخْوَلَةِ كَفَ أَوْ كَدَ لَهُ صَدْقَ اخْلَاصِ لَهُ مُخَافَةً أَنْ يَقْنِعَ عَلَى سُوءِ ظَنِّي فِي الْغَلْفَتِ فِي اظْهَارِ الْفَضْبِ مِنَ أَنَّ مُلْمَمَ وَقَلَتْ لَهُ أَنِّي لَوْ عَرَفْتُ خَدَاعَ هَذَا الرَّجُلِ مَا رَضِيَتْ بِهِ صَهْرًا وَإِنَّا مِنْذَ الْآنِ مُحْرَمَةٌ مِنْ خُولَةِ فَلَمَا قَلَتْ لَهُ ذَلِكَ التَّهْتَ إِلَيْهِ وَقَالَ « لَا يَكُونُهُ هَذَا الْوَعْدُ وَإِنَّا عَرَفْتُ خُولَةً وَاعْرَفْ مَقَامَهَا وَطَلَما كَنْتَ أَرِيدَهَا لِأَحَدٍ أَوْ لِأَوْلَادِيِّ وَإِنَّا لَنَّ فَانِي اطْلَبُ إِلَيْكَ إِذَا صَدَقَ هَذَا الْأَمْوَيِّ بِقَوْلِهِ أَنْ تَكُونَ أَبْنَكَ خُولَةً عَرَوْسًا لَهُ لَانَ الرَّجُلَ أَمْوَيُّ وَكَانَ عَلَى دُعَوْتَنَا وَلَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ أَغْرَى عَلَى الشَّيْعَ لِعَلِيٍّ »



الفصل السابع والسبعون

﴿ عریس جدید ﴾

فَلِمَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْمَحْدُوْلَتْ خَوْلَةَ أَنْ عَبْدَ اللَّهِ لَا يَرْزَالْ حَيَاً وَاطَّاْنْ بِالْمَا عَلَيْهِ
وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ خَبْرَ الْمُؤْمِنِ الْثَالِثِ عَلَى قَتْلِ مَعَاوِيَةَ مَخَافَةَ أَنْ يَرْسِلَ عَمْرَى
بِغَيْرِهِ إِلَى الشَّامِ فَيَخْبُرُ مَعَاوِيَةَ مِنْهُ
وَلَكُمْ مَا سَمِعْتُ ذَكْرَ خَطْبَهَا الْأَطْرَقَتْ حَيَاً وَظَاهِرَتْ بِالسَّكُوتِ وَقَلْبَهَا يَمْلِئُ
فَرَحَّاً بِنَجَاهَا مِنْ أَبْنَى مَلْجَمِ . وَلَكُمْ تَذْكُرَتْ حَبْهَا سَعِيدًا وَمَا بَعْدَتِ الْيَوْمَ عَنْ عَبْدِهَا
بِالْأَلْلَالِ فَاحْتَارَتْ فِي أَمْرِهَا . عَلَى أَهْبَاهَا لَمْ يَسْعَهَا إِلَّا كَفَافَ كُلِّ ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ
بِالْأَسْتَغْرِفَابِ فَقَاتَلَتْ وَهِيَ تَهْزِيْزَهَا اسْتَغْرِفَابًا) «اصْحَوْ اَنْهُمْ نَاهَرُوا عَلَى قَتْلِ عَمْرَوْ وَإِيْضًا
أَهْبَاهَا أَصْدَفَةَ غَرْبَيَّةَ »

قَالَ « بِالْحَقِيقَةِ أَهْبَاهَا أَصْدَفَةَ يَنْدَرُ مَثَانِهَا وَلَكُمْ مَا قَوْلُكُ بِاقْتِرَاجِ عَرْنَ عَلَيْكَ »
فَسَكَنَتْ وَلَمْ تَجْبَ

فَقَالَ « مَا مَعْنِي سَكُونِكَ وَأَنْتِ تَعْلَمُنِ أَنَّا لَا نَسْتَطِعُ رَدَّ ذَلِكَ الْاقْتِرَاجَ »
قَالَتْ دُعَ ذلكَ الْآَنَ فَانْهَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْمُمْمَلِ وَمَا خَوْلَةَ الْأَجَارِيَةَ حَتَّىْرَ لَا تَسْخَقَ
هَذَا الْأَهْمَامِ وَلَا تَصْبِرَ إِلَى الْأَجْلِ الْمُسِيَّ لَنْرِي مَا يَكُونُ »

فَقَالَ « أَنَا صَابِرُونَ وَلَكُنِي أَرْجُوَنَ يَكُونُ خَطْبَهُكَ الْجَدِيدُ أَهْلًاً لَكَ وَلَيْسَ
مُثْلَ أَبْنَى مَلْجَمِ الْمَخَايَنِ عَلَى أَنِي ادْرَكَتْ مِنْ خَلَالِ حَدِيثِ عَمْرَى أَنْ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ
صَادِقٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَمْوَى رَبِّي فِي مَزْلِ الْخَلِيلِيَّةِ عَثَانَ وَلَكُمْ اغْرُوْ عَلَى التَّشْبِيعِ
أَعْلَى ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ . وَإِذْكُرْ أَنِي رَأَيْتُ لِيَلَهَ قَبْضَهَا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ شَابٌ فِي
مَقْبُلِ الْعَمَرِ وَإِذْنِكَ سَرْتَاحِينِ الْيَوْ »

فَظَلَّتْ خَوْلَةَ سَاكِنَةَ فَحْسَبَ وَالْدَّهَا سَكُونَهَا قَبْلًا فَسَكَتْ وَكَانُوا قَدْ فَرَغُوا مِنْ
الْعَلَامِ فَهُمْ وَمِنْهُمْ خَوْلَةَ فَغَسَلَتْ يَدِهَا وَالْقَسْطَ غَرْفَهَا وَهِيَ تَنْكِرُ فِي مَا سَمِعْتُهُ مِنْ
وَالْدَّهَا وَتَحْسِبُ نَسْهَا فِي حَلْمٍ

فَلِمَا خَلَتْ بِنَسْهَا تَذْكُرَتْ سَعِيدًا وَجْهَهَا لَهُ وَجَمِلَتْ ثَنَادِهَا الْمُواجِسِ وَهِيَ

خاف ان يحملها عمرى على الاقتران بعد الله قبل ان تعلم صابر سعيد في مهنه الى الكوفة . وقد اعجبت بدهاء عبد الله لانه باح بخبر المؤامر على قتل عمرى وكم امر المؤامر الثالث . وهو معنور في ما اباح به اغاثاً لحياته . ولكنها خافت ان لا يتم نبوته فلابد ان المؤامر في الاجل المعيين فيقتل عبد الله . على انها كانت اذا نصوت صدق نبوته ونجاته من القتل يتحقق قليلاً الاضطرارها عند ذلك الى القبول بعد الله زوجاً لها وهي تحب سعيداً . فهاجت الشجاعتها وارتبت في امرها وجعلت تبحث عن طريقة تنجو بها من هذا التردد فلم تر خيراً من الصبر لما يأتى به التذر

الفصل الثامن والسبعون

نجمة عمر و

اما عبد الله فكان قد جمع الى هذه الخيلة املاً بالحياة وهو مع ذلك يخاف ان لا يتأخر المؤامر عن الوقت المعيين لسبب من الاسباب فيذهب سعيد عيناً وظل عمرى اياماً لا يخرج للصلاة فلما كان فجر ١٧ رمضان شكا من بطء فلم يخرج واتلق خروج خارجة بن أبي حيبة صاحب شرطه للصلاه وهو لا يعلم بخبر المؤامره ولا امن عمرى بالخروج ولو علم بخروجه لمنعه . على انه لم يكن يحسب المؤامر يأتى لقتله في الغرب وهو يصلى بل كان يحسب انه برافق خروجه في اثناء التهار الى بعض الاماكن . ولكن مية خارجة عاجله بخروج في فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلى في الناس ولم يكدر بيدأ بها حتى تو رجل من الوقوف وهو محبه عمرأ فضربه بالسيف فقتله^(١) فقاموا عليه وساقوه الى عمرى فلما رأاه عمرى بفتح وصالح به « وبالك قد قتلت صاحب شرطه قتلت خارجة بن أبي حيبة » فاجابه الرجل بقلب لاهاب الموت « والله اني كت احببة انت »

فقال له عمرى « اردتني واراد الله خارجة . من انت يا غادر »

قال « أني عمرى بن بكر »

قال « ومن أنت »

قال « من تيم »

فقال اقتاتوه فقتلوه وقد استولوا على قليل خارجة ولكن المندى كائن لا يجيء
اما خولة فادها بانت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجسر وهي متوفى ان تسمى خوراً
جديداً في اليوم التالي ولم تكن متوفى ان يتعلل المؤامر فعلته في الغبر فاصبحت
وقد ضجت الفسلاط بغير خارجة وجاءها اباوها فاخيرها بو ولسان حاله يتول « لند
صحت اقوال عبد الله فنأ هي للاقتران بو »

اما هي فانها تحذفت وفروع المخطوتو لم تعد تدرى ماذا تتصل وتدعى لانها
لم تخرج من بيت والدها سراً قبل ذلك اليوم على ا أنها لم تكن من الجهة الاخرى
موقعه بينما سعيد على عريدها او انه رضي بها . وكانت لما تبنته في الفسلاط لم تخفق
مهلة خوها . متوفى في حين ولتها كانت من الجهة الاخرى في فاق على الامام
علي لاندري هل نجها كما نجها عمرى ام ذهب فرنسة ابن ملجم وودت لوان عريدها
يامود في ذلك اليوم بالخبر اليقين لتعلم كيف تصرف

— ٢ —

الفصل التاسع والسبعون

٤٠ ضياع قطام

فلاند الى سعيد وبلال في الكوفة فقد تركا بلا لا يتأهبا للندوم على الفسلاط
وسعيد يذكر في ماذا يتعلل به وكان قد امر بالذهب الى الفسلاط على ان يبقى
هو هناك حتى يعود اليه بالخبر عن عمرى ثم رأى ان المسافة بعيدة ربما لا يقدر علها .
فقال له « لند امرتك بالرجوع الى الكوفة ولكنني ارى الاجل بمهدداً فاني شاهد
الى دمشق فاذا سرت الى الفسلاط والملعنة على ما جربات الاحوال وافني الى
دمشق فاني اكون هناك في انتظارك في المهد بدعاشرين يوماً سوا لا تحدث من
ذلك بقطام الخائنة ام لا ولكنني اكون قد احتملت على مقدور معاويه »

فودعه بلال ومضى وصبر هو الى الغد فخرج الى الكوفة يلحس سرت قطام فرأه
منذرًا ليس فيه احد فوق عين باب الحديقة وجعل بناءً على بخلانها وطرقاتها وينظر
في ما مرَ له هناك من الاهوال وما طلي عليه من خيانة قطام غير مرئ فشعر بضيق
وتدذكر آخر مرّة زارها في ذلك المترزل وعمة ابن عم عبد الله فاسف لفقد وازاد داده
الميل للانتقام من قطام . فنكر في امرها وفي المكان الذي عاصها ان تكون قد انصرفت
اليو فخظر له ان تكون قد سارت الى اهلها في جوار الكوفة فخرج للبحث عنها فلم يقف لها
على خبر فقل "البحث وخفاف ان ينفعي الاجل الذي ضربه بلال فيعود اليه في دمشق
ولا يجيء فخظر له ان قطاماً رها سارت الى دمشق تلقي ما معاوية بعد ان نجحت في
قتل مناظرها علي فسار يلحس دمشق على ناقة تسابق الرياح

اما قطام فكانت في الليلة التي وصل بها سعيد الى الكوفة قد علت بندومه من
رجمان اذ عاد اليها بما دار بينه وبين بلال عبد خولة واحكي لها ما فضحته بلال من
سره وكيف كان ذلك سبباً في اكتشاف امره لدى سعيد فلم يعد بصدقه وينذهب
معه الى متزها فحيثت على بلال وعلى سيدته وما زوج ذلك الحين غيره من خولة . لان
قطاماً اللعينة مع كرهها لسعيد لم تكن تصبر على من همها وخصوصاً لما علمت ان خولة
كانت عنواناً على عرقلة مساعيها في قتل الامام علي فاخمرت لها السوء ولكنها شغلت عنها
ذلك الليلة بما كانت فيه من انتظار النتائج بعلى وكان ابن ملجم يائلاً عندها . فلما
كان الفجر خرجت هي وعجوزها وعبدتها وضربت قبها في المسجد كما تقدم وفي ذلك
من الجرأة والوقاحة ما فيه ولم تكن تخاف اكتشاف حيلها ولو تمد سعيد ان يكشفها لما
دررته من الحيلة في ا يصل الصك بعد تحويله الى قبر حاجب الامام علي مع نهاية
المقالة كما علّمت

الفصل الثانون

نهاية معاوية

فلا قتل الامام علي على ما تقدم ورأرت ابن ملجم مذبوحاً عليه وكانت شفاعة له

ذلك من ذي قبل فرّت بعدها وعيوزها إلى مكان خارج الكوفة وقد شفت نعليها بقتل الإمام . ولكنها مازالت ناقلة على سعيد وزادت ثقليها عليه بعد ماعنته من أمر خولة فعوّلت على الحلاق بالسلطاط لتشي بها إلى عمر بن العاص لاعتقادها أنه يقدر خدمتها لـه حق قدرها لأنها أنها نجدهم العلوبيين . وهي لا تشك أنها مجرد وشایها على خولة وإنما أنصار عليًّا يقتلها عمر إذا كان لا يزال حيًّا . وإذا كان قد قتل فنذر حيلة أخرى . فلما اختر لها ذلك استشارت لبابة سرًا فاستحسنـت رأًّا بها وحرضـها على المسير إلى السلطاط واستشارت ريحـان فقالـ لها أني في ركبـك رحلـت أو أقمـت فائـت على غـربـتو بالفـاظ ملـؤـها التـلـيق والـرـياـ، وأصـبحـت في الـيـوم الـثـالـيـثـ تـلـقـيـنـ السلطاطـ علىـ انـ تـمـرـ بـدمـشقـ وـتـسـطـلـعـ حـالـ مـعاـوـيـةـ وـمـاـكـانـ مـنـ اـمـرـ بـعـدـ ١٧ـ رـمـضـانـ حـقـيـقـيـةـ إـذـ كـانـ قـدـ نـذـدـ السـبـبـ وـقـلـ مـعـاوـيـةـ تـحـيلـ ذـلـكـ الـخـبـرـ إـلـىـ عـمـرـ وـتـحـزـنـهـ عـلـىـ الـفـاسـ الـسـلـطـانـ لـفـسـوـ

فـلـماـ وـصـلـتـ دـمـشـقـ سـمعـتـ أـنـ الـمـؤـامـرـ عـلـىـ قـتـلـ مـعـاوـيـةـ وـاسـمـهـ الـبرـكـ بـنـ عـبدـ اللهـ التـيـمـيـيـ الصـرـيـيـ قـدـ قـتـلـ مـعـاوـيـةـ فـيـ قـبـرـ ١٧ـ رـمـضـانـ فـيـ مـسـجـدـ دـمـشـقـ . فـلـماـ خـرـجـ مـعـاوـيـةـ لـلـصـلـاـةـ شـدـ عـلـيـهـ بـالـسـيفـ فـوـقـ السـبـبـ فـيـ الـبـيـوـ^(١) فـسـيقـ الـبرـكـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ فـقـالـ لـهـ مـعـاوـيـةـ نـمـ

قـالـ أـنـ أـخـاـيـ قـدـ قـتـلـ عـلـيـاـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ

فـقـالـ «ـ فـلـعـلـهـ لـمـ يـقـدـرـ عـلـىـ ذـلـكـ »

قـالـ «ـ يـلـيـ أـنـ عـلـيـاـ لـيـسـ مـعـهـ أـحـدـ بـمـرـسـةـ »

فـأـمـرـ بـوـ مـعـاوـيـةـ فـنـذـلـ وـجـلـ يـعـلـمـ جـرـحةـ

فـلـماـ عـلـمـ قـطـامـ بـخـيـاءـ مـعـاوـيـةـ لـمـ يـقـدـرـ لـدـهـاـ إـلـاـ الشـخـوصـ إـلـىـ السـلـطـاطـ لـلـإـيـقـاعـ بـخـوـلـةـ

مـعـاوـيـةـ بـخـيـاءـ مـعـاوـيـةـ

الفصل الحادي والثانون

﴿ عبد الله في دار الامير ﴾

اما عبد الله فانه مكث في محبسه وقلبه واجف مما قد يطرأ من تغيير خطة المؤامر وقد خطر له الاختيارات من ذلك فلما باح لعمرو بالسر اشترط عليه ان لا يطلع احداً عابراً لانه اذا شاع وعلم المؤامر به ربما غير خطة فيقدم المعياد او يؤخر فيظهر ذلك من عبد الله مظاهر الكذب . وهذا الذي دعا عمراً لکهان امر المؤامرة عن كل واحد حتى عن صاحب شرطه . واما والدخولة فقد كان من اكثرا الناس ثقراً من عمرو واعظمهم غيره عليو فكان عمرو يساره في مثل هذه الثوّون ولو لا رغبته في معانته على خيانة صهره ابن مطعم ما كشف له الامر

ف لما كان ليل ١٧ رمضان اخذ الفانى من عبد الله ما أخذنا عظياً لعله انه ليكتشف بين الحياة والمموت . فاصبح ذلك اليوم وهو لا يزال محبوساً لا نافذة في محبسه يطلع منها او يسمع ما يجري على انه سمع لغطاً لم يفهم منه شيئاً صريحاً فترخيص حتى جاءه الخنجر بالطعام على جاري العادة فاستنهضه فطلاً نهباً باختصار فسرّ ولبس الى مساء ذلك اليوم

وإمس الشاء جاء بعض رجال عمرو الى محبس عبد الله فتحة ودخل عليه فعل « قيوده » ودعاه الى الامير فشي في اثنين وقد انيط وجهه لما كان من بخاته بعد ان كانت في عدد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة في صدرها عرق بن العاص على وسادة وفي بكرة درة (سوط) يلاعها بين اصبعيه وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة ترعر حذاءه في الخارج ودخل توئاً الى مجلس الامير وهم بتقبيل يد باحترام فامسكه ابن العاص بيده واجلسه الى جانبه وهو يتول بصوت مخفض « لند كانت بخاتاعلي يدك فوجئت علينا كرامتك ولكن للأسف ان صاحب شرطتنا وقع في الشرارك التي كانت متصوبة لنا ولو علمنا الساعة او المكان المعينين لتلك النعلة الشهباء لاستطعنا تداركها او لو اطلعت خارجة على سر الامر فربما كان بخا يتنسو ولكنني لا اظنه كان يستطع ذلك وهو لا يعلم الزمان والمكان المعينين »

فقال عبد الله «أعلم يا مولاي ان كفانا هذا الامر توقف عليه حياتي اذ لو شاء خبر اعلانك على هذا السر لغير المؤمن خطنه فربما آخر موعد أسبوعاً او شهرًا فكنت أنا المنقول بدلاً من خارجة لانك نسيَّ الفلان في فنتلني . ومع ذلك فهو النهاية .
يجري الى حيث لا نعلم» .

ولم يتم كلامه حتى دخل بعض الخدم يتول «أن في الباب ابا خولة»
قال عمر «ادخلوه»

فرجع الخادم ودخل ابو خولة وهو صاحبنا والله خولة ولم يكن هو من مصاف الامراء ولا من القواد الاعداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمر و لكنه نال تلك المخطولة خصوصاً بعد ان اطلع عمر اعلى عزم ابن مطعم على قتيل علي . ثم ما زال يتردد على دار عمر و ينزل مافي و سعو لخدمته فعده عمر من اصحابه

فلا دخل ابو خولة المفاعة حبي و قبل ان يجلس قال لـ عمر اغلق الباب و مر الخدم اتنا لا ترى احداً يدخل علينا . ففعل ودخل . فدعاه عمر الى جانب و عرّفه بعبد الله فاعجب ابو خولة بعبد الله لانه كان شاباً جيلاً مع نباهة و ذكاء وسرّ لما دربه عمر من مصاهرته له . واما عبد الله فكان لا يزال خالي الذهن من ذلك

فلما جلس الثلاثة الفت عمر الى عبد الله وقال له «لقد عرفتك بصاحبنا الى خولة ولم اُمِّم لك المعرفة فاز يدك علماً انه من اعز اصدقائي وقد كتبت امر المؤمنة عن كل أحد سواء ولكنني اشترطت عليه شرطاً اظنه يعود عليك بالمنفعة وقد فعالية مكافأة لك على خدمتك لي»

فوقف عبد الله متقدماً وقال «بأذن لي مولاي بكلمة»
قال قل

قال «لا ارجوان تحسب لي فضلاً بما يحيى الله به فاني والحق يقال انا فعالة انتها لحياتي فلا تقطعني اعيش نفسي»

الفصل الثاني والثمانون

﴿ عبد الله وخولة ﴾

فأعجب عمرو بحربة ضمير عبدالله وقال له « لم تزدني بهذا البره الأرغبة في إمكانيتك ان ابن العاص لا يجهل قدر الرجال ولا هو ساذج لا يفهم انك لومتني بين يديه وتشعر بقرب الأجل ولا ترى لك خرجاً ينور هذا الافتاء لما فعلته ». ولكنني مع ذلك اشعر بجهيل لك علي » فأرید مكافأتك عليه وخصوصاً بعد ان رأيت من صدق لحيتك ما أكذب لي انك لو كنتم من انصارنا لكان لنا بك نعم الصبر وانت على ما بلغتني اموي فليس تشيك للعلويين معتولاً . . . » قال ذلك وفي صوته خنة استهمام كأنه يستفهم عن سبب تشيعه فسكت عبدالله . فنهم عمرو انه يريد الكفاف في الحديث وقال له « ولكنك لم تأسلي عن المكافأة التي اعدتها لك » قال « قلت لك اني لا اسخق مكافأة فيها اكرمني بو كان فوق ما اسخق »

قال عمرو « هل انت مزوج »

قال كلاماً يا مولاي

قال اعلم يا عبدالله ان في النسطاط خاتمة يحدث بيجالها وتعقلها اهل هذه المدينة في ابنة صالحبي هذا (وأشار الى والد خولة) ولا اخفي عليك اتها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن مليم وهو احد المؤامرين على قتل عمرو وعلي ولا تدرى ما كان من امره اليوم فانه موعد القتل »

ولما قال عمرو بذلك نذكر عبدالله ما كان قادماً من اجله مع سعيد وكيف فشلت مهمتها فاحس » كأنك تصب ما غالياً على ظهوره ولكنك تجلد وصبر نسألاً آخر الحديث فقام عمرو كلاماً فانلاً ان خولة هن كانت مخطوبة لابن مليم على ان يتزرن بها بعد عودته من الكوفة ولا ريب ان ذلك المخائن كان عالماً بتوطئه . عمرو بن يكر على قتلي فكم ذلك في قلبه وسار ولم يطلعني على شيء منه فاعذرته شريكاً في قتلي فاحرمته من خولة وهي دالة على والدها لانها هاتلة ابنتي وقد حملت منه ان تكون لك عروسًا ومتى رأيتها تتحقق انتا قد ازوجناك زهرة النسطاط وخرب بناتها . ثم الفتت

عمرى الى ابي خولة وقال « ولا نظينا فرطنا بخولة فان هذا الشاب من سلالة الامراء ويكفي انه اموي وبين الخليفة معاوية نسب فريب . اما ابن سليم المخازن اذا عاد اليها فلا أبقاني الله ان ابقيه حياً . ولكنني لا اخذه الا مقتولـاً في دار ابن ابي طالب فاز في مهمته او لم يفز » قال ذلك والغضب يادر على وجهه ففرح عبد الله بما ناله من الحظوة في عين عمر وارتاح لما بلغه عن خولة ولكنـه ما زال متشغلـ المخاطر على ابن عمـ سعيد وما كان من امـير بعد ان فارقة في مسجد النسطـاط يوم اجتماع عـين شـمس . وحدثـة نـاسـة ان يـسألـ عمرـاً عنهـ خـافـةـ انـ يكون قد وقعـ فيـ ايـديـ رـجـالـهـ وـلكـنهـ لـبـثـ سـاكـنـتـرـددـ وـقدـ نـسيـ اقتـراحـ عـمـروـ . فـظـلـهـ عـمـروـ غـيرـ رـاضـ بـوـ فـنـالـ لـهـ « ماـبـالـكـ لـمـ تـحـبـ العـلـكـ لـمـ تـرـضـ خـوـلـةـ وـالـهـ اـنـ اـرـضـاهـ لـاـعـزـ اـبـنـيـ » فـأـبـدـىـ عـبـدـالـهـ قـائـلاـ « عـنـوكـ يـاـمـلـايـ كـيفـ لـاـرـضـيـ بـهـ اـرـضـيـ اـنـتـ لـيـ وـمـاـ سـكـونـيـ الـلـاـنـيـ اـعـدـيـتـ اـقـتـرـاحـ الـامـيرـ اـمـارـاـ نـافـذـاـ الـاـخـرـيـ لـيـ فـيـوـ فـاـذاـ اـجـبـ . اـمـاـ اـذـاـ تـعـطـلـتـ فـيـ سـوـيـ اـلـيـ رـاضـ وـلـكـنـيـ اـرـجـوـانـ تـكـوـنـ فـيـ رـاضـيـ بـهـذـاـ الرـجـلـ الغـرـيبـ » فـقـالـ اـبـوـ خـوـلـةـ « اـنـ خـوـلـةـ جـارـيـةـ بـيـنـ يـدـيـ مـوـلـانـاـ الـامـيرـ وـمـاـ بـرـضـاهـ هـلـاـ مـنـدـوـحةـ طـاغـيـةـ وـاـنـاـ وـهـيـ طـوعـ اـرـادـهـ »

الفصل الثالث والثانون

نـهاـيـةـ الـحـدـيـثـ

واستوى السـكـونـ عـلـىـ تـلـكـ الجـلـسـةـ لـحظـةـ ثـمـ القـتـلتـ عـمـروـ اـلـىـ بـعـدـ اللهـ فـنـالـ « وـقـدـ كـتـ اـظـنـكـ اـثـنـيـنـ جـنـداـ مـعـاـ اـلـىـ النـسـطـاطـ وـلـكـنـيـ لـمـ اـرـ سـوـاـكـ » وـلـمـ يـنـ عـرـ كـلـامـ حـقـ عـلـىـ وـجـهـ عـبـدـالـهـ وـنـظـرـهـ عـمـروـ قـائـلاـ « وـهـذـاـ هـوـ الـامـرـ الـذـيـ شـفـلـ بـالـيـ فـيـ اـثـنـيـنـ حـدـيـثـ مـوـلـايـ . اـنـ رـفـيـقـيـ هـوـ اـبـنـ عـيـ بـلـ هـوـ اـخـيـ وـقـدـ كـنـتـ بـرـعـابـوـ جـشـنـاـ مـعـاـ اـلـىـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ وـلـكـنـيـ يـمـتـ عـيـنـ شـمـسـ وـحدـيـ وـتـرـكـهـ فـيـ الـمـسـجـدـ عـلـىـ اـنـ اـسـطـلـعـ الـمـكـانـ وـاعـودـ الـيـوـقـبـضـوـ عـلـىـ وـلـمـ اـعـدـ اـعـرـفـ شـيـئـاـ عـنـهـ اـلـآنـ فـهـلـ عـلـىـ اـحـدـ مـنـ الشـرـطةـ عـلـىـهـ فـنـتـلـوـ »

قال عرق «لم اسمع عنه شيئاً ولا اخبرني احد بخبره والظاهر انه خجا ينتهي لما سمع بما وقع لكم في ذلك الاجتاع»

فاطمان بال عبدالله على سعيد ولكنها ظلّ متنافقة لاستطلاع حقيقة حاله . فود لوانة يسير حالاً الى الكوفة فاستطلع كل شيء ويخفق ما وقع للامام علي ولكنها تجلب من ابداء رأيه وهو في مجلس عرق فكيف يظهر برغبته في شؤون علي مع علمها بما ينطوي من المناقضة . فرأى ان يجعل السبب في اسراعه البحث عن ابن عميه فقال «لقد اوضحت لولائي ما انا فيه من انتقال البال على ابن عني هذا فهل يأذن لي الامير بالانصراف الى الكوفة استطلع حالة ثم اعود ما تكون في خدمتك الى المات فقد اولتني جيلاً لا انساه لك»

قال عرق «ويكون ذلك بعد كتابة الكتاب . فاذا عقدنا لك على خولة وصرب من اصحابنا براحتي حيث شئت»

وكان عرق لفطر دعاته وحسن سياسته قد ادرك ان رجلاً حراً صادقاً مثل عبدالله لا يفرط فيه . لانه اذا اخلص الخدمة كان نفعه عظيماً . فلم ير لتبديد فليو خيراً من ان يبادله بالجحيل وان يزوجه بنت صاحبه وهو يحسب خولة على دعوته فاذا كانت هي زوجته سبب ابو الرجوع الى حزب الاميين . لا سيما وهو لا يعلم بعد هل يخرج ابن مليم بهمه في الكوفة ام لا . فلما اقترب على عبدالله كتابة الكتاب قبل السفر قبل عبدالله واطاع فضrip عرق اجلأ لذلك اسبوعاً وقال «فتيم عدتنا في اثناء ذلك ضيقاً كريماً فاذا آن الزمن عقدنا لك على خولة ثم تصرف للبحث عن ابن عליך» فوق عذر الله ثم جها بين يدي عرق هم بتقبيل يده وقال «لقد غررتني بفضلك فا انا مستطيع الشكر على نعمتك» والنفس الخروج فاذن له

وخرج ايضاً ابو خولة وهو يكاد يطير فرحاً لما آتى من كرامة عرق . ومرة الصبي الجديد لا ينبو فسارته الى المنزل وكانت خولة جالسة هناك على مثل الغضى تناذفها الموجس بعد ان تحققت خجاجة عرق وعلمت بما فرضه من زواجهها عبدالله . وهي مع حبها له تفضل البناء على حب سعيد وهو اول من وقع في نفسها موقع الحبيب في احوال قضت بذلك . فلما كان المساء وابطاى الدهار في الرجوع الىاليت انشغل بما ولبنت تنتظر عودته بنارخ الصبر لعلها انه لا يأدب من مروره بعرق على اثر ما

كان من نجاتي في ذلك اليوم . وحسبت لابطأني الف حساب . وأشد ما خافته من ذلك الابطاء ان يكون سببه المداولة في امرها فامر عبده الله وهي لا تزيد ذلك

الفصل الرابع والثانون

الشارقة غير السارة

فلا انقضى العشاء ومضى بعده ساعتان سمعت قرع الباب وعلمت انه قرع والدها فدقق قلبها دقات متسارعة وعلمت وجهها صدمة الوجل فطلبت مهاتئية على الوسادة في غرفتها ولم تمض برهة حتى فتح باب الدار . فخجول والدها توأما الى غرفتها فنزعها فهمست لتنشق له وركبتاها نصطاً لاما من الاختطاب . فلما فتحت له الباب دخل والمصباح في يده فوضعة على مسرحه وجلس اليها وعلى عيشه امارات البشر والمرور وهو يحسب نفسه جاءها ببشرى عظيمة . فرأياها مضطربة الحواس فللة الخاطر مع انها كانت تحاول التهدد ولكن القلق والاضطراب غلب عليها فتقال لها « ما بالك يا بنت ما الذي يزعجك »

قالت « لا يزعجني شيء ولكنني قلت لغيباً لك وإنما وحدتي في هذا البيت لا أاري
فيه أحداً غير الخدم »

قال وهو ينسم «لند دنا الوقت الذي لاتكونين فيه وحدك» فخجاهلت مراده وقالت «يظهر انك علمت بما افاصي من الوحنه فعوّلت على ان لا تتركي وحدي»

فبحك لساجها وقال لها «ليس هنا قصدي يا خولة ولكنني اذكرك باقتراح
الاخير الذي اطلعتك عليه منذ بضعة ايام فانه قد تم اليوم بعد ان صدق قول
عبد الله الاموي فجعuni عمر في الليلة في داره فرأيته شاباً جيلاً عليه مهابة الامراء
وقد ترين الشجاعة والانفة تجليان في وجوهه . ويُكفي ان عمر اعمري وبالغ في اطرافه
لما بي . فهذا هو خطيبك ومتى كتب الكتاب طبعاً لاتكونين وحدك »

ولم يتم كلاما حتى صبيح وجهها احرار المحجل وظلت صامنة ثم اخذ العرق يسكب عن جيدها كاللؤلؤة المشتورة هي مطرفة لا تفوه بكلمة

ولم يكن سبب اضطرابها مجرد الخجل كاظن والدها ولكنها أصبحت آلة تنادتها المفاجئ حائنة بين ان تطبع عواطفها او نطبع والدها واميرها . ولو اهملت تبعث الى سعيد بغير جهالت مع بلال لكان المعضلة اقرب الى الخجل واذا رفضت عبدالله رفضاً باتاً تفضي عرضاً والدها . وهي مع ذلك لا تدرى مصدر سعيد ولا ما أكثرياته بعد خروجه من النطاط مع بلال ولم ترَ حلاً غير الاصطبار فصبرت حتى يعيد والدها السؤال فتسهلة

اما هو فلما آتى فيها ذلك الاختراب حملة هليل الخجل وهو عادي في النتوءات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها « لا تخجل يا بنتي ان والدك يخاطبك وليس احد سواه وقد تم الامر على يد الابير وهو شرف كبير لنا كما تعلمون »

فاجابت وهي لا تزال تنظر الى الارض وقالت « وهل ضرب لذلك اجلاء »

قال « لقد ضرب اجلاء لذلك اسبوعاً »

قالت « فليكن ثلاثة اسابيع على ما ارى »

قال « ما الداعي الى هذا التأجيل فاني اخاف ان يغضب عمرو . فاطمعني وانا حامل تبع ذلك . فان عبدالله شاب يندر مثاليه وإنما افتخر بصادرته وليس هناك محل للاعتراض » قال ذلك وفي كلامه نسمة الجناء على عادته معها اذا اراد الاصرار على امر مخالفت اذا جادلته ان لا تحسن العقلي فسكتت ثانية واظهرت الارتباط قلما رأها كذلك قال لها « بورك فيك يا بنتي وبعد اسبوع تكون كتابة الكتاب ونثم معدات الزواج »

فطللت عاكمة وقد عوّلت على اتخاذ وسيلة اخرى للتأجيل

الفصل الخامس والثانون

﴿ الخطبة الجديدة ﴾

اما عبدالله فانه خرج من عبوده يائس مكاناً يقيم فيه ولم يكدر يخرج من دار

الامير حتى ادركه بعض رجال عرو وناداه فعاد . فقال له « ولـى ابن »
قال « اني نفس مكاناً اقيم فيه »

قال « لقد اوصانا الامير ان نعد لك منزلآ في داره فانك ضيف عليه »

فأرداد عبدالله امتناناً من عرو وفرح بذلك الدعوة لانه غريب لا يدرى
كيف يذهب . وتبعد الرجل الذي كلها الى غرفة فيها فراش وغطاءه وبعض الآنية وسألة
هل يحتاج الى طعام فاعذر وسار نـا الى فراشه
ولما خلا بمنتهى جعل ينـكـر بـخـاتـهـ وصـورـةـ اـبـنـ عـوـ سـعـدـ لمـ تـرـجـ مـنـ مـنـيـلـهـ طـولـ
ذـالـكـ اللـيلـ . عـلـىـ اـهـلـهـ اـعـلـىـ حـيـاتـهـ وـلـكـنـهـ مـاـلـ بـكـابـدـهـ اـلـىـ اـسـتـطـالـعـ خـيـرـ مـهـمـهـ
ليـدـرـيـ ماـتـ لـلـامـ عـلـيـ

وكانت ذكرى خولة تفترض هاجسة وود لو يراها ليستطلع ما يكون من
حظـلـهـ بـعـهـ وـلـكـنـهـ لـاـ تـذـكـرـ اـطـنـابـ عـرـوـ وـبـهـ تـحـقـقـ لـيـاقـهـ عـلـىـ اـنـهـ مـاـ زـالـ مـشـتـأـفـاـ لـرـوـ بـهـ
ولـمـ اـصـبـعـ سـارـ اـلـىـ المـجـدـ صـلـىـ الصـبـحـ وـهـوـ يـتـوـقـعـ اـنـ يـرـىـ وـالـدـ خـوـلـهـ لـعـلـةـ يـدـعـوهـ
اـلـىـ بـزـلـوـ فـيـخـذـذـلـكـ وـسـيـلـهـ لـرـوـبـةـ خـوـلـهـ وـلـوـ خـلـسـةـ . وـكـانـ وـالـدـ خـوـلـهـ قـدـ مـرـ بـالـجـامـعـ
فـيـ ذـالـكـ الصـبـاحـ عـدـاـ لـهـذـهـ الغـاـيـةـ فـلـقـهـ فـسـلـمـ عـلـيـهـ وـدـعـاهـ لـلـعـشـاءـ فـقـالـ لـهـ «ـ اـنـيـ فيـ
ضـيـافـةـ الـامـيرـ وـلـاـ يـلـقـيـ يـقـيـوـ قـبـولـ الدـعـوـةـ اـلـاـ بـعـدـ اـسـتـئـانـهـ »

فـقـالـ «ـ اـنـاـ اـسـتـائـذـهـ عـنـكـ »

قال حسـنـاـ وـافـرـقاـ . فـمـشـيـ عـدـدـ اللهـ فـيـ شـارـعـ النـسـطاـطـ وـاسـواـقـهاـ فـيـ بـيـتـ خـوـلـهـ
وـهـوـ لـاـ يـعـرـفـ . وـكـانـ خـوـلـهـ قـدـ اـصـبـعـتـ فـيـ ذـالـكـ الـيـومـ وـهـيـ لـاـ تـرـازـ قـلـةـ الـبـالـ
فـرـجـتـ تـشـيـ فـيـ الدـارـ فـوـقـ نـظـرـهـ عـلـىـ عـدـدـ اللهـ وـهـوـ مـارـ وـلـمـ تـكـنـ رـأـتـهـ قـبـلـ ذـالـكـ الـحـينـ
وـلـكـهـ اـسـتـيـجـعـتـ مـنـ لـيـاسـ وـفـيـأـيـوـ معـ مـشـاـهـيـوـ سـعـدـاـ اـنـهـ هوـ عـدـدـ اللهـ خـطـيـبـهاـ فـاخـتـلـعـ
فـلـهـاـ فـيـ صـدـرـهـ وـنـفـرـتـ لـاـولـ وـهـلـهـ وـلـكـهـ اـرـادـتـ اـنـ تـبـيـنـ حـالـهـ فـنـدـرـتـ فـيـهـ وـهـوـ
مـاـشـ فـرـانـةـ مـعـدـلـ النـقـامـ رـشـيقـ الحـرـكـةـ فـارـتـاحـتـ لـرـوـ بـهـ وـسـرـتـ بـهـ بـسـعـدـ
وـلـكـهـ مـاـ لـبـثـتـ اـنـ تـفـرـتـ مـنـهـ لـاـ تـذـكـرـتـ اـنـهـ شـيـرـهـاـ مـنـ حـيـهـاـ وـمـاـزـالـتـ تـنـبـعـ بـنـظـرـهـ
حـقـ تـوارـيـ وـهـوـ لـمـ يـتـبـهـ

الفصل السادس والثانون

زيارة الأولى

عادت خولة الى غرفها وهي منتبهة النفس وقضت نهارها مذق طعاماً
ولما كان الغروب آن زمن رجوع والدها من شغلو وكان الحمد قد اعدوا المائدة
له واضيقو وخلوة لا تدرى . وما عتم ان دخل الدار وتحصح على جاري عادتو كأنه
ينبه اهل المنزل الى مجيئه . ففظاهمرت خولة بارتباطها لندوبيه ولكنها عولت على
الفارق على اهها ما لبست ان رأت مع والدها ثاباً عرفت انه عبدالله فلتحق قلبها وغلب
عليها الاضطراب وتوارت في غرفها وقد بردت اطرافها
فاما والدها فانه ذهب بضميره الى غرفة الشبوف فتركه هناك وجاء الى خولة فرأها
مسقطة على الفراش وقد امتنع لونها فتحفظت للهوض وهي تنظاهر بالهدف . فقال
« ما بالك يا خولة »

قالت لا بأس علي غير اني اشعر بالانقطاع والغلاف لا ادرى مهبة
فدعنا منها وهي في اذها فائلاً «ليس ثبت داع الى الانقطاع وقد جاءه
ضيق عزيز»

قالت وهي تتجاهل «مالـي ولـيـفـيـوـفـ» أـنـي لـاـسـتـطـعـ الـهـوـضـ وـلـاـ يـعـالـبـ مـنـيـ مـلـاقـةـ

قال «انا لا نكلفك ملاقاهم ولكن هذا القبيح اصبح من اقرب ائمها ولا باس
من ملاقاهم علماً» بامر الامير عمرو بن العاص «
فالثالث «ولكني مخطة التوى . دعى ائم الآن وسالائهم في فرصة اخرى وانا
صحيحه ان شاء الله»

قال «ولكنني كنت اهليك اكثراً رغبة، في في روّه؛ بعد ان فصحت عليك امر خطبتيه لك . ايلق بنا بعد هذه الخطابة ان نفالره له هذا الجدا». فتغيرت خولة ولم تدر بماذا تحببه وهي تخاف خيبة لما نعمله من سوء خلبو وسرعة جنو فظالت صامتة

فامسكها يدها وانهضها فوقت بالرغم عنها وسارت في اثره وهي مطرقة فلما وصل باب الغرفة وقف بها وقال لها «ضعي خارك على راسك واتزعي هنا الذبول واستنبلي الرجل ما يليق بامثالك لثلا يبلغ عمرًا عدما ما يدل على خالتة رأي وفتحت تحت طائلة غضبو»

فرأت خولة من الحكمة ان تجادل وتصير لثلا يحق والدها فيما بها ما يذكرها فلخت الى خارها فوضعتها على رأسها واصنعت ثيابها بما يليق ان تقابل به الفرسوف وخرجت في اثر والدها حتى دخلاء على عبد الله

الفصل السابع والثانون

﴿ الزفاف الكاذب ﴾

وكان عبدالله قد لحظ من ابطاله اي خولة في غرفتها انه يستدعها فاصبح مشتاقا الى رؤيتها وهو لا يطبع ان يرى وجهها دفعه واحدة بما كان يتوقعة من حيالها ولكنها قمع بان يرى قائمها وجعل حاتما . فلما أشرفت على الغرفة وتبين جمالها واعتدال فواماها اشتعج قلبها وحمد الله لتوافقوا الى مثاليها بعد بخاتة من الموت . فدخلت وحيث ما يمطرها بثيلها في مثل هذا المقام وجلست على وسادة بجانب والدها . و كان عبدالله يسارق العظ اليها فلا يزداد الا ايجابا . ولم تنس تلك الليلة حتى علق بها ووقفت من ناسه موقعها ساميما لما آتته من جمالها مع ما بداره من ذكائها وتعقلها في اثناء الحديث ما يقدر مثلا في امناها من ربات الخدور . فخرج بعد العشاء وقلبة منشغل بخولة وقد ندم لتأجيل الاقتران

قضى عبدالله في مثل ذلك بقية الاسبوع وهو يتربدد على بيت خولة ويزداد تعليقا بها . ولم يصدق ان آن يوم الزفاف . فدعاه عمرو اليه وقال «اريد ان اعقد لك عليها في داري وتبين عبدنا حتى يتراءى لك ما مفارقتنا» فعل عمرو ذلك التحاسا لما عزم عليه من استجلاب عبدالله الى جانبه . فسر عبدالله بذلك واثنى على الامر ولما كان الوقت المعيت زفت خولة الى عبدالله وكتب كتابا بها عليه هل جاري العادة يومئذ

وعبد الله أكثر الناس سروراً بهذا الصليب ولو لا ما يحول في خاطره من امر سعيد
وغيره مع قوله على حال الامام علي امداً نسخة من اسعد خلق الله لانه آنس في خولة
ما طالما تاقت اليه نسخة في النساء من العقل والرزان مع الحال والذكاء.
ولما فرغوا من العرس وارفضوا الاجتاع ادخلوا العروسين الى غرفة خاصة بهما

الفصل الثامن والثانون

﴿كشف النقاب﴾

فلم يخل عبد الله بخولة تقدم لزع العطاء عن وجهها فامسك النقاب ورفعها
فإذا بها قد أعادته إلى ما كان عليه . فنظلها تداعبة على سهل المزاح فضحك وقال لها
« يظهر أنك لا تخينين عبد الله »

قالت وهي مطرقة « يعلم الله أني لا أكرهه »

فند يده إلى النقاب ثانية وحاول رفعه ففتحته . فاشتبه في أمرها فامسك يدها
وقال لها بلية الجد ونفيه الحب العاتب « ما بال خولة تبتعدنا ما احلاه لنا الشرع
ودعانا اليه النسب »

وكانت خولة وإقنة بجانب الفراش فابعدت عنده واستدث ظهرها إلى المخاطن وهي
تبالغ في إسأل النقاب وظلت مطرقة ولم تجد جواباً

فاستغرب عبد الله سكوتها وتنعها على هذه الصورة وظن في الأمر خديعة فاظظر
الجد وتبهها وهو لا يزال قابضاً على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها « ما الذي أراه
يا خولة؟ ما الذي تحدثك به نفسك؟ إن كنت أنت تفعلين ذلك مجرد الحياة فهو غلوٌ
لا علل له وقد عُذْدَ كنابها بحضور أمير مصر ونخبة الاعيان وإلآمراء . وإن كنت رضيت
في مكرهه وإن تختفين سوأي قولي »

فلم يقال ذلك رفعت رأسها اليه وجذبت يدها من يده باطف وقالت « نعم أني
أحب سوأك ولكنني قلت لك أني لا أكرهك بل أحبك محنة الاخ لا محنة الزوج »
فيقت عبد الله وعلمه الدهشة وكاد الغضب يغلب عليه لم يصدر نسخة ريشا

يُنكشف له سبب تعمها . فنظر إليها نظر الغاضب وقال « لقد رأيت منك العجب والعجب ما أراه احتقارك أباي يا لم أكن الوقعة سك بعد ان كتب الكتاب . هلاً كشفت لي عن سبب ذلك ؟ »

قالت وقد امسكت الكتاب وزاحفة عن وجهها « ألي لا اعتبر هذا المخاب وأرجأ يبني وينك ولا أنا خاتمة من اطلاعك على ما في ضميري ولكنني اسالك سؤالاً اذا اجبتني عليو بمحث لك بسر الامر »
قال بكلوبها إليها وقد اعجبتها جسادها وحريرها ولم يزد كشف الكتاب الا احتراماً لها فقال « اسألني فاني عببك »

قالت « كيف رضيت بعقد قرانك وإن علمت غائب »
قال « واي ابن عم تعنين »

قالت « اعني ابن عمك سعيداً الذي جئت معه الى النسطاط الا بهمك ان تعرف ما آلت اليك حاله »

الفصل التاسع والثانون

* استطلاع السر *

فاستغرب ذلك منها ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال « من ابن لك ان تعرفي ابن عي وما جئت من اجله النسطاط »

فتهجدت وقالت « عرفته بقدر من الله وفي العجب من سباتك تلك المهمة التي جتناها من اجلها . هل نظن الامام علياً نجها من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغراباً ونبي ما كان يعد بو نفسه من فرجهما وهاجت به الحسناه وتذكر ابن عمها فقال « لند اذلهني يا خولة بما سمعته منك فالقصي عما في ضميرك لا يخبرني كيف عرفت ابن عي وما العلاقة بينه وبين نسبتك الليلة »

قالت « انتدلي بالكلحان وحفظ الدماء »

قال « نعم اعدك وعداً صادقاً فاصصي ان لم يبق لي صدر على هذه الرموز »

فَهَدَتْ وَعَلَتْ وَجْهَهَا حِنْنَةُ الْجَبَلِ وَهَمَتْ بِالْكَلَامِ فَارْتَجَ عَلَيْهَا وَعْدُ اللهِ يَنْأِي
مَلَاهِهَا وَيَرْاقِبُ مَا يَبْدُو مِنْهَا وَظَلَّ صَامِدًا فَلَمْ يَسْعِهَا شَيْئًا . فَقَالَ طَائِلُهُ « لَا
تَطْلُبِي السُّكُوتَ فَقَدْ نَذَرْتِ صَرْبِي قُولِيَ ما بَدَأْتَكَ فَرْجِي كَرْبِي »

قَالَتْ « أَقُولُ وَلَا أَخْشَى لَوْمًَا أَنِي أَحْبَبْتُ سَعِيدًا قَبْلَ أَنْ أَرَاكَ وَهُوَ أَحْبَبْتُ
عَلَى مَا أَطْلَنَ وَجْهِنَّمَ مُؤْسِسَ عَلَى اشْتِراكِهِ كَافِي الْإِسْهَلَكَ بِسَيْلِ الْأَمَامِ عَلَى . وَنَذَرْتِ
سَعِيدَ غَدَ الْلَّيْلَةِ الَّتِي أَغْرَقَ بِهَا عَمْرَوَ اصْحَابَ عَيْنِ شَمْسٍ وَهُوَ يَظْنُكَ فِي جَمْلَةِ الْفَرْقِ .
وَلَا أَظْنَهُ إِذَا عَرَفْتَ بِنَاءَكَ حِيَاً إِلَّا طَافِرًا مِنَ النَّرْجُحِ » وَقَصَتْ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا مَعَ
سَعِيدَ مِنْ أَوْلَى إِلَى آخِرِهِ

وَلَمْ تَكُنْ خُولَةُ نَمْ حَدِيثَهَا حَتَّى أَسْعَولَتِ الدَّهْشَةَ عَلَى عَبْدِ اللهِ وَخَلَ لَهُ أَنَّهُ فِي سَنَامِ
وَلَا تَخْفَقْ أَنْ خُولَةُ تَحْبُبْ سَعِيدًا وَقَدْ آتَى مِنْهَا ذَلِكَ التَّبَاتَ فِي حِبْوَ احْسَنِ لِسَاعِيِ
أَنَّهُ لَمْ يَبْقِ لَهُ حَقٌّ فِي زِوْجَهَا وَإِرْدَادَتِهِ رِفْعَةٌ فِي عَيْنِيَهِ فَقَالَ لَهُ « أَعْلَى إِلَى اخْرَوَةِ
أَنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ أَعْدُكَ اخْتَانَةً لِي وَإِنِّي مُسَاعِدُكَ عَلَى افْتِرَابِكَ مِنْ سَعِيدَ فَإِنَّهُ يَنْزَلُ
أَخِي . وَنَذَرْتُ أَوْصَيْتُ بِكَفَالَهُ وَصَيْدَةَ مَقْدَسَةٍ وَلَفَدَ احْسَنَتْ بِإِاسْعَانِهِ لِي مِنْ حَقِيقَةِ حَالِكَ
وَعَلَيْهِ فَإِنِّي مَسَافِرُ فِي الدَّدِ إِلَى الْكُوفَةِ لَأَبْحَثَ عَنْهُ وَلَأَسْطَعَ مَا تَمَّ لِلْأَمَامِ عَلَى مَعِ
ذَلِكَ الْفَادِرِ »

مِنْهُمْ

الفصل التسعون

﴿ الْوَفَاقُ الْأَكْمَمُ ﴾

فَابْتَدَرَتْهُ خُولَةُ قَائِلَةٍ « لَا تَجْعَلْ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ ذَهَابَكَ ذَاهِبًا لَانَا لَا نَلْبِثُ
بَعْدَ قَلِيلٍ أَنْ نَسْعِيَ الْخَبَرَ مِنْ عَبْدِي بِلَالَ الَّذِي رَافِقَ سَعِيدًا إِلَى الْكُوفَةِ فَقَدْ أَوْصَيْتَهُ
بِالْمَعْوِدَةِ حَالًاً وَإِذْنَهُ يَضْلُّ إِلَيْنَا بَعْدَ أَيَّامٍ وَنَزِيَّ مَا يَكُونُ . وَإِنَّا إِلَآنَ فَاكِمَ مَا دَارَ
بِنَنَا وَاجْعَلْ أَنْكَ زَوْجِي رِبَّانِيَ مَا يَكُونُ »

فَالثَّنِينَ عَدَ اللهُ إِلَيْهَا وَقَدْ أَزْدَادَ اخْجَابَهَا بِحَمْيَهَا وَثَيَّاثَ جَاشِهَا وَقَالَ « أَنِي أَهْفَىُ
أَخِي سَعِيدًا بِهَا النَّصِيبَ وَارْجُونَ يَكُونَ قَدْ نَجَا مِنْ مَكَانَدِ اُولَادِ الْحَرَامِ » أَرَادَ

بذلك قطاماً فانه ما زال يسيءُ لظنها وقد ادرك اهها هي التي وشت بها الى
عمره بن العاص

فقالت «اني انزع رجوع بلال لأشع من ما أكلت اليه حال الامام علي ويعاوية
هل نجا احد منها : اما عمر وفند نجها والنضل في ذلك راجع اليك . . .»

فقال «ولتكن تعليمني اني انا بحثت بذلك لعمر والناس للبناء ولم اذكر له
المقاهرة على قتل معاوية لولا يبعث اليه من يمذره فينفعو»

قالت «اني لم الملكَ قط ولكن هذه اراده المولى . قال ان لا بد من الترخيص فامض
الي فراشك وإنني متوجهة هنا البساط»

قال «لا والله انكِ لاتبيدين الاً على الفراش وانا اولى بهذا البساط»
وبانيا تلك الليلة وقد سرت خولة بمعاهدها ما كانت تخافه . ولما عبد الله فانه
بات محبباً بخولة كل الاعجاب وقد اسف لخروجها من قبضتيه بعد ان عرف فيها هذه
الخصال . ولكنهم يأسف لانها ستكون نصيب اخيه . وقضيا تلك الليلة بامثال هذه
المواجس ولم يناما الاً قليلاً

واصيحا في اليوم التالي والناس لا يعلون الا انها زوج وزوجة وظلاً متدينين
في دار الامير حتى فدرت خولة دنو الوقت الذي كانت شوقي رجوع بلال فهو فالقسمت
المجيء الى بيت والدها مخافة ان يأتي بلال في اثناء غيابها فسيطرده ووالدها او يهدده
ولا يراها هناك فيعود من حيث اتى

في افتها عبد الله واستاذنا عمراً في النهار الى هناك فاذا هلا فاستقبلها
والدها بالترحاب

الفصل الحادي والتسعون

* قدوم بلال *

ولم يمض يومان على مكثها في بيت خولة حتى قدم بلال وكان وصوله الفسطاط
في اثناء النهار والد خولة في حانوثه . ودخل بلال النسطاط متنكرًا فلم يحيط به

فُسْكَتْ وَلَمْ يَجِدْ

فالجئت عليه وقد علمها اليقنة

فاجأها بصوت مخفي «ان علياً قد ذهب ضحية ذلك الحادث»

فصنقت خولة كذاً بـكُف وصاحت «والله علِيك يا أبا الحسن» وقال عبد الله
ـ مثل ذلك . ثم قالت «وماذا جرى لابن طليم» قال «انه قتل شر قاتلة لعنة الله»
ـ فقال عبد الله «وبـك فارقت سعيداً»

قال «فارقتة بغير وعافية وقد سار للبحث عن تلك الخاتمة اللعينة»

قال «عبدالله أو نعنى قطاماً»

قال «نعم وما ادرك اني اعنيها وكيف عرفتها يا مولاي»

قالت خولة: «لم تعلم من هو هذا الشم»

قال «كلاً»

قال «الم بذكر سعيد امامك انه فند ابن عبود هنا»

قال «بل»

قالت «هذا هو ابن عيـه عـدـائـه»

فهبت بلا ل وغلب عليه البكاء من النرح وصاح «انت حي يا مولاي .. آه
من لي بن يجميل هن البشري لابن عمه . والله اني حاملها اليو المساء بعد ان اسرى
الي سيدني كلاماً أونتنت عليه»

الفصل الثاني والتسعون

﴿ابلاغ الرسالة﴾

فالتفت ابو وقالت «قل يا بلال ليس على عبد الله سرٌ وهو اخي كذا قلت لك
قل كيف فارقت بعدها»

قال «فارقته يا مولاي وهو مشتاق لرؤيتك ولم يأت معه مخافة ان يكون اميرنا
نجا من المكيدة فلا يامن منه على حياته وقد علمت وانا مار في النسطاط الساعة انه
نجا وقتل غيره خطأ ولا ادرى كيف حال سيدى والذك معك فلا آمن عليكما منه»
قالت «اعلم يا بلال ان عمراً قم على ابن ملجم ورضي عنى وهو يجهى حبه لاولاده
اما سعيد فلا هو بعرفة ولا الذي رآه فادا جاء لم يكن عليه بأس وشانة في النسطاط
شأن كل خريب يدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام علي وكيف قتلا»
وامرت بالجلوس فجلس متاداً وقص علينا الخبر بتفاصيله . فلما بلغ الى حدث قطام
وما ارادته من قتل سعيد هاجت في نفها حاسة الغيرة والانتقام وقالت «قبح الله هن
المرأة التي اعرفها واسع بدهاها فكيف انطلت حملتها على سعيد»

فابصرها عبد الله «الى والله توسمت فيها الشر منذ رأيتها» وقص عليها ما كان
من امع معها . فانكشفت لهم الحقيقة وشكرا الله على نجاهة سعيد ولكنها أنسا على مقتل
الامام علي ثم استدركت في حدتها فقالت «وهل سمعت شيئاً عن معاوية ومقتله»
قال لقد مررت بدمشق في طريقني فعلمت انه نجا ايضاً . وقص عليها خبره كما سمعه
فيhibit طهاري النساء كيف سمعت بقتل الامام علي وبقاء معاوية وعمرو
فت قال عبد الله «وابن سعيد الآن»

قال «هو في انتظاري بدمشق فادا امرت مولاي عدت اليه حالاً وجدت به على
عجل وارجو ان يكون قد ظفر بذلك الخائنة وانتقم منها فإذا لم يظفر بها لست ناركها
حق انتقم منها فلقد هاجت دمي بما ارتكته من الجيانة»

قالت خولة «بورك فيك يا بلال فعليك الان ان تستقدم سعيداً على عجل»
فت قال «وهل آتي به الى هذا البيت»

فاستصوحت خولة سؤاله لأن محبته إلى بيت والدها قد يوجب العراقب . فنظرت إلى عبد الله كأنها تستوي في الأمر فشار إليها أنها يريد الجث في ذلك سراً فالنهت إلى بلال وقالت له « اخرج الآن قبل أن يأتي والدي وهو نائم عليك لاعتقاده انك فررت بالجبلين من داره وانتظر عبد الله في المسجد الليلة وهو يدشك بـ « اتفعله » »

الفصل الثالث والتسعون

﴿ العزم على الكوفة ﴾

فخرج وهي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة « وما العمل يا عبد الله أخاف اذا جاء سعيد واردنا فمتي عندنا ان ينفع علينا باب للأخذ والرد ونحن نود كفانا الامر فما الرأي »

قال « ارى ان نلتهم من عرو وخروج من النطاط والذهاب الى الكوفة فند كنك التمست منه المطر فاخربني الى ما بعد كتابة الكتاب فهم لا يعرفون الان الا انك أمرتني والرجل يذهب بأمرأتو الى حيث شاء . فاذ اسرنا الى الكوفة واوصينا بلا ا أن يوافيها بعدها الى هناك تنازلت له عنك وعنفت له عليك ولا رقيب علينا ولا واش . وإذا طلب لنا العود الى النطاط عدنا بعد ذلك والا فاننا نشك في الكوفة الى ماشاء الله »

فصاحت خولة برهة وهي تذكر في الامر فرأى عبد الله مصيبة فقالت « نعم الرأي رأيك ولكنني نعودت النطاط والتلاقيمة في وادي النيل وفي فهو الاهل والاصدقاء . فادا اتيتني البقاء فهو كان ذلك افضل لي واني »

قال « لا انكر عليك ذلك وهو ميسور لك فيما بعد واما الان فلا ارى خيراً من الذهاب الى الكوفة »

قالت « واخشى مع ذلك ان لا يأتني والدي يذهبنا الى هناك اذ هو عالي في وليس له سواي فلا اخالة الا ملئا علينا بالاقامة هنا »

قال «إنما طاولة ونهاية حتى يأذن بانصرافنا ولو بعد حين ونوصي بلاً» إن
يغفر عبدالله بالترخيص في الكوفة ربنا نايني ولو باعثنا
قالت «أفعل ما بدا لك والله الموفق في كل حال»
قال «قل بعد الآن إلى دار الامير وهي كما عينك أكان خروجنا من النساطحة سهلاً
لأنه هو الذي وعدني بأخلاه» سبلي للجهت عن ابن عبي سعيد فاذكره بوعن ولا أهله
إلا مؤذننا بانصرافي معك»

قالت «ولكننا نبيت الليلة هنا ونصبح إلى دار الامير»
قال حسناً . ولما كان العصر خرج إلى المسجد فوجد بلاً في انتظاره فاوسماء
أن يذهب بسعيد إلى الكوفة ويترخيص به هناك حتى يأتينا إليها
فأنبسط وجهه بلال وابتسم ثم قال «إن هذا ما كتبت أرجوه من مولاي لأنني إذا
كتت في الكوفة توقفت إلى الانتقام من قطام اللعينة»
ففتح عبدالله وقال «واوصيك إذا أنت ظارت بها أن لا تعنو عن عبوزها
لباية فانها قهرمانة شريرة»
قال «لانوس حرباً» ثم ودعا وانصرف

الفصل الرابع والتسعون

﴿ دعوة غريبة ﴾

اما عبدالله فلما رأى نسأة جابر المسجد والصلاة قائمة والناس يدخلون افواجاً
دخل في جملة الداخلين . فرأى عمرًا على المنبر يعظ الناس وهو صامتون فوق حنف
فرغ عمرو من خطابه وانقضت الصلاة فتحول للترويج . ولم يكدر بثبور من صحن
المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلاً «تهيل يا مولاي ان الامير يستوقيتك لامرٍ
يريد ان يخاطبك بشأن تو»

قال «وابن هو الامير»
قال «كان في المسجد كارأينة وقد تحول الآن إلى دارة من باب في المحراب»

قال «وهل هو بريد مقابلتي الآن»

قال نعم

فانشغل بال عبد الله بذلك الطلب وحاف ان يكون مبيناً على مخاطبته
بلا لا اذرباكان احد عارقاً بهم او غير ذلك . ولكن مشى حتى اقبل على مجلس عمرو
وكان اذا وصل المجلس دخل بلا استاذان . فلما هم بالدخول اعتبره الحاجب قائلاً
«نهيل ربنا نستاذن لك» فوقف عبد الله ودخل الحاجب ثم عاد فاستئن عن الجواب
فقال ان الامير بريد المخلوق بك على انفراد هذه الليلة فاذا اتيت في العشاء تعال
وحدك »

فاستغرب عبد الله ذلك الشرط واشكلا عليه المراد منه فاستزاد الحاجب ايضاً
هل المراد ان ياتي وحده يعني ان لا تكون خولة معه

قال «اظن هذا هو مراده فانا قال ليأت وحده لكلام سأفيه اليه على انفراد»
فعظم الامر على عبد الله وحسب لذلك الفحش . ولم تكن الشمس قد مالت
إلى الغروب فعاد إلى البيت والمحاجس تفاصذه وظهرت عليه إمارات الانفياض فلما
أقبل على خولة ورأته على وجهه آيات الاضطراب ابتدئته قائلة «ما بالك يا عبد الله
ما الذي غير وجهك اني اراك متغيراً وارى في وجهك انقباضاً قل رعاك الله ما
اوجب ذلك »

قال وهو يحاول القاءل «ليس في شيء ما تقولينه لكن يظاهر انني تعنت من
ساع العطلة في المسجد ومللت من مسافة الطريق وليس ذلك من الانقباض في شيء
وكيف يتبعك عشيرك وانت مصدر السعادة وينبع اهنتا»

فلم تقنع بنوله ولكنها سكتت على ان تستطلع السر بعد قليل ببراعة . وغيرت
الموضوع فقالت «وهل رأيت بلا لا»

قال «نعم وقد أوصيتك بما ينوله لسعيد»

«قالت وهل سافر»

قال «اظنه يستريح الليلة خارج السلطاط وبنفع في الغد باكرًا»
وفيها ها ينخدثان جاءوا إليها فدخلوا جميعاً وعلى وجه والدها ظواهر الغضب
وكان خولة اعرف غضبة يجرد النظر الى وجوبه . فلما رأته كذلك زاد اضطرابها

وجعلت تذكر في سبب غضب الاثنين . شطر لها انها مخالفا ولكنها لم تكن تجد سبباً لذلك . ولم تجسر على سوال والدها ولا ارادت الالتحاج على عبد الله في الاستهباب فترك ذلك الى ساعة الاختلا .

وبعد قليل مدت المائة فجلسوها اليها وليس فيهم من يكمل كلة الا ما تدعوه الى الحال من طلب شيء او الاستههام عن شيء يتعلق بالطعام وخرقه

الفصل الخامس والتسعون

غرفة عمرو

وكان عبد الله لما جلس الى المائة لم يغير ثيابه كالعادة فلما هضوا "عن العدا" اخر خولة ووالدها انه مصرف في حاجة لتنفس غيابة ساعة . وكان طالب هذا جاء طبق ما يرجوه ابو خولة فلم يسأله عن سبب ذهابه ولا استدعي سرعة رجوعه فازدادت خولة حيرة وطللت ساكتة ولم يخطر لها ان الذهاب عبد الله علاقة بما بناها في وجوده من الانقضاض . ولكنها راقفته الى باب الدار وتولست الى ان لا يطيل الغياب . فاجابها انه لا يدرى ساعة رجوعه لانه لا يعلم ما يكون من دواعي تأخره ولم يشا ان يروح لها بسبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستههام فودعها وخرج وهو يسرع في مشيته وافتخاره ناثنة في ما عاه ان يكون تفرض عمرو من دعوته على هذه المفورة

ولما وصل دار عمرو خنق قلبها خفافة ان يسمع من الحاجب خبرًا جديداً يزبد بلالة فلم يكلمه الحاجب الا يقول ان الامير يتذكرك في غرفه المخصوصة فمشى عبد الله الى تلك الغرفة وهو يقدم قدماً ويؤخر اخرى حتى وصل الى الباب فإذا هو مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه ثم فسح خطوات تسرع نحو الباب يخللها همس لم يتمم منه شيئاً . وبعد هنئة فتح الباب فإذا بعمرو ونسأله يلتفت لما رأه امام عينيه وعلى وجهه دلائل الغضب . فغيّه عبد الله فلم يزد عمرو على قوله «وعليك السلام» وستان الى صدر الغرفة فتبعد عبد الله وهو ينظر الى جوانب المكان

عَلَةٍ يُرِي فِيهَا أَحَدًا . فَلَمْ يَجِدْ فَالثَّبَسُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ لَا سَعَةً مِنَ الْمُسْ وَهُوَ إِقْفٌ خَارِجًا . وَلَكِنَّهُ رَأَى فِي بَعْضِ جَدْرَانِ الْمَرْفَةِ بَابًا عَلَيْهِ سَتَارٌ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ يَسْتَعْرِقُ إِلَى غَرْفَةِ الْأُخْرَى فَظَنَّ بَعْضُ نَسَائِهِ كَانَتْ عَدَدَهُ فَلَمَا عَلِمْ بِنَادِيَهُ صَرَفَهَا مِنَ الْبَابِ الْآخَرِ وَاسْتَقْبَلَهُ

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَتَكَبَّرُ فِي ذَلِكَ وَهُوَ مَاشٌ فِي ثَرَاءِ عَدْرٍ وَحَتَّى جَلَسَ عَدْرٌ عَلَى مَنْهَدِهِ فَوَقَفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَدْرٍ يَتَظَارِهِ بِالْجُلوْسِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ فِيلِسُ عَلَى وَسَادَةِ الْقَرْبِ مِنْهُ وَهُوَ يَتَظَارِرُ مَا بِأَنَّوْلَهُ وَفَدَ نَدَ صَرَبَهُ

الفصل السادس والتسعون

﴿الاستطاق﴾

فَصَبَرَ عَدْرٌ وَلَحْظَةٌ وَفِي بَدْءِ دَرَةٍ (سُوطٌ أَبْلَاعُهَا بَنْ بَدْرٍ) كَانَتْ يَشَاغِلُهَا عَنْ قَلْقِ بَخَامِرٍ ذَهَبَةٍ فَتَنَعَّمَ عَبْدُ اللَّهِ الْحَدِيثُ فَإِنَّا لَـ « كَيْفَ حَالَ مُولَّايُ الْأَمْرِ وَمَا الَّذِي يَأْمُرُ بِوَعْدِهِ فَقَدْ لَبِيَتْ دُعَوْنَهُ وَإِنَّ رَاجِهَ إِلَيْكُنِي امْرًا أَفْضِلُهُ لَهُ جَزَاءً لِبَعْضِ إِيمَانِهِ عَلَيْهِ مِنَ النِّفَلِ »

فَالثَّنَفَتِ الْأَدْعَمُرُ وَهُوَ يَشْطِطُ طَبَبَهُ بِأَنَّامِلِهِ وَقَالَ « إِنَّمَا دُعَوْنَكَ لِأَسْأَلُكَ سَوْلًا وَاحِدًا وَأَرْجُو أَنْ تَصْدِقِي فِي الْجَوَابِ عَلَيْهِ بِـ إِنَّمَا أَحْسَبْنِي أَجْرَكَهُ إِلَكَ مِنَ الْجَهِيلِ وَأَنْقَبْتُ عَلَيْكَ بَعْدَ أَنْ رَأَيْتَ الْمَوْتَ رَأْيَ الْعَيْنِ »

فَوَقَفَ عَبْدُ اللَّهِ احْزَارًا وَقَالَ « يَعْلَمُ اللَّهُ أَنِّي لَا أَنْتَ جَوْلًا أَوْ لَيْتَنِي أَيَاهُ بِأَغْفَاثِكَ عَنْ جَرِيَةِ افْرَقْهَا ثُمَّ بِأَنْعَامِكَ عَلَيْهِ بِجَبَانِي وَهِيَ خَيْرٌ هَبَّةٌ فَكِيفَ لَا أَصْدِقُكَ التَّوْلَ »

قَالَ ذَلِكَ وَفَلَيْهِ يَخْتَلِقُ خَوْفًا مِنْ سَاعَ مَا قَدْ يَكُونُ سَبِبَ لَقْبِهِ عَلَيْهِ « أَقْعُدُهُ عَدْرٌ وَقَالَ « بِلَغْنِي الْيَوْمَ مِنْ مَطْلَعِهِ إِلَى حَوَالَكَ إِنَّكَ إِنَّمَا جَعَلْتَ النَّسْطَاطَ مَعَ رَفِيقَكَ سَعْدَ لِلْقَنْكَ بِي فَهُلْ ذَلِكَ صَحِحٌ؟ »

فَهَبَسَ عَبْدُ اللَّهِ ثَانِيَةً وَقَالَ وَطْجَةُ الصَّدْقِ بِادِبَةِ عَلِيٍّ وَجْهَهُ « كَلَّا بِأَمْوَالِيَّ أَنْ مَا بِلَدَكَ مِنْ ذَلِكَ مَحْضٌ أَنْزَارٌ »

قال «وما الذي جاء يكرا اذًا»

قال «اما وقد سأله عن ذلك فاسمع لي ان اقول الحق وارجو ثقتك بصدق
قولي »

قال «قل الصدق ولا نبال فلما بآس عليك إلا أرأيت في كلامك عوجا
فلا تلم إلا نفسك»

قال «اقسم برأس الامير اني لا اقول غير الصدق ولكن حدثي طوبى فهل
اسطلاع كلها»

قال «اجهي اولاً على سوالٍ مختصرًا فإذا رأيت ما يدعوك إلى التنصيب حلبة .
سألتك عما دعاك إلى العبور للسلطاط والاجتماع بذلك الزمرة المعادية »

قال «انا جئت للبحث عن المولى امر على قتل الامام علي»
قال «ولماذا»

قال «لَكِي اهْنَلْ جَهْدِي فِي زَجْرِهِ وَانْقَادِ الْأَمَامِ مِنَ الْمُوْتِ»

قال «كَفِ تَعْلَمُ ذَلِكَ وَإِنْتَ أَمْوَى عَلَىٰ مَا أَعْلَمْ»

قال «لقد أجاّنني يا مولاي إلى بعض التمهيل لا نعرف جدي أبا رحاب»
قال «بلى أعرفه وقد سمعت بوفاته قريراً»

قال «نعم انه مات وقد كان الى يوم ما ته يكره عليه ويدعوه الى قتله ولكن في يوم ما ته استخلصي واستخلف ابن عمي سعيداً ان لا ينفي شرعاً على بيل ادا رأينا بيل الى الدفاع عنه ان نفعل . فلا سمعنا بالمؤامرة علينا ان المؤامر على قبل علي من اهل مصر ولكننا لم نعلم من هو فحبينا للبحث عنه ورد عمر بالتفى في احسن . ولم نر بيلارفته الا بواسطه اصحاب عين شمس لاتهم على دعوه دلي »

فقال «ألم تكن عالماً أيضاً بـ«أميرة رفيق ابن ملجم على قتلي»

قال « على ولولا ذلك لم استطع اهلاعاك عليه »

قال « وكيف أنت لم تطلعني على حال قدوتك

قال «وكيف انك لم تطلعني على حال قدوتك ألا تعلم انك تعد بذلك مؤامراً على قبني؟» قال ذلك ولحيه ترقص من شدة التأثر ولسان حاله يتولى لعد صحنه وغايته واكدت سخاشه

فقال «نعم اعلم بذلك ولكن حملك قد وسعني من قبل وعنوت عمما مضى وغمرتني بانعامك فانا رأيت ان تعود الى مطاليقك يوكان لك الامر ولكنني لا اخال الامير عمر بن العاص اذا عنا عن منصب ان يرجع عن عنقه»
فهذا معن عمر كلاماً افهم وسكت

وشعر عبدالله عند ذلك بقوة انبثت فيه وثارت الحمية في رأسه فهم ان يستأنف الكلام فابدره عمر و قال للا» ولكن يلغني انك عرفت خولة قبل ان اخطبها لك ولنها كانت عالمه بغير تلك الملوء امره فكيف لما ذكرتها لك ليلة الخطبة تجاهلتها» فارتبك عبدالله في الجواب وكاد يصر لوم بيت جاشة وقد عوّل على الصدق فقال «حاشاي يا مولاي ان اخدلك فاني ورأوك وكل غال عدي لم اكن اعرف هذه الفتاة قبل ان ذكرتها لي وامررت بان تكون زوجي»

فقال «وما تقول في سابق اطلاعها على خير الموارم» فغير عبدالله في الجواب ولكنه قنه لباب يخلص منه فقال «ذلك ليس لي ان اجيب عنه فان خولة جاريتك وفي تحبس عن نفسها ادعها الى ما بين يديك وإسلامها ولا اشك في اتها تقول الصدق ولكنني ارحب الى مولاي ان يخبرني في عنن وشي بما ايو لعلنا نكتبه بين يديه»

قال «ساجمعكم جميعاً واسع احتجاجكم جهاراً فاما اذا سمعت اقوالكم جاز يت كلآ» يا سمعته . اذهب الاآن الى فراشك عندينا وغداً لتأذنون قريب» قال ذلك ونظر نحو الباب ونادى «باغلام» فدخل رجل فقال له خذ عبدالله الى غرفة بيته فيها الليلة هنا وانني بوداً من دعوتها»

قال سمعاً وطاعة وخرج عبدالله والجاجب بسر امامه حتى دخل به غرفة في دار الامير النسبي الميت فيها ولكنه لم يخف لله جفن طول ذلك الليل

الفصل السابع والتسعون

* الجلسة الخصوصية *

ولما أصبح عبدالله خبر في هل يخرج الى الامير ام ينتظر امره . ولبث جالساً

حتى كان الضحي وإذا بالمحاجب قد جاء يدعوه إلى مجلس الامير في غرفة خاصة غير مجلسه الاعتيادي فشيء وهو يذكر في ماذا عن ان يكون من امر تلك المجلسة ومن هو الواشي وهل تستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما ي pemن بخواصها

ولاحظ منه الثناء على ساحة الدار فرأى هناك عبداً تذكر انه رأه ولم يلمسه ان عرقه فإذا هو ريحان عبد قطام فاختلط قلبها في صدره وقال في نسوانها والله وشأية هذا الخائنة واظنها ارسلت عيدها الى عمر وكما ارسلته في المرق الماغية لعنها الله وما زال مأشياً وهو يذكر في ذلك وقد تغيرت سمعته من عظم التأثر فرأى المحاجب دخل باباً فدخل هو في اثره فإذا هو متسلل على قاعة في صدرها الامير عمرو بن العاص كانه جالس للنفاس، وعلمه وجهة يمسأه وعلى رأسه عامة كبيرة وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدicens وفي يده الدرة والمجحة معها . فتقدم عبد الله توا اليه فجاءه ولم يلتفت الى سواه . فامرها بالجلوس ببرود ظهر الفرق بينه وبين مقابلاته الاولى . مجلس عبد الله في بعض جوانب الغرفة وارسل نظره فرأى الى جانبيه عبداً ابا خولة وعن يسار عمرو ثلاثة نسوة قد ارسلن الغاب على رؤوسهم فلا يظهر منهم غير العيون من ثقوب فيها . فعرف منهم خولة ولم يكن يجر على الترس بالآخر بين حياء . مجلس وهو يسترق اللحظة وينكر فخرط له ان اصحابه قطام جاءت هذه المرقة لقضاء حيلتها بنسها . ثم ما لبث ان عرف الاخرى فادى في لبابة العجوز فتحقق انبأها وشنا به وبعيد . وكانت قطام قد اصطلت الحداد على والدها واخيها بعد قتل الامام علي فارتدت كساها من الحرير المزركش بالقصبة صنع بلاد فارس احمر اللون ناصعة لا يستطيع لبسه الا الاغنياء وكان ثيابها مزركش الاهداب بما يدل على بذخ وترف . وتصور عبد الله جمالها وفضاحتها وحيلتها فعلم انبأها غلبت على رأي عمرو واقتنعه ان عبد الله وخولة يستحقان القتل او نحوه فأخذ يتأهب للجواب

ومضت برقه والكل صامتون وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يد كله ينكث البساط بها وبين الاخرى على حليته يلاعب شعرات منها بين انامله والاهمام باهدر بين حاجبيه . ثم رفع بصره ونظر الى الباب ونادي غلامه فدخل فتال له « لا تستاذن احد بالدخول علينا ولا تدع احداً يقترب من هنا الباب »

قال سمعاً وطاعة وخرج

ثم الفتت عمرو الى خولة وقال « اهذا جرا ، الثناني اليك يا ابا خولة »
فوقف ابو خولة وقد بعثت وقال « وما ذلك بامولي . اني لا اعرفني الا
مخلصاً لك خادماً لما صدك »

قال « ربما كنت كذلك ولكن خولة هن (وأشار اليها) تواطي الناس على قلبي
ونسعي في افراز ابن ابي طالب »

فلا يسمع ابو خولة قوله مثلي مسرعاً حتى امسك ابنته وقال « اني لا اعرفها الا
جار يمن جواري مولاي فإذا ارتكت شيئاً من ذلك فاني اذبحها بين يديك ودمها
هدر لك » قال ذلك وجذبها كانه يريد ايفافها وتقديها الى عمرو . اما هي فظلت
جاسة ولم تبال

فقال له عمرو « عد الى مكانك ودعها تنازع عن نسها فاني لا اريد ان
اعاقبها الا بعد المحاكمة فإذا صع ما قبل عنها كان القتل اخف قصاص لها »
فلا يسمع عبدالله تلك اللهجـة الشديدة اخراج قلبـة في صدره وخاف عاقبة ذلك
المجلس ولكنه تحمل وصبر

الفصل الثامن والتسعون

* دعوى قطام *

ثم الفتت عمرو الى خولة وقال « ما ثقولين يا خولة »
فوقئت وقالت بصوت رائق وجاش ثابت « ماذا اقول يا سيدى واما لا
اعرف التهمة التي وشي بها اليك الواشون . فإذا سمعتها ذكرت لك الحقيقة ولك
الامر بعد ذلك فإذا استوجبت القتل فما انا خير من قتل من رجال الاسلام في
هذه الفتنة !! »

فجعـب عمـرو لـتجـيـهـا إـلـىـ اـعـظـمـ ماـ حـادـثـ فيـ تـلـكـ الـأـثـنـاءـ . فـقـالـ هـاـ «ـ مـالـكـ وـهـذـاـ
الـكـلامـ بـاخـولـةـ قـوـلـيـ ماـ جـواـلـكـ عـلـىـ سـؤـالـيـ »

قالت « اذا كان الامير حرسة الله قد جعل دني حلالاً اين ثبتت التهبة على
فليس اقل من ان اسمع نص الدعوى الموجهة اليك »
قال « لقد صدقت واني مطاعوك في جرأتك حتى تبدي كل ما لديك من
اساليب الدفاع ولا اظننك اخيراً الا منفعة بمحابيتك لانها ثابتة ثبوت النور في النهار
اجلي استرجعي »

فجلست

فنال عرب ووجهه حديثة الى قطام « ما قولك باقطام بخولة وما تعرف عنهما »
وكان قطام كائناً في فصل سابق لما ارتاح بالاما من امر علي وقتلوا وعلت
ما دار بين خادمها وبين بلال خادم خولة اتها تحب سعيداً وهي التي وجهت
عبدها معه واستخته في الوصول الى علي قبل انتقامه الاجل المفروض لقتله . فجعلتها
الغيرة وهاجها حب الانتقام وطاوعها خلق السوء الذي فطرت عليهما تأتي
السلطاط نشي بخولة وسعيد وهي لا تشك اتها ثبت الجناية علمها فتنقرب بذلك من
عرب فتتال حظوة في عينيه فتقيم عنده مكرمة او يتزوجها احد ابنائه وكان عرب
يعرفها من ذي قبل . فاسرعت الى السلطاط ومعها بخولة وعبدها فوصلت بالامس
واسرعت الى عرب وبشرته بقتل الامام علي وروشت اليه بخولة وانها كانت مواطنة
لسعيد على اتفاق الامام علي وانها كان يعلمها خبر المؤامرة على عرب وسكنها عنها
وقد كان في امكانها لو اخلصها الخدمة لعرب ان يطلعها عليها . فاعمارها عرب
اذن مصيبة وبعث الى عبدالله كا نقدم . ثم رأى من الحزن ان يجمع الجميع ويسمع
چدامهم ومدافعنهم قبل ابداء الحكم

فلما قالت خولة قوطا في تلك الجلسة والحس عرب و من قطام ان تبسيط التهبة
بهضت ومشت خطوتين نحو الامير وثوبيها المزركش يجر وراها تنهى ويدخأ . ثم وفت
وقالت بتسار طلق فصح « اما ما يسألني الامير عنه فلا احتاج في اثناء الى
دليل . وتنصيل الامر ان مولاي الامير يعلم اخلاطي له ورغبي في خدمته حتى
انني حملنا سمعت بفتح العلوبيين في عرين شمس بعثت اليه رسولاً بخبره خبر ذلك
الاجقاع . ولو لم اجد من ابلغه في تلك المهمة لجئت بمنسي . ولم اذكر هذا الشاهد
الصغير الا دليلاً على اخلاطي . اما خولة واطلاعها على خبر المؤامرة فامر لاشك

فيه لاني اعلم علم اليقين ان سعيداً ورفيقه هنا (وأشارت الى عبداله) لما قدموا النساطط كاما عالموين يخبر تلك المؤامرة وقد سمع ذلك منها باذني . وها انا اتي للاجماع مع العلوبيين . وبعثت يومئذ عبدي بخبر ذلك الى مولاي الامير فلما عاد عبدي اخبرني ان جند الامير فجروا على العلوبيين وات عبده وسعيداً في جلتهم ولم يكن يعلم ان سعيداً نجا بمساعدة خولة هن . اما انا فاني عرف بذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعاً لاطلاع علي من اي طالب على خبر المؤامرة غيره منه عليه وقد ترك حياة الامير عمرى بن العاص في خطر التسلل . وكان رفيقاً في عودته بلال خادم خولة هن فانه صحبه الى الكوفة . فالتفى بهما هناك عبدي ريحان وانفع له من خلال الحديث ان بلال وخلوة عالموين بسر الامر . ولام يفتح سعادها في انتاد الامام علي فعمما بان يكون مولاي حرسة الله قد اصيب به ذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى اتنبه من مخالب الموت وحرسه بعون عنايه . فترى يا مولاي ما قدمنه ان خولة كانت حاملاً بخبر المؤامرة كما كان يعرفها عبداله وسعيد فلو كانت مخلصة لولانا الامير ما كتبناها عنه »

فقال عمرى « وما الذي يؤكد لنا ان سعيداً وعبداله لما اتوا النساطط كانوا عالموين بالمؤامرة على قولي »
وكانت لبابة الجوز صامدة الى تلك الساعة فلما طرح عمرى هذا السؤال ابدرته هي قائلة « لاشك انها كانوا عالموين بها لا يتها اخبارنا بها ليلة سرها الى النساطط ».

الفصل التاسع والسبعين

﴿ دفاع خولة ﴾

وكان فطام تكلم وخولة مطرقة تذكر بما ذا تحيب . أما عبداله فانه لعن الساعة التي انت بها تلك الخائنة وخف على خولة ان تلعم او تعلم لأن الادلة قوية اما والد خولة فلم يك يسمع حدث قطام حتى استنشاط غضباً وصاح في خولة

باعل صوته « الله عليك يا خائنة اند فهمت الان تلاعبك وننافك » ثم التفت الى قطام وقال « واي مى لني عبده عبدي مع ذلك الرجل في الكوفة »
قالت « ليلة ١٧ رمضان »

فاطرق برهة ثم اقترب من خولة وجدتها يدتها الى وسط الفماعة وقال لها بنهمة الانهار « لقد انكشف لي القناع وعلمت سبب فرار بلال كاترينين ارسلتو مع حبيبك ليساعدك على اقناذ اي تراب (علي بن ابي طالب) وقلت لي انه فرّ بالجبلين والظاهر انه اخذها معه ليركب هو ورفقة عليها » ثم التفت الى عمرى وقال « ان ابتي يا سيدى نسخت النيل اقتلها او دعنى اقتلها يبن يديك »

فوقف عبدالله للحال وقد ثارت فتو النيرة على خولة وهو يظن سكوها خوفاً او ارتباكاً لأنها لم ير ملاعيبها من وراء الغاب فامسك اباها يده وقال رزانة وسكتة يخاطب عمرأ « الشخص من مولاي الامير الذي امر ان تكون خولة زوجة لي ان يوقف اباها عبد حمد فهو الان لا يملك من امرها شيئاً . اما اذا افترضت هي ذئباً تستوجب عليه قصاصاً فالامر فيه مولاي وليس لاحد سواه »

وكان عمر و قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ولكن احب ان يسمع دفاعها وزرأى عبدالله يتكلم بحق وعدل فنال لاي خولة « دع خولة فانت كما قال عبدالله لا تلك من امرها شيئاً »

فتحي ابو خولة وهو ياهث و يدمدم و لحيته ترتعش في صدره . وتفى ايضاً عبدالله وخولة لا تزال وافنة . اما قطام فلو أزاحت خمارها لبان الا بهياج على وجهها للجاج ^{مهما}

فنال عمر « ما بالك يا خولة لا تدافعين عن نفسك . أليس ما قالته قطام عند صحراها؟ هل كنت عالمة بغير المواردة على قنبي »
قالت « نعم »

قال « وهل ساعدت سعيد اعلى اقناذ الامام علي فارسلت معه ادامك وجبارتك »
قالت « نعم كل ذلك صحيح »

فتعجب عمر و سائر الحضور من صراحة اقرارها و قد كانوا يتوقعون انكارها او تلاعيبها او حل الاقل سكوها . فناراًها تخوب بهن الصراحة قال لها « وكيف

تظهر بن هذه الغيرة على صاحب الكوفة (علي) مع علوك ان والدك لا يرى ذلك ثم لا ينطر بالاك ان تخبرني والدك بغير المؤامر على قتلي اكي يطلعني عليهـ الا نعلمين ان علوك هذا بعد خيارة تستوجبين عليها القتلـ وها اني لازال اطيل الي عليك لاسمع دفاعك فاخبربني اولاً كيف تكونين على غير ما يربك والدك وامير بلادكـ ثانياً كيف تسعين في اتخاذ علي بن ابي طالب ولا تسعين في اتخاذ امير مصرـ «

وقل ان هم خولة بالجواب اعترضها قطام قائلةـ ارجي مولاي الامير يتعجب نفسه بما لا طائل لنهـ هل بعد اقرارها الصريح من باب للتجاهـ ولا دواـ هذه الخائنة لا القتلـ »

فقالت خولة وهي تنظر الى قطام شذرـاـ « مواف بتصح لنا من هي الخائنة وقد يهدرك التاذب في حضر الامير فانه اعلم بذلك بقواعد الاحكامـ »

الفصل المائة

﴿ صدق اللهم ﴾

ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو قائلةـ « ارجو من الامير ان يطلق للسانى الحرية لاؤقول كل ما يجول في خاطريـ »

قال « قولي وما بدا لكـ »

قالت « اما سبب مخالفتي والدي في رأيه ومخزي للامام علي رحمة الله فهو لاني صادقة مخلصة في فكري وقولي وهو المحرف المتشلبـ . وما كت لا صفات والدي بهذا العيب لوم بضروري الى ذلكـ »

قال عمرو « وما معنى هذاـ »

قالت « يعلم مولاي الامير ان والدي ربي في نعم الامام علي وانا في تجرد مع اعتقادنا انه ابن عم الرسول (صلع) وانه على الحق في اعلائهـ »

فاراد والدهما ان يقطع حدتها فاعترضه عمرو والزمرة السكوت فقالت « فلما كانت واقعة صفين كان والدي في جملة من خالتهـ في امر المخفيـ من الخارجـ فهو

الذي اختر عنده .اما انا فظلت على رأيي ولا ازال عليه الى اليوم «
 فقال عمر و هو مجذوب مسارعها « ولكن علياً شارك الجهال في قتل الخليفة
 عثمان فتناه ظلمًا و نحن ائمته نطالب بدمه »
 قالت « اما مقتل الخليفة عثمان فارجو من مولاي الامير ان لا يطعني الى
 الخوض في شأنه لاني ربما اضطررت الى ما الجحيد ذكره »
 قال « وما الذي يجنيك بعد ما اهديته من المجرأة »
 قالت « يجنيني غضب الامير لامر هو داخل فيه »
 قال « قولي كل ما يدوك لك ولا تخافي »
 قالت « اما مقتل الخليفة عثمان رحمة الله فلا اظن مولاي عرضاً الا من جملة
 الراضين به »

فبخت عمرو وقال «وكيف تقولون ذلك يا خولة»
قالت «الم يكن مولاي في جملة المعاشر بن عثمان؟ الم نقل له قد ركب يا عثمان
اموراً ركبناها معك تب يا عثمان وارجع الى الله» ^(١) . فاسمعك هو كلاماً جارحاً ثم لما
قال لك اني تائب قلت له رأيتك توب ثم تعود «
قال «وهل يوجد من ذلك اني كنت اريد قتله»
قالت «كلاً ولكن يدل على انك كنت تافقاً عليه»
قال «انا كنت تافقاً ليرجع عن افعاله وبيني على خلافه»
قالت «لو كان هذا هو قصدك فقط لما فرحت بتلوكه»
فانذهل عمرو ومن سمعه اطلاعها على خنا با الامور ولكن لم يستطع الا استفهمها
فقال «وكيف تقولون اني فرحت وما دليلك على ذلك»
قالت «دليلي فريب اذا امسني الابير قتله»
قال «قولي»
قالت «الم نكن في فلسعيدين يوم قُتل عثمان؟ فكنت اذا ثنيت الراعي حرضته
على قتله؟ الم تحرض علياً وطلحة والزبير عليه؟ فلما جاءك رجل اخبرك بقتل عثمان
الم نقل انا عبد الله اذا حركت قرحة نكايتها؟» ^(٢)

فلا سمع عرق قوتها استغرب جرأتها وغضب لصربيها بأمور كان يود كثيابها ولكته سبق فائتها وكان داهية محوّل معاني الكلام كيف شاء فقال لها لقد اعججني دفاعك يا خولة ولكننا لسنا في معرض الدفاع عن علي أو عنان ولا يهمنا انحرافك أو انحراف والذك وإنما نحن في اطلاعك على خبر المؤامرة على قتلي ثم سكونك إلى آخر ساعة وبالذك بين بدي كل يوم فكانك اشتربت مع المؤامر « قال ذلك وهو يحسب نفسه قد غلبها وسدّ عليها ابواب الدفاع . وكان اشد الناس خوفاً عليه باعدها وقد خجل له انها لم تعد تستطيع دفاعاً بعد اقرارها السابق .

اما هي فهبت بالكلام فإذا بقطام تقول « اني لا اعجب من حلم الامير وما الذي يرجوه من دفاعها عن ذنب اعترفت به صريحاً »

فلم تعيا خولة يقول قطام ولكمسا اجابت عمرأ فائلة « اني لا انكر عليك عظم هذا الذنب بالنظر الى ما ادكت ترجمة من قيامي بامر الخوارج وموافقته والذى على تأييد امركم والتصديق على دعواكم ودعوى معاوية واتكم على الحق . وقد قدّمت لولاي باني فاعتذر ذلك وانا على دعوة الامام علي فذنبي من هذا التغول لا يوجد شيئاً بالنظر الى ما تستوجبه هذه المرأة (وأشارت الى قطام) التي انا جاءت بهذه الوشاية غيررة عليك وضناً بمحباتك فما همتي بالخيانة لاني على زعمها ادكت عالمة بخبر المؤامرة ولم اخبرك بها - فما الذي منها في عن اخبارك بذلك يوم ارسلت عبدها عبد السو للوشاشة باصحاب عين شمس . فإذا كانت هذه المرأة صادقة في دعواها ألم تكون هي اولى مني باطلاع الامير على ذلك الامر ؟ اسأله وانتظر في جوابها »

الفصل الحادي والماية

فشل الظالمين

فانتبه عرق كأنه كان في سكرة وصحا منها بذلة فرأى خولة مصيبة بدعواها فالثالثة الى قطام لذلة استفهام فلم يسمع منها جواباً . فقال لها « ما تقولين بقطام لماذا لم تخبريني بخبر تلك المؤامرة »

فاربكت في أمرها ولكنها اجابت وهي مبغونة وقالت «لاني لم أكن عارفة بخبرها يومئذ»

فترين عرب اللالاعب في كلامها وأكملت اراد لخنق ذلك فتال لها «ولتكن قلت الآن انك سمعت خبر المأمور منها قبل سمعك قبل ارسال عبدك اليها او بعد» فاخذت قطام بسواله فاجابت على التور «لم اسمعه الا بعد سفر عبدي وكانت عازمة على ارسال غير فلم اتمكن لشاغل خصوصية اهابي» فتقدمن حيتذر عبد الله وهو يكاد يرقص فرحاً بخللان قطام وقال «ولتكن عبدك يا ملحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفرنا لأنها اثنا قدم السلطاط ليخبر الامير بخبر وحنا من الكوفة»

فأشار عرب اليه فسكنت وعاد هو الى السؤال فقال «ورد على ذلك ان هذه العجوز تقول انكما سمعتما ذلك الخبر منها ليلة سفرها فما تقولون بذلك» فغلب الحق على قطام فقالت «هذه عجوز حفناه شاب عليها المحرف فلا يعتقد بقولها»

فغضبت لباية لعنوق قطام وإهانتها ايها على هذه الصورة وهي تعتقد فضلها عليها فقالت لها «وانما لم افل ذلك الا بعد قوله .. تبا لك من امرأة خائنة .. كيف تقولين ان المحرف غالب على وانت انت غالب عليك النفاق» فاشتد حتى قطام ولم تعد تعي ما تقول انشدها وتجعلها فقالت «اخرسي يا مبغونة ولا شكل لي بين يديك»

قالت لباية «بل انت مبغونة وانت الخائنة واذا لم تاري حدك اطلعت الامير على كل سرايرك وفتحت امرك»

قالت «وماذا عسي ان تقولي وانت خادمة لا يعتمد احد باقفالك» وكانت لباية قد تختفت وقوع قطام في شر اعمالها فارادت ان تخليص نفسها وتنجو بمحاجتها فلم تر ذريعة اهون عليها من ايقاع قطام بباية اسرارها بالاقرار .. ولا غرابة في ذلك فان من كان مثلها يموت الضمير سيني ، الخلق لاذمما يزجرها ولا عندها يعتلها يسهل انتلاجها من الشيء الى شيء فقالت «على التور ان اسرارك كلها تحت قدمي هذه واذا اذن مولاي الامير كشفت له كل شيء»

فسرت خولة وعداذه لذلك الحسام . اما عرو فرأى حسن سياسته ونعتلوا
ان خولة من بمحرص على بنائهم وإنها اذا كانت على دعوته لا يخشى انقلابها . اما قطام
فإنها اذا اخلصت له اليوم لا يأمن ان تخونه في الغد فقال للجوز « قولي
يا خالة ما نعرفينه »

فأخذت لبابة تلو حديث قطام مفصلاً من اوله الى آخره والكل ممعنون
ضامتون ففتحت اسرارها فتحقق عمر ان ارسالها عبدها اليه لم يكن حاجاً
ولا نصرة لحربه بل اتفاماً من سيد وعبد الله . وبين الديو ان هذين انا
اندفعا للدفاع عن علي بوصيحة جداً اي رحاب وانصح له جلياً ان قطاماً خائنة
لابوئق بقوطاً ولا يعتقد طلها وان بناء عافي قيد الحياة شرّ على العالمين . ولم يكن
اعتقاده بلبابة باحسن من اعتقاده بقطام لانه رأى خيانتها رأي العين فصم على
الخلص من كلها

وكانت قطام في تلكا حدث لبابة واقفة وقوف الصنم وقد جدد الدم في عروقها
واصطككت ركبتيها . وكانت في اول حدث لبابة ثم بتذكرةها وعمر سكتها ثم
سكت من ثلاثة نفسها . فلما فرغت لبابة من حدثها نادى عمر « ياغلام » فجاء
فأَمْرَأَهُ أَمْوَالَهُ وَعَجَزَهَا إِلَى غَرْفَةِ يَسْجُونَهَا فِيهَا

الفصل الثاني والمائة

﴿العنو العام﴾

فلا خرجت قطام ولباية من المكان عاد السكوت الى الجلسه وكلَّ في
مكانه وعمر غارق في بحار الدأمل فذكر في خولة وشهامتها وصدق موتها
فرأى انها اذا كانت على دعوته لا يخشى ضرّها بل قد تكون اكبر عنون له اذ يدر
عليها بين النساء وغلب على اعتقاده انها بعد مقتل الامام علي لم يبق لها ميل لتصريوه
فتفضل ان تكتسب رضاه عمر . وخصوصاً اذا عينا عنها وعن زوجها عبد الله
وبعد السكوت هيبة خاطتها قائلًا « ولأن ما قولك يا خولة ما الذي

نفعك بك »

قالت « لا ابابي يا مولاي بعد ان سمعت ذلك الحق ان تتعل في ما تتعله . فند صدقتك التول بسراحة لا اظن احد يغير على مثلك . فاذا امرت بقتل فاني لا ازد عدد الموتى ولا اقلل عدد الاحياء . ولا فائدة من بقائي ولا ضرر من مماتي وقد قلت لك في اول حديثي انه قد قتل وإندرج تحت التراب من لا اقياس بأمثلة من امثاله . فهل انا افضل من ابي بكر وعمر وعثمان ام انا خير من ابن عم الرسول (صلعم) فاذا شئت اقتلني وارجعني من حياة لا عدل فيها ولا حق » . . . ولكنني اطلب اليك اذا قتلتني ان لا تعنو عن تلك الخاتمة الغادرة » قالت ذلك ودمعت عيناهما ففيما بقي عمر و من صدق لجهتها و ثبات جاشها فقال لها « واذا عنوت عليك » قالت « واذا عنوت فالعنون شيم الکرام وتكون حياتي هبة من عندك » فتقدمن عبد الله للحال وجدا بين يدي عمر وقال « ارغب الى مولاي كما واهبني حياتي ان يهبني حياة هذا الملوك الطاهر فتكون كلامنا هبة من فضله » وكان والد خولة لا يزال واقفاً وقد سخر بما ابدته ابنته من الحمية والشهامة وقد تحمل لانه لم يكن صادقاً في اخلاصه لعلي مثلكما . فلما رأى عبد الله يشنس العنوان بعنوانه وقبل يدي عمر وقال « لقد كنت يا سيدى اشد نفقة منك على خولة ولكنني اراها والله خيراً مني واراني اصغر منها فالناس لما سمعوا ايضاً » قال ذلك ونادى خولة فدنت فقال لها « قلي يد الامير واستغفريله » ففعلت واصناع ابو خولة وعداته وعادوا الى مقاعدتهم وقد تذكر عبد الله ابن عم وهو بعيداً وعلاقته بخولة فقال في نفسه اياها فرصة لا يدعني ضياعها فخاطب عمرأ قالاً « اما وقد وهنتا حياتنا جزاء لصدق لجهتنا فلا يسعني والحالة هذه الا ان ام الصدق يكشف سر لا يزال مكتوماً »

الفصل الثالث والمائة

﴿ كشف السر ﴾

فلا قال ذلك علمنت خولة انه سيفكل بذاته سعيد فخنق قابها وغلب الحياة عليها

فانزوت في بعض جوانب الغرفة

اما عمرو فقال لعبد الله « قل ما يدالك »

قال « انت تدعوني الان زوج خولة وما انا والله الا اخوها »

فيبلغت عمرو ابو خولة وقال عمرو « كيف لا وقد كذبت كتابك علية »

قال « نعم انها زوجي بالكتاب ولكنها لازالت بكرًا وقد آخجها فهي اختي

بعهد الله والرجل لا يتزوج اخته »

فازداد استغراب عمرو وقال « وكيف ذلك اقصد يا عبد الله »

قال « لان خولة احبت ابن عي سعيداً قليلاً ولا بد انكم لحقتم بذلك من خلال

حدث قطام وكذبتي لم اعلم بذلك الا بعد كتابة الكتاب ونظرًا لحبى الشديد لابن عي

وقد كذبتني بوصاية جدي اي رحاب أمسكت نفسي عن خولة وأخيتها . واعترف لمولاي

امير انانو طاغي على الخروج من السلطاط الى الكوفة بجهله وسعيد يحضرنا هناك

فائز خولة اليه »

فلما سمع عمرو كلامه ازداد انجماً بشانته وصدق مواده ونظر الى ابي خولة كأنه يستطلعه رأيه في الامر فاذا هو لم يكن اقل انجماً بذلك الشهادة . وآكله لم يقالك عن ان بهض وضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه وقال « بورك فيك من صديق صادق فاذ صارت خولة اختاً لك فاقض لها ما انت فاض »

فقال « اذا امر مولاي بعشنا الى سعيد وهو في الكوفة مع بلال العبد

فيقدمان علينا فيكتب الامير كتابة باسمه »

فقال عمرو « ان ذلك لك على الرحب والسعة » وامر غلامه ان يد

عبد الله بما يريد ما يتعلق باستئدام سعيد

فيظهر عبد الله رسولًا وكتب الى سعيد يستنده ويسقط له وانعنة الحال واوصي

الرسول ان يجعل طريقه بدمشق لان سعيداً كان فيها فلعلة لا يزال هناك

وابناؤذن ابو خولة وابنته بالانصراف الى بيته فاذن لها خرجا وخلوة تذكر في

قطام وكانت قبل هذه الجلسة تربى الاختقام منها ولكنها لما رأت ما كان من فشلها

انفتاح حمأة اتفاقها . على ابنتها تذكرت ان بلا اقسام ان يقتلهما باهلك عن حد سعيد

عليها فعوالت ان تستعطفة لكي يعنون عنها ويكتفي بها اصحابها من التسلل والاهانة

ولما عبد الله فاستيقاه عمرو عنده بقية النهار وبات تلك الليلة ضيئلاً في دار الامير وقد ارتأح بالله من كل قبيل . ولكنه كان ينكر في قطام وما اصاها من البلاء وكيف سبقت الى الصين مهانة وقد انكشف امرها وافتضح سرها فخفت نفسيه عليها واكفي بان تبقى مسبحونه حتى يرى ما يكون من امرها بعد قدوم سعيد وفي الصباح التالي بعث عمرو اليولينتاو القلعام معه فذهب وفي اثناء القلعام تحدنا بمحبته قطام ويعجزها فذكر عبد الله ما يحول في خادل من الشفقة عليها فقال له عمرو « انة والله حلم لم يسبقك اليه من .. وما ذلك بخولة هل تتول قوله ؟ » قال « لا اظهمها الا على رأي بلا تطاو » .

الفصل الرابع والمائة

الجزء والقرار *

فاحب عمرو ان يجرب ذلك فبعث الى خولة فلما جاءت سألها عن رأيها في قطام

فقالت مثل قول عبد الله تقريراً

فقال لها عمرو « اني والله لا اعجب من هذا التوارد وانه دليل صريح على طوب عنصرها وقد كدت او اردتها فقلها قتلها لا يها شربة تستحق الدبق . فاري اذا ان اعجبها في سجين ، ظلم لندوق بجزاء ما جنته بداعها »

ثم نادى علامه الخضر فامره ان ينقل قطام الى سجين مظلوم وان يأتى به عمرو اليه فذهب القلعام ثم عاد وعل وجهه امارات البفة

فقال له عمرو « ما وراءك هل فعلت ما قاتلة لك »

قال « كلآ يا مولاي »

وقال « ولماذا »

قال « لاني وجدت الغرفة متنبحة وليس فيها سور جنة المرأة الحورز »

قال عمرو « وقطام ؟ »

قال «لم أقف لها على أثر»

فصاح عمرو «تبأ لتلك اللعنة الخائنة هيا بنا شخص الامر بنسنا» قال ذلك واسرع اساعي وبنعة عبد الله وخولة حتى أتوا بباب الحجرة التي كانت قطام محبوبة فيها . فاذا بتلك الغبور المسكونة صرعاً هناك لا حراث لها . فارسل عمرو الى طيبه ليشخص سبب وفاتها فجاءه وبعد الفحص قال انها ماتت خنقاً بعنف بعد جهاد ودفاع لانه رأى في فيها سجراً ملتوياً يندبيل كان النازل منه يه فاما لثلاً تستوي في سبعها المخراة فيكشف امر

فقال عمرو «ومتي كان ذلك»

قال «أذلة وقع في منتصف الليل او نهاره»

فحول عمرو انتبه الى باب الحجرة وتأمل خلعة فتبيين له انه خلع من الخارج لانه رأى آثار معالجته بادات من الخارج . فقال «يظهر ان قطام ليست وحدها القاتلة لأن بدأ عاليت الباب وتختفه فمن فعل ذلك يا ترى»

وكان خولة لما رأت لبابة مائة قطام قد نجت استل لما كانت تبغى من العنوانها وتضاعفت نعمتها عليها ولو حضرت بين يديها في تلك الساعة لقتلها يدها وكان عبدالله يشارك عمراً بالبحث فلما رآه يبحث عن خلع الباب اثنى ل ساعده وقال «لقد كثنت الغافض وعرفت القاتل انه ريحان عبد قطام فقد شاهدته في دار الامير بالأنس قبل الحادمة ولم اسمع الامر امر بالقبض عليه . انه احتال بخلع الباب وساعده سيدته على قتل الغبور انتقاماً لها او خوفاً من لسانها»

فصاح عمرو للحال «لقد اصبت كدر الحقيقة انه ذلك العبد يعني ثم امر بالجريمة فهللت ودفعت وعاد الجميع آسفون لتجاه تلك الخائنة من بين ايديهم ولكنهم عزوا انفسهم بنسنا ، المودة بهم وخصوصاً خولة وعبد الله فانهما كانوا يهقمان قدومنا سعد ولا ينفص عيشها الا فرار قطام وقتل الامام على ان عمراً عوّل على الجث

عنها ومعاقبها

الفصل الخامس والمائة

﴿غُوَلَةِ دَمْشَقِ﴾

اما بلال فلما بعده عبد الله ليترخيص مع سعد في الكوفة سار الى دمشق ورأى سعيداً بايظاره هناك فاحسّن له ما قرر التزار عليه واستنهضه للسير الى الكوفة فامضوا يومين ربما يقضى بعض المحتاج . وفي امداد اليوم الثاني سعد اصحابها وخرجا على جبلهما على ان يبيّنا تلك الاية في غولاة دمشق . وبيّنا في اليوم الثاني على طريق الكوفة

وفي خروجهما من باب المدينة لقيهما رسول الدناء الدائم لتنبهانها الى النسلاط وهو يعرف بالآفاؤقة ودفع الاتناء الى سعيد فـ «أـ سـعـيدـ وـهـوـلـيـزـهـاـ فـعـطـلـ مـاـ نـالـهـ مـنـ الـتـرـحـ لـلـتـبـيـضـ عـلـىـ قـسـطـامـ مـعـ رـبـانـاهـ ثـرـ وـعـلـمـوـسـهـ وـرـبـوـقـ خـولـهـ الـبـوـ اـمـاـ بـلـالـ فـخـافـ لـلـقـيـضـ عـلـىـ قـسـطـامـ فـعـيـاهـ مـعـادـةـ اـنـ يـمـنـواـ عـلـىـ قـدـامـهـ اوـ اـنـ يـقـنـلـهـ اـحـدـ سـوـاهـ وـهـوـ بـوـدانـ يـقـنـلـهـ اـيـنـ لـيـقـنـنـهـ مـنـهـ اـذـلـهـ فـقـالـ سـعـيدـ لـلـرـسـوـلـ «كـنـاـ خـارـجـيـ، اـمـنـ اـنـ اـلـمـعـادـ اـبـدـ فـيـهـ وـهـيـمـ اـلـ كـوـفـةـ فـأـرـىـ بـعـدـ اـنـ حـلـلـاـ اـسـفـالـاـ اـنـ يـقـنـلـ فـيـ طـرـيقـهـ اـلـىـ الـكـوـفـةـ» . فـ هـالـ وـهـيـمـ اـلـ كـوـفـةـ فـأـرـىـ بـعـدـ اـنـ حـلـلـاـ اـسـفـالـاـ اـنـ يـقـنـلـ فـيـ طـرـيقـهـ اـلـىـ الـكـوـفـةـ . فـ هـالـ وـهـيـمـ اـلـ كـوـفـةـ فـأـرـىـ بـعـدـ اـنـ حـلـلـاـ اـسـفـالـاـ اـنـ يـقـنـلـ فـيـ طـرـيقـهـ اـلـىـ الـكـوـفـةـ . فـ هـالـ وـهـيـمـ اـلـ كـوـفـةـ

في الفتن السادس النسلاط « فـسـارـوـ جـمـيعـاـ حـتـىـ وـرـثـلـيـ عـدـ الـغـرـوبـ الـكـوـفـةـ وـمـغـرـبةـ حـوـلـهـ اـشـبـاعـ الـتـلـاخـ وـالـمـشـسـ وـالـسـرـجـلـ وـالـكـوـفـةـ تـحـلـهـ اـلـعـدـ اـلـغـورـ وـقـدـ حـلـتـ فـتـنـةـ الصـنـادـعـ يـقـلـلـهـ اـحـيـفـ الـأـشـبـاعـ وـصـدـرـ الـصـرـاـمـ وـهـبـوـ الـرـبـحـ وـنـعـرـ بـهـ الـفـنـدـرـ هـاـ بـشـرـ الـصـدرـ وـبـنـدرـ مـنـالـهـ فـنـورـ ثـلـاثـ الـمـوـمـةـ خـطـلـ الـأـحـالـمـ وـأـشـفـلـ بـلـالـ وـرـفـيـةـ بـاـعـدـ الـدـنـاءـ مـاـ سـمـ . وـلـ يـعـنـوـ الـسـنـامـ هـاـ الـبـالـاـ كـهـةـ

وـكـانـ بـلـالـ يـعـرـفـ صـاحـبـ ذـلـكـ الـبـالـاـ وـقـدـ زـلـ عـدـلـهـ لـلـهـ ذـذـوـهـ وـرـىـ السـنـاطـ فـتـرـكـ سـعـيدـ اـوـ الرـسـوـلـ وـمـئـيـهـ بـنـ الـأـشـبـاعـ بـحـثـ جـمـيعـ الـدـنـاءـ اـنـ سـرـيـةـ الـمـشـنـقـ وـلـمـ يـرـىـ بـرـهـ حقـ اـخـطـلـ الـطـرـيقـ لـكـانـقـ الـأـشـبـاعـ وـجـمـلـ بـلـاسـ فـيـ سـوـدـ وـعـوـلـ بـرـادـ اـلـهـلـلـ وـبـعـدـ اـحـيـ اـصـحـ وـبـنـهـ وـبـنـ رـفـاقـوـهـ وـلـ وـعـضـ اـخـلـ وـهـوـ لـاـبـدـرـيـ وـقـفـ يـهـرـسـ مـنـ

بين الأشجار لعله يرى نوراً أو يتيقن المنزل من وراء الأفق . ولبث برهة إعمال فكرته ومحاول ان يعرف الجهة التي ترك فيها رفقة اكي يعود اليهم ولو بلا شيء وفيها هو يذكر وقد هدا الجن وسكت الطبيعة لا يسمع فيها غير تنهيدة الصنادع عن بعد وإذا بصوت اجهلة وهو جعير جمل عقبة جعير جمل آخر فعلم ان النادين ركب امسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث ينتظر وصوالم لخاطفهم ويسألهم منهم عن الطريق . وكان قد استد ظهوره الى شجرة فنطاعول بعنقه وتنصل ليختنق الجهة التي سمع الصوت منها فسمع لقطاً وكلاماً استلانت اتباهاة فاصاح بسمعوا فاذا يقاتل يقول « دعنا ننزل هنا يا ريحان فاذا اصبعنا دخلنا دمشق لاني أخاف ان يستخفونا اذا دخلناها في القلاب ... الا نظنا في امان هنا؟ »

وعن الجواب « نعم يا مولاني »

فانشعر بدن بلال عند سماعه ذلك الصوت وقد ادرك لأول وهلة انه صوت قطاع وخصوصاً لما سمعها تخطيط ريحان بما يازجه خوف . وتخزن للحال اتها آية فراراً من سجن النسطاط

الفصل السادس والمائة

﴿ التزول ﴾

وكانت قطاع لما أرسلت الى سجنهما قد حندت على لبابة كا قد علمت . ونظرًا لما فطرت عليه من اللوم والنساؤ لم يكن اهون عليها من قتل لبابة ولم تعيا بها كان لها في خدمتها من التعب . وكان ريحان يومئذ واقفاً في دار الامارة فلا رأى سيدته ولبابة سائرتين مخنوتين علم انها في ضيق فراعي اللوم يبصري حتى عرف الحجرة التي حبسوها فيها . وعمل فكرته لانهادها . وكان عدد اول وصوتم النسطاط قد نزلها في دار الامارة فاحتلال في اخراج الجن والإيمامة الى مكان خارج النسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطاع وقد هبها لمعالجة الباب . فسمع لقطاً فاذا هو خصم احدى بينها وبين خادمهما . فاستجهل في

فتح الباب بالعنف، ودخل فلارأته قسلام اشارت اليه ان به اعدها على قتل اباهة
فصاحت هنـه « يا لـلاـلاـ ، يا مـالـمـةـ يا فـاجـعـ اـفـيـ اـنـوـبـ اـلـهـ عـارـقـتـ » في سـيـلـكـ ، منـ
الـذـنـورـ . وـاـمـاـ اـسـتـ فـلـاـ نـجـاكـ اـهـ مـنـ عـاقـبـ آـثـامـكـ وـ...ـ...ـ » فـاـيـدـرـهاـ رـبـحـانـ حـالـاـ
فـسـدـ فـاـهـاـ وـخـفـتهاـ وـخـرـجـ بـسـاـنـتوـ منـ بـابـ ، كـانـ قـدـ عـرـفـهـ وـاسـنـنـىـ بـوـاـبـهـ . فـلـاـ
بعـدـ عـرـقـ السـطـاطـ خـرـولـ بـهـاـ الـىـ مـاـ مـنـ تـانـ قـدـ اـتـىـ مـاـ دـوـقـ الـجـمـالـ . فـرـكـاـوـهـ
تـلـقـيـ عـلـىـ بـهـاـنـتـوـ . شـفـورـهاـ بـرـ ، الـجـمـيـةـ الـقـيـرـ ، تـسـيرـ فـيـاـ خـاـخـارـتـ دـمـشـقـ لـانـ فـيـاـ اـمـاـنـ مـنـ
اـهـلـهاـ كـانـواـ قـدـ بـحـرـواـ الـكـوـفـةـ بـعـدـ اـقـيـمـ الـهـرـبـ وـزـانـ وـفـشـلـ الـخـوارـجـ وـاـنـاـمـاـنـ فـيـ دـمـشـقـ
نـسـارـاـ حـقـ اـتـيـاـ الـقـوـلـةـ فـيـ تـالـكـ الـلـاـلـهـ بـعـدـ دـوـلـ وـسـولـ عـدـ اـنـ يـقـعـ سـانـاتـ
كـانـ قـدـ رـأـيـ . وـكـانـ بـلـالـ مـاـ تـأـنـدـ اـهـلـهاـ قـسـامـ وـرـبـحـانـ لـمـ يـعـدـ يـعـلـمـ كـيـفـ يـخـرـجـ .
وـقـالـ فـيـ شـهـرـ الـلـهـ سـوـلـ . وـلـهـ اـنـيـ سـاـذـنـهـ الـمـوـتـ ، يـدـيـ هـذـهـ . وـجـسـ
مـعـكـافـةـ فـرـأـيـ الـخـبـرـ فـرـيـ . قـلـبـ ، مـعـكـافـةـ الـخـبـرـ لـيـرـ ماـ يـتـوـنـ مـنـهـ . فـاـذـاـ هـاـ قـدـ
سـارـ خـلـعـلـاتـ فـلـاـتـهـ حـقـ اـتـيـاـ الـلـهـ قـيـمـهـ لـاـخـدـارـ مـاـهـاـ خـرـيـرـ وـخـانـسـ الـلـهـانـ شـخـرـهـ مـنـ
الـمـسـافـهـ بـسـتـفـلـلـ بـهـاـ الـلـاـلـهـ فـيـ اـنـتـهـاـ الـهـارـ . فـخـوـلـاـ عنـ الـجـبـلـونـ ، وـضـرـبـ رـبـحـانـ الـذـنـورـ
كـالـعـادـةـ وـاـوـقـ الدـارـنـ قـالـ بـلـوـلـتـهـ » اـسـتـرـيجـ ، يـاـسـيدـتـيـ وـبـنـاـ اـلـلـهـ الـسـنـانـ ، لـيـ فـيـ الـكـ
يـعـقـ الزـادـ فـيـ الـلـاـلـهـ وـاـهـ . هـاـ فـيـ مـاـ مـنـوـ »

فـالـلـتـ » سـرـ وـلـاـ تـنـلـلـ الـقـيـامـ . »

قـالـ « حـسـنـ » وـإـسـرـفـ

الفصل السابع والمائة

﴿ على الباقي تدور الدوائر ﴾

وـكـانـ بـلـالـ وـإـفـقـاـ يـسـرـرـ الـلـوـ . فـلـماـ رـأـهـ تـوـارـيـ اـنـتـرـ اـلـهـ تـنـامـ عـلـىـ صـدرـسـ الـلـارـ فـاـذـاـ
جـيـ قـائـمـ وـقـدـ كـشـفـتـ عـرـقـوـجـهـاـ وـعـقـبـهاـ وـثـبـتـ مـنـ سـاعـدـهـاـ لـمـ رـأـهـاـ تـهـنـستـ وـسـانـهـاـ
مـدـلـةـ عـلـىـ كـثـيـرـهـاـ وـتـاهـرـهـاـ وـفـيـ اـلـمـرـافـ الصـبـارـ دـاـبـرـ مـلـةـ اـذـاـ تـسـادـتـ اـنـاءـ
الـمـنـيـ سـعـ طـارـتـنـ . وـمـشـتـ اـلـهـ تـنـاءـهـ وـدـيـجـيـرـهاـ وـخـلـعـهـاـ عـنـ خـشـبـهـاـ . حـفـافـ

بلال اذا ابطأ ان تتواء المفرضة فوتب عليها وهي ثم بالجلوس على حافة النهاية وأمسك بعلوها وجد بها اليه فوقعت على قنادها فجئها على صدرها . فصاحت « ريحان » وقبل ان تم كلامها وضع بلال فضفحة في فمه وقال لها « لم يبق لك في هذه الحياة الا دقائق قليلة فاعلي قبل ان تفارقها اني بلال خادم خولة وسعيد وهي متنعم للامام على » فاشارت بعينيها اليها تربى الكلام فاستل الخبر وصوبه الى عندها وقال لها « تكللي بهدو وإذا رفعت صونك اخذت هذا الخبر في عننك »

قالت « ارجعي يا بلال واشتف على حياتي »

قال « لا يرجعني الله ان رحيلك وانت قد ضافت ابن مليم وحرضت على قتل الامام علي . واردت قتل شابين من خيرة الشبان . ولكن جيلتك لم تتعال فهمها . واخيراً جئت السلطان لاغراء أميرها على خولة . كيف ارجوك يا خائنة »

قالت « ذلك قد مضى يا بلال وإننا تائبة فاعف عن قبلي ولذلك كل ما املكه »

قال « هل يتوب المرء !! . وما العبر عن قاتلك فوالله لو عرفت فصاصاً اعظم من القتل لناصبيك بو لأن القتل قابل على فاجرة خائنة بذلك »

فهمت ان تحيبة فادرك اليها بخطاطلة ربها يعود ريحان

فنال لها « اعلى يا قطام اني قاتلك انتقاماً للامام علي » قال ذلك واغد خبره في عندها واسرع فاحجز رأسها وترك الجهة وما شغور ما زال يرن في اذنيه الى مسافة بعيدة . وكان لما رأى ذلك النساء قد عرف الطريق المؤدي الى مقر سعيد فانسلَ بين الاشجار وقد أمسك الرأس من جدائله وتركه يندلى والدم ينطر منه

الفصل الثامن والمائة

﴿ الفاكهة الغربية ﴾

فلما وصل بلال الى سعيد والرسول الجديد كان قد استبطأه وانشغل خاطرها عليه . فلما سمعا وقع اندامه صاح سعيد فيه فاندلأ « اين الفاكهة يا بلال لقد ابعاث وغلب علينا الجوع »

فلم يجده بالآل وأكبه بالآل ماشيأ حتى وقف أباهه ودى الجبارة بون بايه وقال
هذوه فاكش ".

ناجف سعید و ایثار فادا هر رأس قطام بافرانه و سناشه و استغرب أمره فـ الله
عن فحص المخبر

فقال «ليس هنا وقت السؤال هلوا نناشرج من هذه العولة الآن فإذا
أهلا من عيون الحكومة اخترركم الخير»

فهضوا وهم الى تلك المسألة لم يذوقوا العلاماً ورکعوا سالمين واسترموا جهراً
ملائتهم وهم تارة يصعدون نلاً او ينزلون شوراً او مدة موسوعة في الماء وملأوا
يدوسرون الاشواك او تتسادم رؤوسهم واكتافهم فهموت الاشجار حتى انتصف
الليل خانقها الى جهل قليل الارتفاع وهذا يعادل عن دعوى فوجي فيما ذكره
فقطهنا انهم أسلوا العيون

فيما يلي الاستراتجية على مقدمة بالفروع، من عزو، ما، جار، و، و، في شوق شديدة
إلى باغ تحويل مقال تلك المرأة

لنفس ملال حدتها وقلة تقوس من زنة الملح طيارة، اذ لا يخرج
البوجبة من جرابه كان قد خلاها ذرة وتنبعها على المقدمة بغير بذرة
وكان شعرها قد تحول بالدم والعناء ملائكة، ولذلك، متوجهاً عن ايات
كالاولاً وستة ايجاب لازم الباقي في سعاداته، الارأة تم هنا، اللون بالغ فرازه وما
نظام به من الدعام

الفصل التاسع والمائة

الموت ثورة الادباء

فَلَمْ يَعْدْ يَكُنْ إِلَيْهِ جَوْزٌ فَلَمَّا نَادَاهُ هُوَ سَارِدٌ كَلَّا لَهُ هَذَا
أَسْتَعْظُ بِكَافِيَّةِ بَحْرَةِ وَسَالِكٍ فَلَمْ يَكُنْ لَّهُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا الْجَوْزُ إِلَّا وَهُوَ مَوْضِعُ
بَعْضِ شَدَّدَةِ وَدَقَّةِ قَرْبٍ فَلَمْ يَكُنْ لَّهُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا الْجَوْزُ إِلَّا وَهُوَ مَوْضِعُ
بَعْضِ شَدَّدَةِ وَدَقَّةِ قَرْبٍ فَلَمْ يَكُنْ لَّهُ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا الْجَوْزُ إِلَّا وَهُوَ مَوْضِعُ

ابن طهجم كما فتني . و به اثن الشهرين عقدت له على نفسك اذا قيل الامام كما عقدت لي . انك ستكلقيه عاجلاً و ستكلقيان علياً في مكان لا يخفى فيو خافية . في مكان تعال فيو كل نفس جراء ما صبعت ان خيراً و ان شرّاً »
ثم التفت الى بلال وقال « ماذا نعمل بهذا الرأس »

قال « نحمله الى النسخاط لاضمه بن قدسي خولة ذلك الملوك الطاهر »

« قال لا اظلهما تسرّ بهذا المرأى ولا انا سرت به . و زد على ذلك ان هذه الجمجمة لا تصل النسخاط الاً بعد ان تدع و تصاعد عنها رائحة تضرّ بها النفس »

فاطرق بلال هيبة وهو يتأسف لعدم استطاعته حمل الرأس الى خولة ثم قال

« فاسمح لي اذا ان احمل علامة منه »

قال « وما هي تلك العلامة »

قال « اقطع منه الاذنين وفيهما الاقراط وأقص هدا الشعر وفيه الصنائر الذهب »

قال « لك ذلك فاضلها »

فاشتعل بلال في ذلك على ان يستريحوا هناك ويتناولوا العدة ويعزموها

على النسخاط

الفصل العاشر والمائة

﴿ اذا سقط اللثيم لا يلقى نصيراً ﴾

اما ريحان فإنه عاد من عدد البستاني بعد قليل وقد اعد كل ما ترناه اليه سيدته من التاكمة والاطعمة وامر البستاني ان يشوي بعض اليوم . ولما دنا من الخميس سمع شخيراً كغيره النائم وكانت قطاعاً اذا نامت شغرت ، وهو يعرف فيها ذلك . فقال في نفسه يظهر انها لم تهالك عن اليوم من شدة العصب . ودنا منها فاذاد في بجانب النداة والظلام حالت و النار التي اوقدوها قد خمدت فلم ياتيه لهااما فقال في نفسه لا زير في الشع و اعد المائدة ربها : يق فانار الشمعة ولاحت منه الفتنة الى سيدتو فرأها تتحرك فاقبل اليها فاذا هي تخليخ اخجلج الزراع وقد أصبحت جنة بلا رأس

ورأى دمها قد عَكَرَ النَّدَاءَ . نَبَهَتْ وَالْمُوْلَمْ وَجْهَهُ وَوَقَفَ لَحْظَةً يَنْكِرُ فِي مَنْ عَنِيَ أَنْ
يَكُونَ فَدْ فَعْلَ ذَلِكَ فَقَالَ فِي نَسْوَهُ « لَا يَأْتِلُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ حَدَثَ بِإِعْزَازِ
عَمْرُونَ بْنِ الْعَاصِ وَالْقَاتِلِ قَدْ فَرَّ إِلَيْهِ وَلَا سَبِيلُ إِلَيْهِ . إِذَا أَنَا صَحِّتُ وَجَمِيعُ
الْأَنْسَابُ لَا أَظْنُ النِّهَمَ إِلَّا وَاقْعَدَ عَلَيْهِ »

فَغَيْرُهُ فِي أَمْرِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُ مَا ارْتَكَبَهُ قَطَامُ مِنَ النَّظَانَعِ كَمَا يَنْهَا يَمْحَاوُلُ أَنْ يَنْتَسِي
عَذْرًا إِذَا تَخْلَى عَنْهَا . فَرَأَى إِنْهَا ارْتَكَبَتْ عَظَامَهُ تَسْتَعْنُقُ التَّنَلَّ عَلَى كُلِّ إِحْدَادِهِ .
وَتَذَكَّرُ مَا ارْتَكَبَهَا مِنَ الْمَالِ الْكَثِيرِ وَالْمَصَاغِ الْغَيْرِيْنِ وَإِنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ يَعْرُفُ مَخْبَاهَا فِي
الْكَوْفَةِ . فَطَلَعَ فِي أَكْسَابِ ذَلِكَ الْمَبَرَاثِ وَصَمَّ عَلَى اغْسَامِ هَذِهِ الْفَرَصَةِ فَهُمْ هَا عَلَيْهَا
مِنَ الْحَلِيِّ فَاسْتَخْرَجَ الْأَسَاوِرَ وَالدَّمَالِجَ مِنْ يَدِيهَا وَالْعَنْوَدَ مِنْ عَنْهَا وَجَمَعَ مَا فِي
جِيوبِهَا وَصَنَادِيقِهَا مِنْ غَالِيِ الْمَنْ وَخَنِيفِ الْمَهْمَلِ . وَتَرَكَهَا تَخْبِطُ بِدَمِهَا وَلِسَانَ حَالَهُ
يَنْوُلُ « ذَلِكَ هُوَ جَرَاءُ الْقَوْمِ الْعَظَالِيْنِ » وَدَخَلَ الشَّامَ فِي الصَّبَاحِ الْثَّالِثِي فَاشْتَرَى
أَنْوَابًا تَكْرِفُهَا وَقَصَدَ الْكَوْفَةَ فَاسْتَخْرَجَ مَا خَبَاهَا قَطَامُ هَنَاكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَإِيَّاعَ لَنْسُو
ضَيْعَةً اقْتَامَ فِيهَا إِلَى آخِرِ حِيَاتِهِ

وَإِنَّ الْبَسْتَانِيَّ فَكَانَ قَدْ أَعْدَّ الطَّعَامَ وَحَلَّهُ وَفِيهِ الْجِنْ وَالْفَاكِهَةُ وَالْخَزَّافُ فِي سَلْ
وَجَاءَ إِلَيْهِ مَوْضِعُ الْخَبِيْبَةِ وَهُوَ سَرُورُ بَشَّالِكَ الْفَصِيْفِيَّةِ لَأَنَّهَا كَانَتْ كَرِيْبةً تَعْلِمُ النَّاسَ
بِسَخَاءِ . وَلَكِنَّهُ مَا وَصَلَ الْخَبِيْبَةَ حَتَّى رَأَى اخْتَالَ كَمَا ذَكَرْنَا وَلَيْسَ هَنَاكَ إِلَّا جِنَّةُ قَطَامَ
وَكَانَتْ قَدْ هَدَتْ وَسَكَنَ شَخْوَرَهَا وَإِخْتِلَاجَهَا . فَلَا تَسْلُ عَنْ رَعْبِهِ لَا رَأَيَهَا فِي ذَلِكَ
الْحَالِ . فَقَالَ فِي نَسْوَهُ « لَا بَدَّ مِنْ جَمَاعَةِ افْتَوَاهِهِ تَجْرِيَ إِلَيْهِ عَلَى هَذِهِ الْعَلَمِ وَقَدْ فَعَلَى
مَا فَعَلَوْهُ وَنَجَوا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَنَا أَظْهَرْتُ هَذِهِ الْجِنَّةَ جَلَبْتُ لَنْسِي الْبَلَادِ فَإِنِّي إِلَّا
أَنْ احْتَلَ طَرَاطِرَهَا أَخْذِيَهَا » فَاشْتَغلَ بِالْخَفْرِ وَهُوَ يَجْمَدُهُ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ أَوْ يَسْمَعُ
خَبْطَهُ مَعْلُومًا . ثُمَّ دَفَنَ الْجِنَّةَ وَأَخْنَى آثارَ الدَّمَاءِ وَجَلَ كُلُّ مَا بَنَى مِنَ الْأَمْمَعَةِ إِلَيْهِ
وَسَاقَ جَمِيلًا كَانَ بَاقِيًّا هَذَاكَ وَكُنْمَ ثَلَكَ الْحَادِثَةِ وَمَا زَالَتْ مَكْتُوبَةً إِلَى إِلَيْهِ



الفصل الحادي عشر والمائة

﴿الوصول الى القسطاط﴾

اما وقد النصاط فلما اشرفوا على المدينة من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمر في وسط المدينة كالبدر بين الكواكب فاستقبلوا الرسول الجديد بالذهاب الى عبد الله ليهنه برجوهم وأوصوه ان لا يذكر له خبر قطام اما عبد الله فكان قد خلا له الجو وصفا له قاتل الامير ولكن ما زال مشغلا المخاطر في امر سعيد وكلا تذكر فرار قطام من سجها اقفيت نفسه وكلما لقي خولة تحدناها ها مر بها وذكري سعيداً والنها سرعة وصوله وعبد الله يدير اسلوبها بخبره بو عن حقيقة حاله مع خولة

وفيا هو جالس ذات صباح في غرفته بدار الامير اذا برسوله قد اقبل عليه علام السفر فصاح به «ما وراك» قال «ورأني سيدى سعيد وبلال»

قال «وانن ها»

قال «تركتها في سفح المقطم قادمين وجيئت لا بشرك»

قال اهلاً بالقادمين ونهض لاساعده وخرج على فرسه اسرجه له ولم يكبح بخرج من النصاط حتى التقى بسعيد وبلال على جليان فترجل بلال الحال وهم يد عبد الله فقل لها

فقال عبد الله «بورك فيك يا امير وبورك بشهامتك» وهم سعيد ان يترجل فاشار اليه عبد الله ان يبق على جمله لينزلان معاً في دار الامارة

فسعوا وسعيد يبتسم فقال له عبد الله «ما الذي يفعلك»

قال «يفعلكي اتنا ذاهبون الى دار عمر بن العاص وقد كنا بالامس نخادر ان يسمع بنا او يراينا»

قال «الله في خلقه شؤون» ثم قال بصوت خافت كان يخادر ان يسمع احد «لواراد الله بمحاجة ممعانا ونجاة الامام علي كرم الله وجهه لما هننا التزول في هذه الدار»

فقال سعيد « لا تذكرني بذلك الحادث النظاع فقد شهدناه بانسي ورأيت ابن ملجم اللعين بأم عيني يضرب الامام بذلك الدف المسموم . وقد كان بيننا وبين اقاضه لحظة لواراد الله لعجلها . ولكن الآجال مرهونة باوقاتها »
 قال « ولكن الله سيجري الفطمين واما نحن فقد صرنا الآن من حاشية ابن العاص وهو والحق يقال من دهاء العرب وكرامهم وكبار قوادم »

الفصل الثاني عشر والمائة

المداعبة

وتحادثنا في أمثال ذلك حتى اقتربا من الدار فقال عبدالله « لم اهيئك تذكر خولة ... هل نسيتها »
 فايض سعيد وقال « كيف انساهما وإنما جئت بهما »
 قال « وماذا نسيت منها »
 قال « لا ادري ... »
 قال « اظلك تدربي والا فاعلم ان خولة الآن قربتي زوجي لها عمرو وكتب كتابي عليها باسمه »
 فضحك سعيد وهو يظن ابن عمته يازحة ...

فتظاهر عبد الله بالجده وقال « يظهر لي انك لم تصدق قوله فاقسم بالله وترى اي رحاب ان خولة قد ذفت اليه وكتب العقد على بد الامير . فإذا كنت لا تصدقني فاسألك كل من في هذه الدار عن ذلك »
 فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسمع الا ان قال « وما يبع ان تكون زوجة الملك بورك لك فيها . المست اخي ورفيقي وان عني »
 قال ذلك وهو لا يزال يشك بما سمعه لعلمه بأخلاق عبد الله
 ووصل الى الدار فترجلا وسارا نجا الى غرفة عبد الله وبعثا الى عمرو بنندوه
 فأمر ان يستقبل سعيد في غرفة خاصة وبعث الى خولة وبناتها فلما جاءه

أقبل عمرو الى تلك الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال وائف خارجاً فلما دخل عمرو نقدم سعيد لتقدير بين والسلام عليه فرحب به ودعاهم للجلوس فقال سعيد «إذا أذن مولاي فليأمر عبده بلاط بالدخول ليحضر هذه الجلسة» فامر بدخوله فائزرو في بعض جوانب الغرفة متأنداً وفي بيته جراب من جلد وكان سعيد ينظر الى خولة من تحت النتاب وينظر في ما سمعه من عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلا استتب لهم الجلوس خاطب عمرو سعيداً قائلاً «أظنك شوقون ان تروا قطاماً سجينه»

فقال سعيد «نعم يا مولاي»

قال «ولكمها فرئت من السجن وزادت ذنبها عظماً بقتل خادمها . وكما قد اردنا استبيئها مسجونة . أما الآن فاذا ظهرنا بها لا يقتصر لها عذتنا غير القتل»

الفصل الثالث عشر والمائة

﴿ جائزة مئة دينار ﴾

فلم يقل سعيد عن الابتسام وقد ندم لانه لم يصرح بالامر لاسالة عن عمرو وهم بالكلام فاعترضه بلال متناثراً . فسكت . فتقدم بلال الى عمرو وجثا بين يديه والجراب بيته . وقال «استعطف مولاي ان ياذن لي بكلمة انوطا»

قال «فلي»

قال «كيف ترجون النفع على قطام وانتم لا تعرفون متراها»

قال «نطبع الناس في البحث عنها بالكثير»

قال «بكم شمع نفس الامير لمن يتبعها عليها»

قال «نعطيه مئة دينار»

قال «أشترط ان يوثق بها حية»

قال «وإذا جاء بغير قتلها»

قال «قبل منه ذلك بشرط أن يأتينا بها ثبت قتله أياها»

فأخذ بلال بجل الجراب وهو يقول «فلي أمر مولاي الامير بن بدفع لي مائة دينار» وما ثم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير فناحت الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء ولال يبعث فيه باصبعه حتى وجد الاذنين وفيها الافراط

فاجعل عمرو وسائل الحضور لذلك المنظر وأشارت نوسم من تلك الرائحة الكريهة وصاح ثبو عمرو «وبالك ما هنا»

قال «هذا هو شعر قطام ملطفاً بدمها . وهذه اذناها لافراطها . وإذا أحرجتوني جنكم برأسها . فاني أنا تخليت عنه اجاية لامر مولاي سعيد» قال ذلك ووقف وهو يشير برأسه إلى سعيد

فنقال سعيد «نعم يا مولاي انا اشهد ان بلا لا قبل قطاماً وحن وأحتر رأسها وجاءني به وهو ينوي حملة اليمك فاشترط عليه ان يكتفي بهذه العلامة تخلصاً من تنانة تلك الرمة»

وكان الحضور قد بهتوا ولم يظرون الى الشعر والاذنين فاشعار عمرو الى بلال ان احمل هذه الاقدار من هنا . فاعادها الى جرائه وتبعي

فنقال للعمري «الك علينا مائة دينار

خفى رأسه شكرأ وامتنانا وقال «اني اشك مولاي الامير على نعوه ولكنني اعترف له باني لم اقتل هذه الخائنة ملعاً بمحائزه وانا قاتلها انتقاماً للحق» واراد ان ينصل ما اجمله فاتبه انه لا يجوز ذكر الامام علي هناك فاكتفى بما قاله وبهض عبد الله فقال «بورك فيك يا بلال» فاقصر على ما الخبر اذا امر الامير

فنقال عمرو «اقصصه»

قصصه من اوله الى آخر

الفصل الرابع عشر والمائة

✿ الطلاق والزوج ✿

فاثنى الجميع على شهادته وخطبها خولة . وذكرت ان والدها كان نافقاً عليها من اجله فاغتنمت تلك الفرصة لاكتساب رضاها عنها فقالت « يا بلال نقدم باذن الامير وقيل بدي سيدك » وأشارت الى والدها . فتقدم بلال للحال وقبل بن فاثنى عابه فعاد الى موقفه . وكان الحديث قد انتهى ولم يبق غير الانصراف فوق عهد الله والفتت الى عمرو وقال « اشهد ابها الامير ان امراني هذه طلاق مني ثلاثة » وأشار الى خولة

فاثنته سعيد لما كان سمعة منه فتحقق انه كان معقوداً له عليها . فعملية البثنة ولحظ عمرو فيه ذلك فقال « طب نفساً ياسعيد ان خولة لا تزال بكرأ او انا طلبتها عبدالله صورة كما تزوجها صورة » والفتت الى ابي خولة وقال له « اني اخطلب خولة منك اسعيد »

فقال ابو خولة « هي جاريتك يا مولاي فافعل بها ما تشاء »
 فنجعلت خولة لفال المماوضة بين يديها واطرقت
 وامر عمرو فكتب الكتاب في الحال وهذا ما يدلي به اذن ذلك الفزان وامر بلال بالمال
 الذي وعث به والصرف الجميع الى بيت خولة بعد ان ودعوا عمرأ وشکروا صنيعة
 وبعد أيام استاذن عبد الله سعيداً في الذهاب الى مكة للقيام مع اهله وتذليل
 تركة جده فاذن له بالرغم عنه . فاصرف وودع خولة والدها والامير عمرأ وسار الى
 مكة واقترن هناك بابنة عم له وعاشوا جميعاً عيشاً لا يشهده من الفحص الا افتخار
 بقتل الامام علي . وزاد تعفيصهم ما سمعه بعد ذلك من تازل الحسن بن علي عن
 الخلافة لعاوية بن أبي سبان : فخرجت الخلافة من اهل البيت وصارت الى يدي امية .
 وإنما فعل الحسن ذلك حجاً للدماء ولم يتول الخلافة الا ستة اشهر فانقلب كرسوها
 من الكوفة الى دمشق وما زال فيها الى انتهاء دولة بني امية

✿ ثمت الرواية ✿

* روايات تاريخية أخرى تأليف مؤلف هذه الرواية *

- (١) * فتاة غسان * هي الحلقة الاولى من سلسلة روايات ح الاسلام شرح حال العرب في آخر جاهليتهم و اول اسلامهم مع ذكر عوائدهم و اخلاقهم الى فتوح الشام والعراق وهي جزآن ثم كل جزء عشرة غروش والبوسطة غرش ونصف
- (٢) * ايمانوسه المصرية * (طبعة ثانية) هي الحلقة الثانية من سلسلة روايات دارن الاسلام تاريخية خرافية ح جاز تقر لما فتحها المسلمين سنة ١٨ للهجرة مع عوائدهم اهلها و اخلاقهم و ازيائهم . ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرشان
- (٣) * عذراء قريش * هي الحلقة الثالثة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخية خرافية تضمن مقال الحسينية عثمان ووفاقع الجليل وصون الحكيم والخارج الى متى محمد بن اي بكر ثمنها عشرة غروش واجرة البوسطة غرش ونصف
- (٤) * ١٧ رمضان او الحلقة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وهي تاريخية خرافية تضمن منتال الامام علي وتفصيل امر الخارج وخروج الخليفة الى بيته عشرة غروش واجرة البوسطة ستون باره
- (٥) * الماوك الشارد * (طبعة ثانية) رواية تاريخية ادية تضمن حوادث مصر وسوريا في زمان المفترض للحادي عشر على باشا والامير بشير الشهابي ثمنها ٨ غروش واجرة البوسطة غرش ونصف
- (٦) * اسره الملك العظيم * (طبعة ثانية) رواية تاريخية خرافية تضمن حوادث عراقي والمدي وحدتها سنة ١٨٦٠ في دمشق . ثمنها ١ غروش صاغ واجرة البريد غرشان (طبعة ثانية تحت العايج)
- (٧) * استبداد الماليك * (طبعة ثانية) رواية تاريخية تضمن حوادث آخر القرن الثامن عشر ثمنها ٨ غروش واجرة البوسطة غرش واحد
- (٨) * جهاد العبيط * رواية ادية خرافية ثمنها ٦ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش ونصف